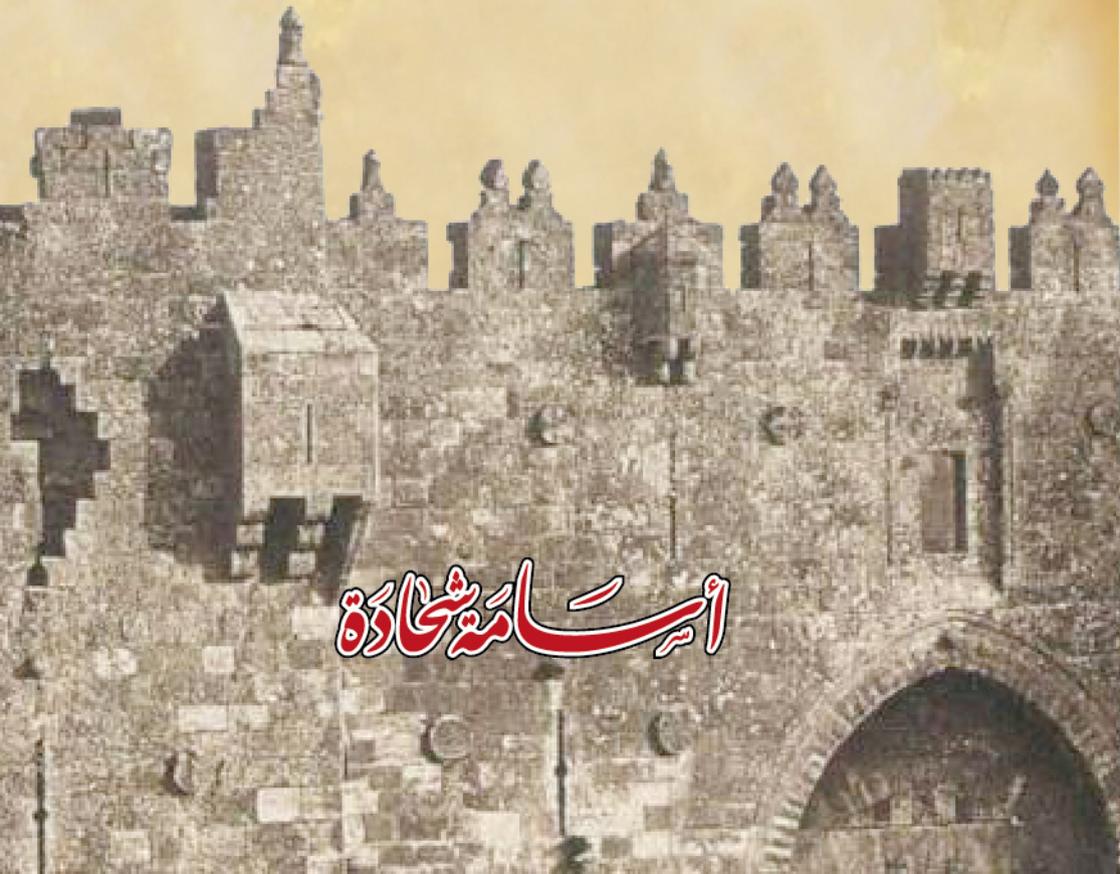


فلسطين

دروس التاريخ وعقائمه الواقع

أستاذة شحادة



فلسطين

دروس التاريخ وحقائق الواقع

أسامة شحادة

**حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف**

**الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م**

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد..
فإن قضية فلسطين قضية مركزية من بين قضايا الأمة المتعددة، والتي طالت معاناتها المعاصرة، وكانت لها من قبل معاناة متعددة.

وإن العمل في سبيل خدمتها وحمايتها ونصرتها هو واجب شرعي وشرف معنوي، يحرص عليه كل مخلص وصادق في إيمانه وولائه لربه ورسوله، وهذا العمل إن لم يقم على ساق العلم والمعرفة الصحيحة فإنه لن يحقق الثمرة الكاملة المرجوة، وهذا من أهم دروس التاريخ والواقع في قضية فلسطين.

من هنا؛ كان العمل الثقافي والعلمي والتوعوي بقضية فلسطين حجر الأساس في نصره هذه القضية المباركة ومسيرة الجهاد المستمرة، حيث أن تحريف المفاهيم من جهة، وتجهيل الناشئة بالقضية يعدان من أقوى أسلحة اليهود وأعوانهم في استمرار احتلالهم وسلبهم لفلسطين والقدس والأقصى. ومساهمة في هذا الجهاد الثقافي والعلمي ولبناء لبنة في جدار المقاومة والممانعة التوعوية فإني أقدم للقارئ الكريم هذه المقالات والأبحاث المتعلقة بقضية فلسطين، والتي نشرتها في عدد من الصحف والمجلات عبر السنوات الماضية، وغالب هذه المقالات نُشرت في صحيفة «الغد» الأردنية، فأثرت جمعها وترتيبها لتقدم صورة شبه متكاملة لقضية فلسطين، والتي تناولتها من محاور متعددة، يمكن أن نفضلها في ما يلي:

🕉 فضل فلسطين والقدس والمسجد الأقصى.

🕉 القدس في قبضة الفاطميين.

🕉 استرداد القدس على يد صلاح الدين من الصليبيين.

🕉 محنة القدس بعد صلاح الدين.

🕉 عدوان المشروع الصهيوني والتصدي له.

🕉 العدوان المتكرر على غزة.

🌀 كيف نساهم في نصره فلسطين والقدس؟

🌀 تلاعب ملالي إيران والشيعه بالقضية الفلسطينية.

أمل أن يكون هذا الكتاب خطوة على طريق نشر الوعي الصحيح بالقضية الفلسطينية؛ بنشر دروس من تاريخها، وبيان حقائق من واقعها، لتكون الجهود في نصرتها صحيحة وسليمة، فنتقدم للأمم على طريق تحرير فلسطين والأقصى الطويل، والذي سيبدل فيه المخلصون والشرفاء أرواحهم ودماءهم بكل سرور.

وأشكر الأستاذ هيثم الكسواني والدكتور إحسان الخواجا على تفضلهم بمراجعة الكتاب وتقديم ملاحظاتهم، فلهم مني كل التقدير والمودة.

أسامة شحادة

عمّان

٣ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ

٢٠ يناير ٢٠١٨م

فهرس المواضيع

المقدمة ٣

أولاً: فضل فلسطين والقدس والمسجد الأقصى

الأقصى عنوان المجد ١١
فضائل بيت المقدس في القرآن والسنة ١٥
«تحصيل الأنس لزائر القدس» ١٨
اقرأ عن فلسطين ٢١

ثانياً: القدس في قبضة الفاطميين

حال بيت المقدس في قبضة الفاطميين ٢٩

ثالثاً: استرداد القدس على يد صلاح الدين من الصليبيين

كيف تحرر الأقصى على يد صلاح الدين؟ ٣٧
بماذا انتصر صلاح الدين؟ ٤٦
«صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه» ٤٩

رابعاً: محنة القدس بعد صلاح الدين

احتلال الأقصى والدروس غير المستفادة! ٥٥

خامساً: عدوان المشروع الصهيوني والتصدي له

العلامة رشيد رضا والخطر الصهيوني ٦٣
"رجل لكل الغزاة" ٦٦

- ٦٩ الشيخ المجاهد عز الدين القسام
- ٨٢ «النقد والبيان»
- ٨٥ الحاج أمين الحسيني بين تنبأه وهتلر!
- ٨٧ العلامة الأشقر.. برحيله شمس تشرق!
- ٩٢ الخلفية الدينية للحروب الصهيونية
- ٩٥ تعقيب حول اليهودية والصهيونية
- ٩٨ رواية الهروب إلى العاصفة
- ١٠٢ من يجهل حقيقة العدوان على الأقصى وفلسطين كيف ينصرهما؟!
- ١٠٤ هكذا سرق اليهود حائط البراق من المسجد الأقصى
- ١١٠ اليهود وخطورة تحريفهم لمفهوم المسجد الأقصى المبارك
- ١١٥ ﴿لَا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾
- ١١٨ ﴿أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّه فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾
- ١٢٠ القدس أولاً!!
- ١٢٣ التاريخ: شاهد ومشهود
- ١٢٦ الصراع الديمغرافي في فلسطين ومؤتمرات الأمم المتحدة
- ١٢٨ هكذا يواصل اليهود تهويد القدس للسيطرة على المسجد الأقصى
- ١٣٣ أباطيل التشكيك بالمسجد الأقصى
- ١٣٨ من عدوان اليهود: محاولة منع الاعتكاف في المسجد الأقصى
- ١٤١ أكاذيب أشاعها اليهود

سادساً: العدوان المتكرر على غزة

- ١٤٩ غزة.. محطة في صراع الحق والباطل

غزة.. الفاضحة والمبشرة ١٥٢

سابعاً: كيف نساهم في نصررة فلسطين والقدس؟

هكذا عاد الأقصى، وهكذا يعود ١٥٩

كيف نخدم القدس والأقصى؟ ١٦٣

تحرير الأقصى بالوحدة على كلمة التوحيد ١٦٦

للأقصى رب يحميه، ورجال ونساء يقدونه ١٧٠

هكذا جاهد أهل فلسطين دفاعاً عنها وعن الأقصى ١٧٣

الوجه المشرق في معركة القدس وفلسطين ١٧٨

توأمة مع تجار القدس لنعمل على نصررة الأقصى والقدس والمقدسين ١٨٤

أفكار لنصرة الأقصى والقدس والمقدسين ١٨٧

نصرة الأقصى شرف وبركة؛ لا تدعوها تفوتكم! ١٩١

ثامناً: تلاعب ملائير إيران والشيعرة بالقضية الفلسطينية

تلاعب إيران بالقضية الفلسطينية ١٩٧

التعاون الإسرائيلي الإيراني ٢١٢

حقيقة موقف الشيعة من الجهاد والمجاهدين في فلسطين ٢٣٣

«أسرار خلف الأستار» (علاقة فتح بثورة الخميني والمقاومة اللبنانية) ٢٣٧

النفوذ الإيراني في قطاع غزة.. الشواهد والدلالات ٢٤٧

«دور إيران في فلسطين بين الدوافع والتأثير» ٢٥٢

الإخوان - حماس وإيران، والسؤال الحائر؟ ٢٥٦

حماس وإيران والشيعة مرة أخرى!!! ٢٦٠

- ٢٦٥ حماس بين سندان الخوارج، ومطرقة الشيعة
- ٢٦٧ حركة الجهاد الإسلامي، والهوى الشيعي الإيراني!
- ٣٠٣ "الجهاد الإسلامي" .. هل تصبح "حوثية فلسطين"؟
- هل انضمت حركة الجهاد الإسلامي لجوقة الفصائل الفلسطينية
- ٣٠٧ المستأجرة؟
- ٣١٢ مقارنة بين صفقتي الأسرى (حزب الله - حماس)

**فضل
فلسطين والقدس
والمسجد الأقصى**

الأقصى عنوان المجد^(١)

عبر التاريخ كان المسجد الأقصى عنواناً للمجد والعزة والكرامة؛ لأنه مرتبط بقيم ومبادئ سامية، فهو قبلة للمؤمنين، وكهف للعابدين، ومنزل للعلماء والمتعلمين، اجتمع فيه الأنبياء للصلاة بإمامة نبينا محمد ﷺ، ومن ساحته كانت محطة الانطلاق لمعراجه الشريف إلى سدرة المنتدى في السماء السابعة؛ لمخاطبة الله ﷻ.

والمسجد الأقصى - كما يقول الإمام ابن القيم -: "بيت الأنبياء ومعدن الوحي".
والمسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع على الأرض لعبادة الله ﷻ، ودليله: ما ورد في حديث أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله أيُّ مسجدٍ وضع في الأرض أولاً؟ قال: «المسجد الحرام»، فقلت: يا رسول الله ثم أي؟ قال: «ثم المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة»^(٢).

واختلف أهل العلم فيمن بناه على عدة أقوال، منها: الملائكة، آدم ﷺ، إبراهيم ﷺ، يعقوب ﷺ، داود ﷺ، وسليمان ﷺ، قال الإمام ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»: "وعند أهل الكتاب أن يعقوب ﷺ هو الذي أسس المسجد الأقصى، وهو مسجد إيليا بيت المقدس - شرفه الله -".

وهذا متجه، ويشهد له ما ذكرناه من الحديث، فعلى هذا يكون بناء يعقوب ﷺ - وهو إسرائيل - بعد بناء الخليل وابنه إسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء، وقد كان بناؤهما ذلك بعد وجود إسحاق؛ لأن إبراهيم ﷺ لما دعا قال في دعائه - كما قال ﷻ -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مَنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَمْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نَخْفِي وَمَا نَعْلُنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ

(١) صحيفة "الغد"، (٢٣/١١/٢٠١٤).

(٢) حديث متفق عليه.

إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) [إبراهيم: ٣٥-٤١].

وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلافاً ثلاثاً؛ كما ذكرناه عند قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]، وكما سنورده في قصته.

فالمراد من ذلك - والله أعلم - أنه جدّد بناءه؛ كما تقدم من أن بينهما أربعين سنة، ولم يقل أحد: إن بين سليمان وإبراهيم أربعين سنة؛ سوى ابن حبان في تقاسيمه وأنواعه، وهذا القول لم يوافق عليه، ولا سبق إليه".

ولما فتح المسلمون بيت المقدس بقيادة الفاروق عمر بن الخطاب سنة (١٥هـ) أو (١٦هـ)، وجد النصراني قد جعلوا من موضع صخرة بيت المقدس مزبلة، يرمون عليها النجاسات! فكنسها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بردائه، وكنس معه الصحابة، ثم بنى مسجداً أمام الصخرة على طرف السور، وكل ما دار عليه السور هو من المسجد الأقصى.

ثم قام بتوسيعه وتجديده وبناء قبة الصخرة عبد الملك بن مروان سنة (٧٢هـ)، ثم استولى الصليبيون عليه سنة (٤٩٢هـ)، حتى حرره صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٣هـ)، ووجده صلاح الدين في وضع مهين؛ حيث جعل الصليبيون فيه مزبلة ومربضاً للخيل، فطهره صلاح الدين، وطيبه، ونوره بالفوانيس، ونصب فيه منبر نور الدين زنكي؛ والذي صنّع قبل تحرير الأقصى بـ (٢٠) عاماً، مما يرشدنا إلى أن تحرير الأقصى كان أمنية ومشروعاً تعاهد على حمله القادة العظام والمخلصون، عبر مسيرة ممتدة وحلقات متواصلة لمدة تجاوزت أكثر من (١٠٠) عام، حتى تحرر بعد أن قضى في الأسر (٩٠) عاماً.

ولمكانة بيت المقدس والمسجد الأقصى جعل الله تعالى أرضها أرضاً مباركة إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

ولذلك لم يشرع السفر لزيارة المساجد إلا لثلاثة مساجد في الدنيا؛ كان المسجد الأقصى منها، مع المسجد الحرام والمسجد النبوي، ورتب الباري تعالى الثواب الجزيل على الصلاة فيه.

ولهذه المنزلة العظيمة للمسجد الأقصى عند الله ﷻ، وللتاريخ العريق الممتد في التاريخ مع أنبياء الله؛ فإن المؤمنين الصادقين يبذلون الغالي والنفيس لحماية جناب الأقصى، ويفقدونه بالغالي والرخيص، ويقدمون في سبيل ذلك أرواحهم ودماءهم بكل رضا وأريحية.

والتاريخ البعيد والقريب يؤكد لنا مركزية بيت المقدس والأقصى في وجدان كل مسلم؛ فرغم أسر الأقصى (٩٠) عامًا من قبل الصليبيين إلا أن المسلمين لم يقفوا متفرجين، بل هبوا يقاومون ضعفهم وتفرقهم وجهلهم، وجعلوا تحريره غايتهم؛ فاصطف الجميع خلف كردي (صلاح الدين الأيوبي)، لما علموه ولمسوه من صدقه وأهليته، فتجاوزت الأمة الإسلامية عقدة القوميات والهويات الفرعية المفرقة، وجمعت كلمتها خلفه، حتى تحققت أمنيتها بعودة الأقصى ورفع الأذان في جنابته، وخفض الجباه على عتباته الله ﷻ.

وفي عصرنا الحاضر لا زال المسجد الأقصى هو الخط الأحمر الذي لا يرضى المسلمون ولا الفلسطينيين أن يعتدي عليه اليهود، ومن يتفحص ثورات الشعب الفلسطيني منذ الاحتلال البريطاني عام (١٩١٧م)، ومن بعده الاحتلال اليهودي؛ فسيجد أن الدفاع عن الأقصى كان هو شرارتها الدائمة.

وما نشاهده اليوم من جهاد مبارك وبطولات خارقة لأهل بيت المقدس لرد الاعتداءات الوحشية لقطعان المستوطنين؛ هو أكبر دليل على حياة الأمة وعافيتها من جهة، وعلى أن الدفاع عن الأقصى هو سبيل وطريق العزة والمجد في الدنيا والآخرة.

والمؤمنون على يقين من ربهم أن احتلال بيت المقدس لن يطول ولن يدوم، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وأن الفجر قريب، وأن شدة الظلم والظلام مؤذنة بقرب ميلاد الفجر وانبلاجه، وأن الفرصة اليوم متاحة للجميع ليلحقوا بركب العزة والمجد بركوب مركب نصره الأقصى؛ بالقيام بحق الله ﷻ في شؤون حياتهم، ومساندة ومساعدة بيت المقدس معنويًا بالدعاء والاهتمام، وماديًا بدعم ومساندة بيت المقدس - أهلاً ومؤسسات - كل بحسبه.

فحذار أن يفوتك مركب العز والمجد!

قال: هل عاد صلاح؟!

قلت: يا أقصى سلاماً

يرتجي منك السباح

قلت: لا إني حبيب

قَالَ: والدمعُ يفيضُ
 هَدَّنِي ظِلْمُ الْيَهُودِ
 قَدْسِنَا أَمَسْتَ تَنَادِي
 مَنْ تُرَاهُ سَوْفَ يَأْتِي
 وَالْمَآذِنُ فِي صَدَاهَا
 أَيَنْ هَاتِيكَ اللَّيَالِي؟
 كَمْ حَلَمْتُ فِيكَ تَأْتِي
 كَمْ حَلَمْتُ أَنْ تَعُودَ
 كَمْ حَلَمْتُ.. غَيْرَ أَنِّي
 قَلْتُ: يَا أَقْصَى تَهَلُّ
 إِنَّ فِي الْقَدْسِ رَجَالًا
 إِنَّ فِي الْقَدْسِ يَتَامَى
 إِنَّ فِي الْقَدْسِ جِبَالًا
 أَبْقِنُوا أَنْ الظُّلَامَ
 هَيَّا أَقْصَى لِنَسَى
 نَتَّبِعْ نَهْجَ الرَّسُولِ
 رَدَّدَ الْأَقْصَى بِهَمْسٍ:
 هَدَّنِي طَعْنُ الرِّمَاحِ
 وَالثَّرَى أَضْحَى مِبَاحِ
 صَوْتَهَا عَمَّ الْبَطَاحِ
 حَامِلًا طَهَّرَ الْوَشَاحِ
 تَشْتَكِي: أَيَنْ رِبَاحِ؟!
 أَيَنْ عَشَّاقُ السَّلَاحِ؟
 تَمْسَحُ عَنِّي الْجِرَاحِ
 مَنشِدًا لِحَنِ الْكِفَاحِ
 قَالَهَا... ثُمَّ اسْتَرَاحِ
 إِنَّ فِي الْقَدْسِ صِلَاحِ
 أَبْصُرُوا دَرَبَ الْفَلَاحِ
 أَنْبَتُوا رِيشَ الْجَنَاحِ
 رَاسِيَاتٍ لَا تُزَاحِ
 سَوْفَ يَجْلُوهُ الصَّبَاحِ
 كَلَّ أَيَّامِ النُّوَاحِ
 إِنَّهُ سُرُّ النُّجَاحِ
 (كَأَنَّهُ صَوْتُ صِلَاحِ)



فضائل بيت المقدس في القرآن والسنة^(١)

من الثوابت الإسلامية: قدسية بيت المقدس وبركتها التي شملت ما حولها، وهذه القدسية قديمة ضاربة الجذور في تاريخ الأرض والبشرية، فالمسجد الأقصى في بيت المقدس هو ثاني المساجد في الأرض بعد الكعبة؛ ففي «صحيح البخاري» عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة».

قال عليه السلام: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

والراجح أن آدم عليه السلام هو من بنى الكعبة والأقصى أول مرة، ثم تتابع الأنبياء عليهم السلام على إعادة تعمير الأقصى وترميمه؛ فقد عمّره ورمّمه خليل الله عليه السلام إبراهيم عليه السلام، وواصل من بعده ابنه إسحاق ويعقوب عليهم السلام المهمة، كما أن داود بدأ بنائه وأكمّله سليمان عليه السلام، فعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه، ومُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة»^(٢).

ومن هنا؛ فبركة وقدسية بيت المقدس مرتبطتان منذ بداية خلق البشر بالأنبياء، وتوحيد الله تعالى، ودين الإسلام، قال عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال عليه السلام: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالْآبَاءَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وبذلك تكون قدسية بيت المقدس سابقة على رسالة يعقوب وموسى عليهم السلام، وهذا يبطل مزاعم اليهود بأحقّيتهم بيت المقدس، ويثبت أنها حق للمسلمين الموحدين عبر التاريخ، أما بنو

(١) صحيفة "الغد"، (١٦/٨/٢٠١٤).

(٢) رواه ابن ماجه والسنائي وأحمد.

إسرائيل الذين كانوا في فترة من الزمن أفضل الناس في زمانهم بالإسلام والتوحيد، لكن لما كفروا بربههم وأشركوا به زالت عنهم الخيرية والأفضلية، وضربت عليهم الذلة والمسكنة.

١ - ﴿حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «مناقب الشام وأهله» فضائل بيت المقدس عبر التاريخ؛ فقال: "فيها المسجد الأقصى، وفيها مبعث الأنبياء، وإليها هجرة إبراهيم، وإليها مسرى نبينا، ومنها معراج، وبها ملكه وعمود دينه وكتابه والطائفة المنصورة من أمته، وإليها المحشر والمعاد.

كما أن مكة المبدأ، فمكة أم القرى من تحتها دحيت الأرض، وإليها يحشر الناس؛ كما في قوله: ﴿لَأَوَّلُ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]، نبه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ، وإيلياء معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر؛ فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه؛ حتى يملكه المهدي بالشام.

فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية، ومن ذلك: أن بها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة".

وهذا تفصيل بعض هذه الفضائل المجمل:

١ - بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: «الشام أرض المحشر والمنشر»^(١).

٢ - وصية النبي صلى الله عليه وسلم بالسكن والإقامة في بيت المقدس وما حولها؛ فعن أبي

الدرداء رضي الله عنه قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم ستجندون أجنادا: جنداً بالشام ومصر والعراق واليمن». قالوا: فخر لنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالشام»، قالوا: إنا أصحاب ماشية، ولا نطيق الشام! قال: «فمن لم يطق الشام فليحق بيمينه، فإن الله قد تكفل لي بالشام»^(٢).

وعن واثلة بن الأسقع الليثي قال: سمعت رسول الله يقول لحذيفة بن اليمان ومعاذ بن جبل وهما يستشيرانه في المنزل فأوماً إلى الشام، ثم سألاه، فأوماً إلى الشام، قال: «عليكم بالشام! فإنها

(١) أخرجه الربيعي في «فضائل الشام»، وصححه الألباني.

(٢) رواه البزار، وله شواهد تصححه.

صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبي فليلحق بيمنه، وليسق من صدره، فإن الله تكفل لي بالشام وأهله»^(١).

ويوضح الباحث محمد عبد الله في رسالته الجامعية «بيت المقدس في الكتاب والسنة» - والتي أستند إليها في هذا المقال - الأسباب التي من أجلها ينصح النبي ﷺ أصحابه بسكنى الشام، بما يلي:

أ- أنها خيرة الله من أرضه، وصفوته من بلاده.

ب- فيها خيرة الله من عباده، يجتبيهم إليها.

ج- فيها معسكر الإيمان والأمن والطمأنينة عند الفتن.

د- تكفل الله ﷻ بالشام وأبنائها بالحفظ والعناية والرعاية.

هـ- فيها خيرة الأجناد وقلب الدفاع عن الدين والأمة الإسلامية، وغيرها من الأسباب.

٣- بيت المقدس أرض الرباط والجهاد؛ فعن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله! أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد! قد وضعت الحرب أوزارها! فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه، وقال: «كذبوا! الآن.. الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله.

والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفناداً، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين الشام»^(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتكونن هجرة بعد هجرة؛ إلى مهاجر أبيكم إبراهيم، حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، وتلفظهم أرضوهم، وتقذرهم روح الرحمن عز وجل، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تقيل حيث يقيلون، وتبيت حيث يبيتون، وما سقط منهم فلها»^(٣).

(١) صححه الألباني.

(٢) رواه النسائي وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد في «المسند»، وقال الألباني: "رجاله ثقات".

«تحصيل الأُنس لزائر القدس»^(١)

يأتي صدور كتاب «تحصيل الأُنس لزائر القدس» - المتعلق بالقدس - في وقت تتعرض فيه مدينة القدس لهجمة يهودية شرسة جديدة، تحاول ابتلاع القدس وسلبها من أهلها؛ عبر التهجير والاستيلاء والاستيطان العاشم.

والاعتداء على المسجد الأقصى والقدس لم يقتصر على الجانب المادي فقط، بل يمتد إلى الجانب المعنوي؛ من خلال ترويح الأكاذيب بضعف مكانة الأقصى والقدس في الإسلام بعكس مكانة القدس والهيكل في اليهودية!! وأن مكانة القدس لدى المسلمين هي من صنع الأمويين فقط!!

ولما للقدس من مكانة عظيمة عند المسلمين؛ فقد تتابع العلماء على أفراد الكتب في فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى، وعلى منوالهم سار ابن هشام الأنصاري في كتابه؛ فقد جمع فيه بعض الآيات والأحاديث والآثار في فضل المسجد الأقصى وبركته، وبركة الأرض المقدسة حوله، وشد الرحال إليه، مما يوطن في النفوس حب المسجد الأقصى وحب بيت المقدس، ويربط المسلمين كافة بأولى القبليتين بروابط محكمة لا تنفك، ولذلك رغم مرور قريب من نصف قرن على احتلال القدس إلا أن أحفاد المرابطين في القدس من المغرب وأفريقيا وغيرهم لا يزالون يرابطون في أحيائهم المعروفة في القدس القديمة؛ برغم المعاناة التي تطالمهم من اعتقال وحصار وقتل، في امتداد لمسيرة أجدادهم المرابطين والمجاهدين في القدس.

لأول مرة يطبع كتاب «تحصيل الأُنس لزائر القدس»، وهو من الكتب غير المعروفة لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، النحوي الشهير، مؤلف «قطر الندى»، و«مغني اللبيب عن كتب الأعراب»، و«الإعراب عن قواعد الإعراب»، ومن هنا تأتي أهمية خروج هذه المخطوطة إلى عالم النور بعد مئات السنين.

وقد قام على إخراج هذا الكتاب وضبطه وتخرجه وكتابة مقدمة مهمة حول رد شبهات المستشرقين واليهود حول المسجد الأقصى: الأخوان الكريمان عيسى القدومي وخالد نواصره، وذلك عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/٦/٢٠١٤).

كما نبه ابن هشام على بعض المفاهيم والسلوكيات غير الصحيحة حول القدس والمسجد الأقصى، مثل: زعم بعض الناس أن دكة المؤذنين في الأقصى هي عرش بلقيس!! أو اجتماع البعض يوم عرفة عند الصخرة وبعضهم يطوف بها!! وعند الغروب ينفرون ويرجعون القهقري!! وهذا كله مما لا يصح شرعاً، بل هو ضلال.

ومما زاد الكتاب قيمة: المقدمة الضافية والقيمة حول تفنيد مزاعم اليهود بعدم قدسية ومكانة القدس عند المسلمين، هذه المزاعم التي روجها بعض المستشرقين والباحثين اليهود، والتي اعتمدوا فيها على روايات مكذوبة ومخترة في بعض كتب الشيعة؛ تعتبر أن المسجد الأقصى هو مسجد في السماء!! وخرافات تبتتها شخصيات و فرق ضالة كالقاديانية؛ التي تزعم أن المسجد الأقصى هو في قاديان بالهند!! وبعض من القاديانيين يجعل المسجد النبوي هو المسجد الأقصى!! وهذا يوضح سبب دعم إسرائيل لانتشار القاديانية بين الفلسطينيين.

رصدت المقدمة المسجد الأقصى في كتابات اليهود والمستشرقين، وفندت مزاعمهم، ونذكر منها النقاط التالية:

■ زعمهم أن المسجد الأقصى مسجد في السماء:

وهذا قول باطل لم يعرف إلا في بعض مصادر الشيعة، وقد تبناه اليوم جعفر العاملي في كتابه «المسجد الأقصى أين؟»، وكتابه «صحيح السيرة»، ومن الغريب أن جعفر العاملي هو ضيف دائم في قناة "المنار"!!

والقرآن قد نصَّ على وجود بركة حول المسجد الأقصى؛ فكيف بورك ما حوله وهو في السماء؟ والنبي ﷺ أخبرنا أنه (ثاني مسجد وضع في الأرض)؛ فكيف يكون في السماء؟

■ زعمهم أن الأمويين هم الذين روجوا أحاديث فضائل القدس والمسجد الأقصى؛ بواسطة الإمام الزهري، نكايه في ابن الزبير!!

وهذا من أبطل الباطل! ففضل الأقصى والقدس ورد في القرآن الكريم أصلاً، ولم ينفرد به الأمويون أو الزهري!! كما أن الزهري لم يقابل الأمويين إلا بعد وفاة ابن الزبير!!

وبعد هذا كله فإنه لم يذكر هذه الفرية إلا المؤرخ اليعقوبي؛ وهو شيعي كاره لبني أمية!!

■ زعمهم أن علماء الحديث أنكروا أحاديث فضائل بيت المقدس:

وهذه الفرية مثال عملي لخداع وخيانة اليهود والمستشرقين للبحث العلمي!

فالحقيقة أن علماء الحديث - لدقتهم وأمانتهم العلمية - بينوا بطلان بعض الروايات في فضائل بيت المقدس؛ لعدم استيفائها الشروط الدقيقة، ومع تعظيمهم للأقصى وبيت المقدس إلا أن هذا لا يبرر اعتماد وترويج روايات لم تثبت بشكل علمي، ففي الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة غنية عن الروايات الضعيفة والمكذوبة.

■ زعمهم أن المسجد الأقصى والقدس لم يكن لهما دور في الإسلام كمرکز للثقافة والحضارة:

وفي هذا تجاوز على بدهيات التاريخ التي منها: أن الخليفة العادل عمر بن الخطاب قد قدم بنفسه من المدينة المنورة لفتح القدس، وأذن بها بلال لأول مرة بعد وفاة النبي ﷺ، وقد سكن القدس العديد من الصحابة رضي الله عنهم؛ لما للقدس من مكانة ودور، وقد كلف الفاروق الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنه القضاء والتعليم في بيت المقدس.

وقد تتابعت المدارس في القدس بعد ذلك؛ حتى بلغت في بعض الأحيان أكثر من ستين مدرسة، وقد عرف التاريخ الإسلامي العديد من العلماء الذي نسبوا للقدس وعرفوا باسم: "المقادسة" أو "المقدسي".

■ زعمهم أن مكانة المسجد الأقصى والقدس كانت موضع خلاف في بداية الإسلام، وأن هذه المكانة حديثة العهد:

ويبطل هذا: أن فضل الأقصى والقدس ذكر في القرآن، ولم يستطع هؤلاء اليهود والمستشرقون إيراد نص عن أي عالم مسلم يدل على زعمهم هذا! بل تاريخ القدس في الإسلام يبرهن على أنها كانت تستقبل الكثير من المسلمين من مختلف البلدان؛ للمجاورة في القدس، وفي أوقات الجهاد كانت القدس وجهة كثير من المرابطين للجهاد فيها.

لقد أحسن الأخوان الكريمان عيسى القدومي وخالد نواصره في إخراج هذا الكتاب لعالم النور، وتفنيد شبهات أعداء الأقصى والقدس في هذا الوقت العصيب من تاريخ القدس؛ من خلال الجمع بين التراث والمعاصرة لتكتمل العدة في الدفاع عن القدس.



اقرأ عن فلسطين^(١)

العدوان الهمجي اليهودي الإسرائيلي على غزة هذه المرة كان مختلفاً في نواح كثيرة ومتناقضة، فمن الجهة الإيجابية كان صمود المقاومة الفلسطينية - وبالتحديد كتائب القسام - أول صمود عسكري للشعب الفلسطيني يحقق النصر على أرض فلسطين، ويجهد فلسطيني شبه كامل. وأيضاً حقق هذا الصمود الخارق توحدًا غير مسبوق للشعب الفلسطيني على هدف واحد هو: فكّ الحصار الظالم عن غزة.

كما أن المقاومة الباسلة جعلت اليهود يعيشون شيئاً بسيطاً مما يعانيه الشعب الفلسطيني من الخوف والرعب، بسبب القصف والصواريخ؛ فضلاً عن محاصرة اليهود في الملاجئ، أو عبر إيقاف العمل بمطار تل أبيب.

أما في الجانب السلبي؛ فهذه أول مرة تعتدي فيها إسرائيل على الفلسطينيين ولا تكثر الدول العربية بما يجري؛ ولو على المستوى الشكلي؛ من تداعٍ لاجتماع قمة أو وزراء الخارجية أو لقاء في الجامعة العربية! بل لأول مرة نجد أصواتاً عربية وقحة تخرج علانية في وسائل الإعلام أو عبر شبكات التواصل وتجاهر بتأييد إسرائيل في عدوانها على غزة، بحجة الانتقام من "حماس" باعتبارها تابعة لجماعة الإخوان المسلمين.

وللأسف؛ فإن قطاعات من الجماهير العربية تبنت هذا الخطاب الخائن والشائن، وأصبحت تردده، مما يكشف عن أزمة حقيقية في الشارع العربي اليوم، وهي نتيجة لسياسات مقصودة عبر الإعلام والتعليم، قصدت إخراج جيل ضائع تائه مشغول؛ إما بلقمة عيشه في واقع قاس يطحنه، أو جيل لاهت خلف شهواته ونزواته في واقع استهلاكي سريع الإيقاع، يمتص أموال الأغبياء ليصب في خزائن الخبثاء؛ من صناعات الموضة والصرعات والفن والإعلام والإجرام.

ومن آخر كوارث هؤلاء: ما جرى في "مهرجان الألوان"؛ الذي أقيم الأسبوع الفائت في عمّان، في تقليد للهنود، في الوقت الذي تُقصف فيه غزة بالصواريخ؛ حيث كانت المجاهرة بالفسق ومظاهر الانحلال والتفلت من الأخلاق وأحكام الشريعة.

(١) صحيفة "الغد"، (٢٠١٤/٨/٩).

ومن هنا أصبح هناك فراغ معرفي هائل بحقيقة القضية الفلسطينية، وتاريخها ومساراتها، وتضحيات الفلسطينيين والعرب والمسلمين، ومستقبل القضية؛ فضلاً عن الجهل بحقيقة العدو اليهودي الإسرائيلي، وأطماعه وألعيه وخداعه وإجرامه.

وفي ما يلي تعريف سريع بخمسة كتب مهمة في القضية الفلسطينية - لمن يرغب من جيل الشباب أو غيرهم في تفهم القضية بشكل أفضل؛ حتى يكون له موقف ودور أوضح وأنجح في حلها، والعمل من أجلها -:

١ - كتاب «أسباب كارثة فلسطين» للحاج أمين الحسيني - مفتي فلسطين، ورئيس الهيئة العربية العليا الفلسطينية -، وقد صدرت طبعته الأولى سنة (١٩٤٨) عن الهيئة العربية العليا، وكان عنوانه: (حقائق عن قضية فلسطين)، لكن دار الفضيلة بالقاهرة أعادت نشره قبل سنوات باسم الفصل الأخير منه.

والكتاب عبارة عن إجابات الحاج أمين الحسيني لأحد عشر سؤالاً عن خفايا القضية الفلسطينية، وهو يشكل شهادة الحاج أمين على مجريات الواقع؛ الذي كان أحد أبرز الفاعلين فيه، وتناولت قضايا مفصلة مثل: هل باع الفلسطينيون أرضهم؟ وبيان حقيقة جهاد الشعب الفلسطيني عن فلسطين بكل ما يملك، وحقيقة المواقف البريطانية الخيانية للعرب وفلسطين والانحياز لليهود، والموقف من قرار التقسيم، والموقف الأمريكي المبكر والمؤيد لليهود، ودور التيار البروتستانتي في ذلك، والأطماع الصهيونية، وكيف تسلل اليهود لفلسطين، وأسباب كارثة فلسطين وكيف يمكن حلها، وألحق بالكتاب ملاحق ووثائق وصور مهمة.

والكتاب يكشف عن وعي سياسي عميق ومبكر، ويوضح أولوية الدور الإسلامي وريادته في قيادة القضية الفلسطينية، وأنه هو التيار الوطني الحقيقي النابع من أعماق وجدور الشعب الفلسطيني، قبل نشوء التيار العلماني بمختلف تلاوينه، فالحاج أمين كان أحد تلاميذ مدرسة رشيد رضا "مدرسة الدعوة والإرشاد" في القاهرة.

٢ - كتاب «كيف ضاعت فلسطين» للدكتور عيسى الماضي، وقد صدر عن دار المعلا بالكويت سنة (١٩٨٨)، ورغم قلة صفحاته (١٥٠)؛ إلا أنه حلل البيئة الاقتصادية والثقافية والسياسية التي أفرزت ضياع فلسطين من أمة الإسلام.

وهذا الكتاب هو بحق كما وصفه مؤلفه بقوله: "لعل هذا اللون من الدراسة يعد رائدًا في موضوعه؛ حيث لم أعر على مثله، فإن الذين كتبوا عن السياسة والاقتصاد والثقافة في فلسطين كانت كتابتهم منحصرة في المواضيع التي كتبوا فيها، ولم يكن غرضهم: بيان أثرها في ضياع فلسطين".

وقد درس د. الماضي الجوانب الاقتصادية لفلسطين قبل ضياعها؛ من ناحية ثرواتها المتنوعة، ثم مسيرة الاقتصاد بعد الاحتلال، وأثر ذلك على ترك الزراعة والأعمال اليدوية والعمل عند اليهود، ورغم أن الغاية من هذه السياسة الاستعمارية: بيع الفلسطينيين للأرض بسبب الضرائب الباهظة، ولكن لم تتجاوز نسبة ما يبيع لليهود (٥%) من أرض فلسطين، علمًا بأن الذين باعوا هم ملاك من سوريا ولبنان وليسوا فلسطينيين.

وفي الناحية الثقافية؛ درس المؤلف واقع التعليم والطباعة والصحافة، والأندية والجمعيات الثقافية، والإذاعة والترجمة، وأيضًا دور إرساليات التبشير في فلسطين، وذلك كله بالمقارنة بين الفلسطينيين واليهود.

وفي الناحية السياسية؛ تناول النظام الإداري في فلسطين زمن الدولة العثمانية، ثم ظهور المسألة الشرقية وتأثيرها على الأتراك والعرب، ودور السلطان عبد الحميد في حماية فلسطين، ثم خداع بريطانيا للعرب والشريف حسين؛ حتى احتلت فلسطين وسلمتها لليهود.

والخلاصة المهمة: أن فلسطين لن تعود إلا بزوال الأسباب التي أضاعتها، ومن هنا تأتي أهمية الكتاب والتوسع في الموضوع.

٣- كتاب «بنو إسرائيل في القرآن الكريم» للدكتور محمد عبد السلام محمد، والكتاب أصدرته دار الفلاح بالكويت سنة (١٩٨٨)، ومعرفة حقيقة اليهود وبنو إسرائيل من القرآن معرفة ضرورية ومهمة؛ لأنها تكشف لنا حقيقة العدو الذي نواجهه.

وقد رأينا أن انحراف الساسة العرب عن رؤية القرآن لليهود - والتي تحذر من غدرهم وخيانتهم ونبذهم للعهود واستعلائهم واستعانتهم بالآخرين - جعلت العرب يدخلون متاهة السلام بدون أوراق قوة، ويكتفون بكلمة الشرف أو ضمانة أمريكية، فكانت النتيجة: تواصل العدوان البربري بالقتل للأبرياء، وتواصل التمدد الاستيطاني بالسرقة والاعتصاب، وتواصل الحفر تحت الأقصى؛ حتى بات مهددًا بالانهيار.

استعرض الكتاب من خلال القرآن الكريم - وهو أصدق كتاب عرفته البشرية - تاريخ بني إسرائيل، لأن ما يشيع اليوم عنهم كثير منه من كذبهم وافتراءهم، ولكن القرآن هو الذي يقدم الحقائق التاريخية الأكيدة عنهم؛ عبر التاريخ من نشأتهم من زمن يعقوب/إسرائيل عليه السلام وحتى إجلاء المسلمين بني قينقاع وبني النضير عن المدينة وفتح خيبر.

ثم تناول ما عرضه القرآن الكريم عن عقائد اليهود وشريعتهم، ثم تناول قصص أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام.

وختم الكتاب بإبطال مزاعمهم من كونهم شعب الله المختار وأصحاب أرض الميعاد، مع بيان صفاتهم التي وسمهم بها القرآن الكريم.

٤ - كتاب «وليتبروا ما علوا تبييراً» للشيخ عمر الأشقر، وقد صدر في عمّان سنة (٢٠١٠) عن دار النفائس، والكتاب يشكل ثقافة فلسطينية عامة للجيل الجديد حول قضية فلسطين، وحقيقة اليهود، وبشائر النصر القادم ودلائله.

وقد توزعت مباحثه بين عرض التآمر اليهودي لاغتصاب فلسطين، والجهود التي بذها المسلمون في فلسطين وخارجها للدفاع عنها، وأهمية فلسطين ومكانتها في الإسلام، وتعريف الجيل الجديد باليهود وحقيقتهم، وإبطال مزاعمهم في فلسطين، وبشائر قرب عودة فلسطين للمسلمين، وطريق استرجاعها، والتي لخصها الشيخ في: الالتزام بالإسلام، وأن نصبح ربانيين، والوحدة على أساس التقوى والإصلاح، وبناء القوة العسكرية الفائقة، وتولي ونصرة الله ورسوله والمؤمنين.

٥ - كتاب «قاموس الخداع الصهيوني»، وهو كتاب مترجم عن العبرية من قبل مركز الدراسات السياسية بغزة، وأصله كتاب سمي: (دليل إسرائيل ٢٠٠٩)، أعده خبير تواصل أمريكي كان مستشاراً لإدارة بوش الابن، وقد أصدرته مؤسسة "مشروع إسرائيل"؛ التي أسستها مجموعة من السيدات، وذلك بعد اهتزاز صورة إسرائيل إعلامياً عقب عدوانها على غزة سنة (٢٠٠٨)، وهو ما حدث اليوم - أيضاً - لكن للآن لا توجد جهود عربية منظمة وقوية ومدعومة من الدول العربية تعمل على استغلال تساقط سمعة إسرائيل لمحاصرتها وإضعافها سياسياً واقتصادياً.

والكتاب دليل عملي لأفضل الطرق للدفاع عن إسرائيل في وسائل الإعلام العالمية والعربية، وهو مخصص للساسة والدبلوماسيين والإعلاميين الإسرائيليين، كما أنه يكشف لنا عن عميق

إدراك إسرائيل للإعلام وحاجتها للدعم الخارجي، وأن الوسيلة لذلك هي: مخاطبة الرأي العام باحتراف ومهارة.

فهو يقدم - مثلاً - (٢٥) قاعدة للاتصال الفعال في الحديث عن قضايا إسرائيل في وسائل الإعلام بشكل عام، ثم يخصص فصلاً لمعالجة كل قضية على حدة، مثل: الإرهاب الفلسطيني، حماس وإيران، الجدار العازل، السلام، القدس، المستوطنات، الأطفال، الأمم المتحدة، وهكذا. والكتاب مفيد جداً لكل من يتحاور في الإعلام أو مباشرة مع الجمهور غير العربي؛ لمعرفة كيفية ترويح إسرائيل لباطلها، ويتم تفكيك منطق الخطاب الصهيوني من جهة وعكس استخدامه عليهم باستخدام تكتيكاتهم الإعلامية في التعريف بحقائق القضية الفلسطينية العادلة.



القدس
في قبضة الفاطميين

حال بيت المقدس في قبضة الفاطميين^(١)

من المعلوم ما لبيت المقدس من مكانة عالية في الإسلام؛ فقد كان هو القبلة الأولى للنبي ﷺ، ولمدة تزيد عن (١٣) سنة، قبل أن تتحول إلى مكة المكرمة: ﴿قَدْ نَزَى قَلْبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، كما أنه قد أسري بالنبي ﷺ قبل الهجرة بسنة تقريباً إليه من مكة المكرمة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، ومن هناك وفي نفس الليلة عُرج به ﷺ إلى سدرة المنتهى فوق السماء السابعة؛ كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

وقد أشار القرآن الكريم للمعراج النبوي في قوله ﷺ عن رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام على حقيقته: ﴿وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥)﴾ [النجم: ١٣-١٥].

ولمكانة بيت المقدس القيمة رحل الخليفة الفاروق رحمه الله بنفسه من المدينة المنورة إليها ليتسلم مفاتيحها سنة (١٥هـ)، ولم يفعل ذلك مع مدينة غيرها، وقد كان رهبان القدس وأخبارها امتنعوا عن تسليمها إلا لمن هو مكتوب عندهم صفته، وهي صفة الفاروق رحمه الله! وقد بقيت بيت المقدس منذ تلك اللحظة محل التقدير والاهتمام بعمارتها ورعايتها، حيث قام الفاروق بتأسيس المسجد القبلي، وتنظيف الصخرة من القمامة التي راكمها الروم عليها، ودخل كنيسة القيامة ولم يصل بها؛ حتى تبقى ملكاً للنصارى، وهو الأمر الذي استمر منذ ذلك الوقت إلا مدة قصيرة أيام الفاطميين سنشير لها بعد قليل، وبعد استرداد بيت المقدس على يد صلاح الدين تم إعادة كنيسة القيامة للنصارى وفاءً للعهد العمرية، ولكن بسبب تفرق النصارى واختلافهم إلى طوائف متعددة، وتحسباً لنشوب الصراعات بينهم حول من هو أحق بمفاتيح الكنيسة؛ عهد صلاح الدين بمفتاح الكنيسة إلى عائلتين مسلمتين هما: عائلة جودة وعائلة نسيية، واللتان تقومان بفتح أبواب الكنيسة وإغلاقها كل يوم منذ ذلك الوقت وإلى اليوم.

(١) صحيفة "الغد"، (٤/١/٢٠١٨).

وفي دولة بني أمية أضيفت لبيت المقدس أهمية سياسية - مع مكانتها الدينية -؛ حيث كان الخلفاء يجتمعون بولاتهم فيها، وكان الخليفة يؤم الناس في المسجد الأقصى بنفسه، وكانت الخطوة الكبرى في الاهتمام ببيت المقدس: بناء الخليفة عبد الملك بن مروان قبة الصخرة في سنة (٦٦هـ)، والتي أتمها ابنه الوليد سنة (٧٢هـ)، وبقيت لليوم معلماً فريداً يدلُّ على مكانة وتميز وفراة بيت المقدس عن سائر المدن في المعمورة.

وفي عهد العباسيين أصدر الخليفة أبو جعفر المنصور تقليداً يلزم الخلفاء العباسيين بزيارة القدس - ولو لمرة واحدة-، في تعبيرٍ عن أهمية بيت المقدس ومكانتها وشرفها.

ظل بيت المقدس محل الرعاية والاهتمام على تعاقب الخلافات والدول والإمارات والسلطنات التي حكمتها؛ إلا في زمن الدولة الفاطمية التي شذت عن تلك السياسة، وهو ما سنبيّنه في النقاط التالية:

١ - الدولة الفاطمية هي دولة شيعية إسماعيلية، قامت سنة (٢٩٧هـ - ٩١٠م) في تونس، وهي دولة عقائدية، سعت إلى نشر فكرها وهدم الخلافة العباسية، ثم توسعت فاستولت على مصر سنة (٣٥٨هـ - ٩٦٩م)، على يد جوهر الصقلي، بعد حملات عسكرية فاشلة سنتي (٣٠١هـ و ٣٠٦هـ)، والتي استبدلت بحملة غزو ديني عبر دعاة الفاطميين الشيعة؛ والذين تمكنوا من نشر دعوتهم في مصر واستقطاب الكثير من أهلها وقادتها للتبعية للفاطميين، مما سهّل سقوطها في حضن جوهر الصقلي دون قتال!

وفي نفس العام (٣٥٨هـ) تحرك جوهر الصقلي نحو بلاد الشام للسيطرة عليها، ومدّ سلطان الفاطميين هناك لتحقيق مطامعها، وفعلاً تمكن من الاستيلاء على فلسطين ودمشق في (٣٦٠هـ)، ومن هنا بدأ الحكم الفاطمي على الشام؛ والذي استمر لمدة قرن تقريباً، وشهد خلال ذلك مداً وجزراً بحسب الصراعات مع الخلافة العباسية والدول والإمارات والقوى الموجودة بالشام حتى سنة (٤٦٥هـ)؛ حيث طردهم السلاجقة من القدس.

٢ - ومنذ استيلاء الفاطميين على فلسطين والشام ومصر بدأوا في نشر عقيدتهم وفكرهم الشيعي؛ برغم أنهم تعهّدوا لأهل مصر أن لا يتدخلوا في شؤونهم الدينية، لكنهم - فور تمكنهم - غيروا الأذان وأضافوا له: "حيّ على خير العمل"، وفرضوه على الجماهير بالقوة، وفي زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي أضيف للأذان أيضاً: "أشهد أن محمداً وعلياً خير البشر".

وتُورد «الموسوعة الفلسطينية» قصة الفقيه الزاهد أبي القاسم الواسطي الذي تجاهل هذه العبارة في الأذان في المسجد الأقصى؛ فتمّت معاقبته بالسجن وقطع لسانه!!
ويسجّل خليل عثمانة في كتابه «فلسطين في خمسة قرون» أن الفاطميين منعوا صلاة التراويح في ليالي شهر رمضان المبارك، وأمروا بسبّ الشيخين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر الفاروق رضي الله عنه علناً، وكتابة ذلك السبّ على جدران بيوت السنة.

وتخيلوا مدى الجريمة التي يأمر بها الفاطميون.. أن الفاروق رضي الله عنه (فاتح بيت المقدس) يؤمر بسبّه في بيت المقدس نفسها! وسائر بلاد الشام ومصر!!

ومن المهم أن نتنبه إلى أن هذه الممارسات الطائفية التاريخية يتم تكرارها اليوم في تغيير الأذان، ومنع صلاة التراويح من قبل الحوثيين في صنعاء عقب احتلالهم لها! وفي العراق يتم قصف مساجد السنة والاستيلاء عليها وعلى كثير من الأوقاف السنية، وفي دمشق تُقام الطقوس الشيعية علناً وبطريقة مستفزة في المسجد الأموي!

٣- كان تعامل الفاطميين مع أهل الشام سيئاً، ويقوم على البطش والتنكيل؛ فعندما سيطر الفاطميون على مدينة الرملة نهب جنودهم المدينة، فقام الإمام أبو بكر النابلسي بالذهاب إلى قائد الفاطميين، وطلب منه أن يكف رجاله عن ذلك؛ فاستجاب له، وعندما لم يتوقف النابلسي عن التصدي لظلم الفاطميين طاردوه من الرملة إلى دمشق؛ حتى قبضوا عليه، وأرسلوه إلى مصر، فسُلخ جلده وهو حيّ، ثم ملئ تبناً، وعُلّق على جدار القصر في (داعشية) مبكرة! وذلك بعد أن ثبت في وجههم وصرّح لهم بقوله: "لو كان معي عشرة أسهم لرميتُ أهل الكفر بسهم، ورميت بالباقي الفاطميين".

ولم يرضخ أهل الشام لظلم الفاطميين؛ فكانوا يشورون ويحتجّون على بطشهم وظلمهم، وأورد المقرئزي أنه في مرة طلبوا من زعيم الفاطميين التخفيف من قمعهم وتنكيلهم؛ فقال لهم: "ما أعفو عنكم حتى تخرجوا إليّ ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور، فيتمرغن في التراب بين يديّ لطلب العفو!!" وهو موقف لا يختلف كثيراً عن موقف محافظ درعا قبيل قيام الثورة السورية؛ حين طلب من أهل درعا إحضار نساءهم!!

٤- ومع اعتداء الفاطميين على دين الناس وعقائدهم، وعلى أموالهم وأعراضهم وأرواحهم؛ قاموا بتأسيس دار للعلم مهمتها: بث الدعوة الإسماعيلية والعقيدة الشيعية بين الناس.

فالدولة الفاطمية دولة دعوية، قامت على نشر فكرها بين الناس، وسخرت لذلك جهازاً إعلامياً كبيراً، قاده داعي الدعاة في القصر الفاطمي.

وبسبب ذلك الجهد الدعوى الفاطمي تقلص عدد زوار القدس، وقُلَّ عدد العلماء فيها، وخلا المسجد الأقصى من الجماعات ومجالس العلم، ولم تعد القدس منارة للعلم كعادتها على مر العصور قبل الفاطميين وبعدهم.

٥- ولم يقتصر البطش الفاطمي في القدس على المسلمين السنة، بل شمل ظلمهم النصارى واليهود -أيضاً- في سنة (٣٩٥هـ)، وتصاعد ذلك في سنة (٤٠٣هـ) حين أصدر الخليفة الفاطمي أمراً بأن يعلق النصارى في أعناقهم صلباناً من الخشب، طول الواحد منها ذراع وعرضه ذراع، ووزنه خمسة أرتال! وأن يعلق اليهود في رقابهم قرامي من الخشب (بمثابة رأس العجل الذي عبده)، وزن الواحد منها خمسة أرتال أيضاً!!

وكان الحاكم بأمر الله الفاطمي في سنة (٣٩٩هـ) أمر بهدم بعض كنائس القاهرة وكنيسة القيامة في القدس، وأمر كاتبه النصراني ابن عبدون بكتابة ذلك الأمر! فهُدمت كنيسة القيامة سنة (٤٠٠هـ)، وبقيت مهدمة سنوات طويلة؛ حتى رضخ الفاطميون لضغط البيزنطيين سنة (٤١٩هـ) وسمحوا بإعادة بنائها.

وهذا الهدم لكنيسة القيامة هو اعتداء على العهدة العمرية التي أقرتها وحمتها عبر القرون قبل أن يكون اعتداءً على الكنيسة نفسها، والتي كان هدمها أحد مبررات وأسباب الهجوم البيزنطي على بلاد الشام والحملات الصليبية؛ التي نجحت - لاحقاً - في احتلال القدس.

٦- وبعد أن تمكّن السلاجقة من طرد الفاطميين من القدس سنة (٤٦٥هـ) بقيت خلاياهم تعمل لصالحهم، ولما انشغل السلاجقة بمقاتلة طلائع الصليبيين الزاحفة على بلاد الشام، ومقاومة نشوء الإمارات الصليبية في الرها وأنطاكيا، والدفاع عن المدن الإسلامية في شمال الشام؛ استغل الفاطميون ذلك بتواطؤ مع أتباعهم في القدس وهاجموها سنة (٤٩١هـ)، واستولوا عليها، في موقف غادر بالمصلحة الإسلامية.

ويزداد الغدر دناءة حين نعرف أن الفاطميين كانوا قد تفاوضوا مع الصليبيين من قبل على إقامة حلف معهم ضد السلاجقة، نعرف مقدار جريمتهم ومشاركتهم في ضياع بيت المقدس واحتلالها؛ حيث لم يتصدوا للصليبيين ولم يساندوا المقاومين والمدافعين من السلاجقة، بل خذلوهم

وقاتلوهم، كحال محور المقاومة والممانعة اليوم الذي يتفرج على احتلال القدس، ويطلق لها التغريدات والشعارات! ويطلق على أهل الشام الصواريخ والبراميل المتفجرة!
 بل يتهم ابن الأثير الفاطميين بأنهم هم من حرّض الصليبيين على مهاجمة الشام؛ نكايّةً بخصوصهم السلاجقة، ولما نجح الصليبيون بإلحاق الهزيمة بالسلاجقة نقضوا اتفاقهم مع الفاطميين، وتوجهوا لبيت المقدس الذي كان بيد الفاطميين وردّوا وفدهم، ورغم مرور أشهر على النقض واستنجد والي القدس الفاطمي بخليفته الفاطمي ووزيره الأفضل لنجدته؛ والذي كان في وضع جيد، وتمكن من صد هجوم الصليبيين أكثر من (٤٠) يوماً، لم تصل نجدة الخليفة الفاطمي أبداً للقدس، بل وصل الأفضل لعسقلان بعد (٢٠) يوماً من سقوط القدس بيد الصليبيين، والذين قضوا أسبوعاً كاملاً يقتلون فيه المسلمين؛ رجالاً ونساءً وأطفالاً؛ حتى بلغ عدد القتلى أكثر من (٧٠) ألفاً!

ولذلك كانت أولوية نور الدين زنكي وصلاح الدين لتحرير بيت المقدس القضاء على الدولة الفاطمية؛ لتوحيد المسلمين وتوحيد مصر والشام، والتخلص من الأطماع الطائفية والخيانات مع الصليبيين.

هذه هي أبرز المحطات في تاريخ القدس زمن الفاطميين؛ والتي لا يدركها كثير من المقدسيين والفلسطينيين والعرب والمسلمين، وما لم ندرك تاريخ القدس ومحطاته ونفحص دروسه وعظاته لن نتمكن من نصرته والدفاع عنه في حاضرنا ومستقبلنا.





**استرداد القدس
على يد صلاح الدين**

كيف تحرر الأقصى على يد صلاح الدين؟^(١)

تمر بنا كل عام ذكرى تحرير المسجد الأقصى المبارك على يد صلاح الدين من الصليبيين الملاعين؛ الذين دنسوه عام (٤٩٢هـ)، واستطاع صلاح الدين أن يحرره بعد (٩١) عامًا؛ وذلك في عام (٥٨٣هـ)، ترم هذه الذكرى وأرض الأقصى تحت احتلال جديد، هذه المرة على يد اليهود -لعنهم الله!-

وتشهد أرض فلسطين انتفاضة مباركة -إن شاء الله-، سميت بـ "انتفاضة الأقصى المبارك"، ومساهمة في دفع العدوان عن هذا المسجد، وتخليدًا لذكرى هذا البطل المجاهد؛ أحاول أن أبين الجهود العظيمة والخطوات المهمة التي أثمرت -بإذن الله- عودة الأقصى للمسلمين أول مرة ليعود -إن شاء الله- هذه المرة:

أولاً: استعادة بيت المقدس كانت ثمرة جهود متعددة ولأجيال متلاحقة:

يقول الأستاذ وليد نويهض: "لم تأت -إذن- انتصارات صلاح الدين من فراغ، ولم تكن النتائج العسكرية التي حققها من دون مقدمات سياسية وتنظيمية وإدارية وإصلاحية وإحيائية، امتدت على أكثر من قرن إلى أن بدأ قطف ثمارها في عهدي عماد الدين زنكي ونور الدين محمود زنكي؛ الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للتحويلات الكبرى التي شهدتها بلاد الشام ثم مصر"^(٢).

ويقول -أيضاً-: "فالتحويلات الكبرى التي شهدتها المنطقة في نهاية القرن السادس الهجري سبقتها حركات إصلاحية، تمثلت في مسألتين: إحياء علوم الدين، واسترداد الدولة (الخلافة العباسية) مواقعها، ونتج عن المسألتين والجهود التأسيسية التي قام بها الجيل الإصلاحية الأول من العلماء والفقهاء: إطلاق حركة سياسية-دينية، رغم حالات الإرباك والإجباط التي واجهته لحظة بدء حملات الفرنجة الأولى، فبين مرحلة التأسيس (٤٦٠هـ) وإلغاء الدولة الفاطمية في مصر وإعادة توحيد مصر والشام (٥٦٧هـ)؛ أكثر من قرن، شهدت خلاله المنطقة حالات من الصعود والهبوط والهجوم المضاد، إلى أن أخذت تستقر الأمور في مطلع القرن الهجري السادس.

(١) مجلة "القبلة"، (١٢/٦/٢٠١٤).

(٢) وليد نويهض، «صلاح الدين الأيوبي.. سقوط القدس وتحريرها: قراءة معاصرة»، (ص ٧٤ و٧٨).

فالجيل الأول أسس لظهور الجيل الثاني (ولد نور الدين محمود ٥١١هـ)، ومهد الجيل الثاني طريق تحرير القدس للجيل الثالث (ولد صلاح الدين ٥٣٢هـ)، واحتاجت الحركة الإصلاحية- الإحيائية مئة سنة لثمر النتائج السياسية التي أدت إليها، وتصد هجمات الإفرنج، وتبدأ بهزيمتهم^(١).

ويقول الأستاذ محمد العبدية: "فمثل صلاح الدين ومن قبله نور الدين لا يأتیان بدون تمهيدات وإرهاصات"^(٢).

ويقول الدكتور ماجد الكيلاني: "إن صلاح الدين لم يكن في بدايته سوى خامة من خامات جيل جديد، مر في عملية تغيير غيرت ما بأنفس القوم؛ من أفكار وتصورات وقيم وتقاليده وعادات، ثم بوأتهم أماكنهم التي تتناسب مع استعدادات كل فرد وقدراته النفسية والعقلية والجسدية، فانعكست آثار هذا التغيير على أحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية"^(٣).

ثانياً: لماذا احتاجت عملية تحرير الأقصى كل هذه الجهود الضخمة والأجيال المتعاقبة؟

لم تكن الحاجة إلى كل هذه الجهود إلا بسبب تردي أحوال المسلمين قبيل الغزو الصليبي؛ على كل الأصعدة السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك بسبب الجهل بأحكام الدين، وعدم القيام بأحكامه وأوامره، لأن العلم بالدين والقيام به يحقق للمسلمين رضا الله والسعادة في الدنيا، قال ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

وهذه نبذة سريعة مختصرة عن أحوال المسلمين في ذلك العصر:

١ - من الناحية الدينية:

لقد ساد الجهل، والبعد عن أحكام الدين، وانتشار البدع والخرافات والفرق الضالة والباطنية؛ التي كوَّنت إمارات ودولاً مستقلة^(٤).

(١) المصدر السابق، (ص ٧٤ و ٧٨).

(٢) محمداً العبدية، «أعياد التاريخ نفسه؟» (ص ٦).

(٣) د. ماجد الكيلاني، «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ١٦).

(٤) المصدر السابق، (ص ٢٧).

٢- ومن الناحية السياسية:

كان هناك خلافتان: عباسية سنية في بغداد، وفاطمية شيعية في مصر، وكانت بينهما حروب، استعان الفاطميون فيها بالصليبيين على العباسيين! وأعاقوا تحرير القدس وحرب الصليبيين، وقاموا باغتيال كثير من الأمراء والعلماء الذين كانوا ضد الصليبيين^(١).

٣- أما الحالة الاقتصادية:

فقد عمّ الغلاء واحتكار الأقوات، وترف الأغنياء وشيوع الفقر، وكثرة الضرائب؛ حتى (بيعت البيضة بدينار)^(٢).

يقول المؤرخ أبو شامة عن أحوال الناس في ذلك الزمان: "كانوا كالجاهلية! همّة أحدهم: بطنه وفرجه، ولا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا!"^(٣).

ويقول الرحالة ابن جبير عن أهل المشرق: "وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية؛ فأهواء وبدع، وفرق ضالة وشيع؛ إلا من عصمه الله ﷻ من أهلها"^(٤).

وبعد هذا الاستعراض السريع لحال المسلمين في القرن الخامس الهجري؛ هل سيكون بإمكان المسلمين منع الصليبيين من احتلال بيت المقدس عام (٤٩٢هـ)؟

وهل يمكن أن تكون استعادة بيت المقدس على يد صلاح الدين عام (٥٨٣هـ) بعد (٩١) عامًا من الاحتلال نتيجة جهد فردي لقائد؟ أم أنه لا بد أن يكون ثمرة جهود ضخمة لأجيال متعددة وعلى مستويات مختلفة؟

هذا ما سنعرفه عبر بعض المحطات المهمة من تاريخ إعادة بيت المقدس على يد صلاح الدين.

(١) «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٩١)، «قبل أن يهدم الأقصى» (ص ٥٤)، «أعيد التاريخ نفسه؟» (ص ٧٥)، ولمزيد من التوسع في معرفة دور الفاطميين والباطنية انظر: كتاب «أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين»، يوسف إبراهيم، (ص ١٣٩).

(٢) «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي، (٢١٣/٥)، عن «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٧٧)، «أعيد التاريخ نفسه؟» (ص ١٨).

(٣) «كتاب الروضتين» (ص ٧)، عن «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٨٤).

(٤) «رحلة ابن جبير» (ص ٥٥)، عن «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٨٥).

ثالثاً: ماذا كانت ردة الفعل عند المسلمين حين سقطت بيت المقدس؟
للأسف لم يتحرك أحد لنصرة الإسلام وبيت المقدس! وذلك بسبب ما قدمنا من أحوال المسلمين؛ ولذلك قال القاضي أبو المظفر الأبيوري يرثي القدس:

وإخوانكم بالشام يضحى مقليلهم ظهور المذاكي وبطون الشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى رماحهم والدين واه الدعائم
فليتهم إذ لم يذودوا حمية عن الدين ضنوا غيره بالمحارم^(١)

رابعاً: إذاً؛ كيف تحوّل المجتمع الإسلامي من هذه الحالة السيئة على كل الأصعدة إلى حالة الوحدة والنصر على يد صلاح الدين؟

أ- لا بد من اليقين دائماً أن هذا الدين هو الدين الحق الذي سيظهره الله على سائر الأديان، ولكن لا يكون ذلك إلا بالأخذ بالأسباب الشرعية والكونية، ومن ذلك: أنه حين بدأت الدولة الفاطمية (الشيعة) تهاجم وتحارب الخلافة العباسية (السنية) حتى قامت بانقلاب عسكري في بغداد عاصمة الخلافة عام (٤٥٠هـ) بقيادة البساسيري الذي عزل الخليفة العباسي (السنيني)، ودعا للخليفة الفاطمي (الشيعة)، وبدأ بقتل العلماء والأمراء السنيين^(٢).

كان أثر هذا الاعتداء على الخليفة والخلافة والعلماء السنيين: أن هبت الدولة السلجوقية - التي تأسست عام (٤٣٠هـ) في بلاد الترك - لنجدة الخلافة العباسية عام (٤٥١هـ)؛ فدخلها طغرل بك وقتل البساسيري، وأشاع العدل والأمن في بغداد، وهنا بدأت الخلافة تعود لها الهيبة والقوة شيئاً فشيئاً؛ وذلك بالاستناد على قوة الدولة السلجوقية الصاعدة.

ب- كان من أعظم حسنات الدولة السلجوقية: وزيرها نظام الملك؛ الذي كان وزيراً عند السلطان السلجوقي ألب أرسلان وعند ابنه من بعده السلطان ملكشاه مدة (٣٠) عاماً، وكان

(١) «الكامل» لابن الأثير، (٢٨٤/١٠)، عن «أعياد التاريخ نفسه؟» (ص ٣٤).

(٢) «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٨٩)، و«التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر، (٢٠١/٦)، «أعياد التاريخ نفسه؟» (ص ٦٧).

صاحب دين وذكاء وعلم، وكان من أهم مآثره: أنه أنشأ المدارس فجعل للطلبة مرتبات، وعرفت هذه المدارس بالمدارس النظامية عام (٤٥٩هـ)، ودرس بها كبار العلماء في ذلك العصر، وألّفوا كثيراً من الكتب التي عالجت أمراض المسلمين في زمانهم، مثل: «أدب الدنيا والدين» للإمام الماوردي، وله كتاب «الأحكام السلطانية»، وألّف الجويني «غياث الأمم في التياث الظلم».

وكان لهذه الكتب والمدارس دور كبير في إخراج المسلمين من الجهل والبعد عن الدين والفرقة والوقوع في شبهات الفرق الضالة الباطنية، وكانت العلاقة بين العلماء والأمراء علاقة طيبة، ولذلك سعت للقضاء عليها عن طريق اغتيال المشرف والمؤسس لها؛ وقد نجحوا في اغتيال الوزير نظام الملك عام (٤٨٥هـ)، قبل سقوط القدس بسبعة أعوام! وقام بعده بهذه المهمة ابنه فخر الدين، فقتلوه -أيضاً- عام (٥٠٠هـ)^(١).

ج- ومن أعظم الأشياء التي قام بها -أيضاً- الوزير نظام الملك: أنه كان يُعيّن النابغين من طلاب المدارس النظامية وغيرهم من أصحاب الكفاءة في الأماكن القيادية والإدارية، ومن ذلك: أنه أشار على السلطان ملك شاه بتولية (آمد سنقر قسيم الدولة) مدينة حلب وحماة ومنبج واللاذقية، وذلك بسبب جهوده في الجهاد وحسن سياسته في إدارة البلاد التي حكمها، وفي عام (٤٨٧هـ) قُتل وخلفه ابنه عماد الدين زنكي؛ الذي سار على خطى والده، وأظهر الكفاءة والشجاعة في حروب الصليبيين^(٢).

ولما عين عماد الدين على ولاية الموصل واجه تحديات الصليبيين؛ فبدأ في بناء دولته، وتفرغ لحرب الصليبيين، ولم يهتم بالصراع الدائر بين المسلمين! واستعان بتلاميذ المدارس النظامية؛ فكان وزيره مروان الطنزي ممن درس في بغداد على يد علمائها؛ الذين دعمهم نظام الملك، بدأ عماد الدين بتوحيد أكثر أقاليم الجزيرة ثم بلاد الشام، واستعان بالسلطان السلجوقي في الدفاع عن بغداد، ثم بدأ بحرب الصليبيين وتحقيق الانتصارات عليهم، وتوجّه بعد ذلك لفتح (الرها) -هي أول إمارة صليبية في بلاد المسلمين-؛ ففتحها عام (٥٣٩هـ).

(١) «أعياد التاريخ نفسه؟» (ص ٦٨)، «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ١٠٣)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي،

(٩٤/١٩)، «صلاح الدين قراءة معاصرة» (ص ٤٧).

(٢) «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٢٨٥).

وكان ينوي مواصلة حرب الصليبيين؛ لكنه قتل عام (٥٤١هـ)^(١).
 د- بعد وفاة عماد الدين زنكي؛ حمل الراية ابنه نور الدين محمود زنكي، وكان نعم الخلف لخير
 سلف، فلقد استمر في حرب الصليبيين والدفاع عن أرض المسلمين، والعمل على توحيد الصف
 الإسلامي؛ ولذلك عمل على إنهاء الخلافة الفاطمية في مصر، وقال في ذلك: "وما قصدنا بفتحها
 [مصر] إلا فتح الساحل وقلع الكفار"^(٢).

ولما أرسل جيشاً إلى مصر وقت دبّ الخلاف والنزاع بين الفاطميين؛ ليكون عوناً لأحد
 الأطراف بقيادة أسد الدين شيركوه، وبعد وفاة أسد الدين عُيِّن صلاح الدين بدلاً عنه، وطلب منه
 القضاء على الدولة الفاطمية، فكان لصلاح الدين شرف القضاء عليها، وهي التي حاربت الخلافة
 وناصرت الصليبيين، ونشرت البدعة والضلالة قبل أن ينال شرف فتح بيت المقدس عام
 (٥٨٣هـ).

واستمر نور الدين في حرب الصليبيين حتى أرجع أكثر من (٥٠) مدينة منهم، وعزم على فتح
 بيت المقدس؛ فأمر ببناء منبر للمسجد الأقصى، ولكنه توفي عام (٥٦٩هـ) قبل أن تقر عينه
 بالأقصى.

وكان لتوحد الشام ومصر تحت قيادته أثر هائل في المسلمين والصليبيين.
 ه- وبعد وفاة نور الدين تسلم الراية صلاح الدين - أكبر قواد نور الدين -؛ والذي حقق الله
 على يديه فتح بيت المقدس عام (٥٨٣هـ) بعد (١٤) عاماً من تسلمه القيادة العامة وتأسيس الدولة
 الأيوبية.

ولقد قام صلاح الدين بالعديد من الأعمال والحيل التي مكّنته من فتح بيت المقدس؛
 ومن ذلك:

١ - القضاء على الدولة الفاطمية عام (٥٦٤هـ).

(١) «التاريخ الإسلامي» (٢٨٢/٦)، «أعياد التاريخ نفسه؟» (ص ٧٩)، «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٢٨٧).
 (٢) «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي، (٣٣٦/٥)، بواسطة «مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين»، د. عبد الله
 الغامدي، (ص ٢١).

٢- لم يبدأ من اليوم الأول في الهجوم على الصليبيين بل تأخر من أجل الإعداد والمراقبة، وتصفية الخلافات مع ورثة نور الدين والخلافة العباسية وبعض الأمراء في نواحي الفرات والجزيرة.

٣- عمل على تحصين مصر وتجهيزها للدفاع برًا وبحرًا؛ ولذلك أرسل قوات إلى اليمن لتأمين خطوط المواصلات البحرية والتجارية، وقطع الطريق على الصليبيين.

٤- استغل اختلاف المصالح التجارية بين الدول الصليبية؛ فعقد اتفاقات تجارية مع التجار الأوروبيين لوقف تمويلهم حروب الصليبيين، مقابل امتيازات وإعفاءات جمركية.

٥- استغل التناقضات الداخلية بين الدولة البيزنطية والدول الأوروبية اللاتينية، وكذلك الاختلاف بين المسيحيين العرب والمسيحيين الأوروبيين.

٦- اهتم ببناء أسطول بحري^(١).

ومما لا يعلمه كثير من الناس: أن صلاح الدين لم يكن يستطيع أن يبقى (١٤) عامًا في حرب مستمرة مع الصليبيين؛ لذلك كانت هناك الكثير من فترات الصلح والسلم التي شهدت رخاء اقتصاديًا؛ من أجل تغطية ما يلزم للحرب القادمة^(٢).

وتوالت انتصارات صلاح الدين؛ حتى توجت بمعركة حطين (٥٨٣هـ)، وبعدها دخل بيت المقدس عنوة، عندها حشد الصليبيون الحملة الصليبية الثالثة؛ والتي حققت بعض الانتصارات حتى وصلت أسوار القدس، وانتهت بعقد الصلح مع صلاح الدين عام (٥٨٨هـ)، وتوفي بعدها صلاح الدين عام (٥٨٩هـ)^(٣).

و- ويجب أن نعرف أن العمل العسكري ليس هو الجهد الوحيد الذي قام به هؤلاء القادة (عماد الدين، ونور الدين، وصلاح الدين)، بل لقد كانت لهم جهود مهمة جدًا على الأصعدة الأخرى، هي التي جعلت العمل العسكري يصل لمبتغاه.

(١) لمزيد من التوسع في تفاصيل هذه الخطوات انظر: «صلاح الدين قراءة معاصرة» (ص ٩٤-١١١)، «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٣٤٣).

(٢) «صلاح الدين قراءة معاصرة» (ص ١١٠).

(٣) «التاريخ الإسلامي» (٦/٣٣٢).

ومن هذه الجهود:

(أ) القضاء على الدولة الفاطمية والحركات الباطنية؛ لما لها من أثر سيئ في دين ودينا المسلمين، والتعاون مع الأعداء^(١).

(ب) مواصلة مسيرة الوزير المخلص نظام الملك في بناء المدارس ورعاية العلماء وطلبة العلم ونشر حلقات التدريس؛ لبناء جيل جديد يتحمل أعباء الجهاد ومشاقه، ومحاربة الأفكار الضالة والبدع والخرافات في حياة المسلمين^(٢).

(ج) بناء المساجد والحصون والأسوار، وجعل الأوقاف ورعاية الأيتام والفقراء^(٣).

(د) دعم القضاء وزيادة سلطانه، وعدم التعدي عليه من الأمراء والقادة^(٤).

(هـ) الاهتمام بإخراج القيادات ذات الصبغة الإسلامية، السليمة ومنها - للفائدة -: القائد الأمير بهاء الدين قراقوش؛ الذي كان عالماً فقيهاً؛ فقد كان والي صلاح الدين على عكا وكانت له مآثر عظيمة؛ منها: أنه بنى سور القاهرة وقلعة الجبل فيها، وكان له جهود مشكورة في القضاء على الدولة الفاطمية الشيعية.

ولذلك كان الشيعة وراء الإشاعات والأكاذيب عليه، وألّفوا فيه كتاب «الفاشوش في أحكام قراقوش»^(٥).

و- كان من أهم الجهود في استعادة بيت المقدس: إعداد أبناء النازحين من بيت المقدس للجهاد؛ فكانت توفر لهم الإقامة والتعليم، ثم يعودون إلى الثغور والمرابطة، وكانوا يعرفون باسم: "المقادسة"^(٦).

(١) «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٩١)، «قبل أن يهدم الأقصى» (ص ٥٤)، «أعيد التاريخ نفسه؟» (ص ٧٥).

(٢) «أعيد التاريخ نفسه؟» (ص ٧٠)، «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٢٩١).

(٣) «أعيد التاريخ نفسه؟» (ص ٨٠)، «صلاح الدين قراءة معاصرة» (ص ٩٤).

(٤) «أعيد التاريخ نفسه؟» (ص ٨٣).

(٥) «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٣٠١).

(٦) المصدر السابق، (ص ٣١٩).

ز- الاهتمام بالناحية الاقتصادية؛ فأزالوا الضرائب والتزموا الشرع فيها، فأخرج التجار أموالهم، وازدهرت الحياة، واهتموا بإعمار المدن، وصرفوا عليها الملايين، وتركوا حياة الترف، وأقاموا الفنادق وخزانات الماء والجسور^(١).

ح- اهتموا بالصناعات الحربية ودعمها، ومن ذلك: إنشاء ديوان للأسطول البحري، ودور لصناعة السفن في ثلاث مدن هي: القاهرة، الإسكندرية، دمياط^(٢).

وأخيراً؛ هذه لمحات سريعة من تاريخ استعادة الأقصى أول مرة - فك الله أسره-؛ لنعرف أموراً عدة:

١- ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

٢- إن كثيراً مما جرى بالأمس يجري اليوم.

٣- إن الطريق لعودة الأقصى هي: العودة إلى الله عن طريق العلم الصحيح والعمل به، والتعاون بين الأمراء المخلصين والعلماء الصادقين، والجهد الشاق الطويل.



(١) «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» (ص ٣٣١).

(٢) المصدر السابق، (ص ٣٤١).

بماذا انتصر صلاح الدين؟^(١)

إن انتصارات صلاح الدين واسترداده لبيت المقدس أصبحت نموذجاً تقتدي به الأجيال من بعده، بسبب عوامل التشابه الكثيرة مع الواقع الذي تحرك فيه البطل صلاح الدين الأيوبي، ولم يخالف في أهمية ومركزية تجربة صلاح الدين سوى محسن الأمين؛ منطلقاً من دوافع طائفية بحتة، مما حدا بالمؤرخ السوري الكبير مصطفى شاكر أن يفند مغالطاته في كتابه «صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه».

ومع الأسف! لا يزال غالب تعلقنا بصلاح الدين هو تعلق عاطفي منبهر بالبطولة والإنجاز، أكثر من التعلق العلمي الموضوعي القادر على تحويل هذه التجربة إلى قواعد ومبادئ، يمكن تحويلها إلى آليات وإجراءات محددة مع تطويرها بما يلائم متطلبات الحاضر!

ويتبدى هذا التعلق العاطفي بكثرة الكتابات التمجيدية لصلاح الدين أكثر بكثير من الكتابات التحليلية لتجربته، وقد انعكست هذه الكتابات التمجيدية لصلاح الدين على ضحالة وسطحية ثقافة عامة الناس بل وقادة الحركات والجماعات الإسلامية تجاه صلاح الدين وإنجازاته، فأصبح كثير من الناس يعتقد أن مشكلة المسلمين اليوم هي عدم توفر قائد مثل صلاح الدين يعيد لنا المجد والقوة!

إن فكرة انحصار النصر بشخص القائد هي من الأفكار الصوفية؛ والتي ساهمت بشكل كبير في تخلف أمتنا، لأنها أورثت الكثيرين الكسل والتواكل وعدم المبالاة، كما أنها تعمل على تبرير الاستبداد والطغيان، وترك الاهتمام بالحصول على الأسباب المعينة على النصر.

ومن أجل تلافي هذه المزالق عزل الفاروق عمر بن الخطاب سيفَ الله خالد بن الوليد؛ حتى لا تتعلق قلوب المسلمين بالبطل عن تحصيل الأسباب الجالبة للنصر - بإذن الله ﷻ -.

إن عظمة صلاح الدين لا تتجلى فقط في انتصاراته وفتوحاته وتحرير بيت المقدس، بل العظمة الحقيقية لصلاح الدين: أنه كان مدرّكاً بكل وضوح أن عوامل وأسباب انتصاراته ليست مرتبطة

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/٦/٢٠١٤).

بشخصه أو بالقتال العسكري المجرد، بل هي متعلقة بفريق متكامل من الشخصيات يملك رؤية وبرنامجاً للوصول للنصر.

ومن أوضح الدلائل على إدراك صلاح الدين للدور المركزي لفريقه في حصول النصر: نسبته هذا النصر لمساعدته القاضي الفاضل عبد الرحيم اليبساني العسقلاني، حين أعلن صلاح الدين لجنوده: "لا تظنوا أنني فتحت البلاد بالسيوف! إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل".

إن هذا التصريح الخطير من صلاح الدين يحتاج منا إلى دراسة مفصلة لدور القاضي الفاضل، ومدى تأثيره، والأسباب التي دعت صلاح الدين لنسبة النصر إليه، بل لقلمه!!

الإجابة عن بعض هذه الأسئلة قامت بها د. هادية دجاني؛ التي اهتمت بأدب القاضي الفاضل في رسالتها للماجستير منذ سنة (١٩٦١)، ومن ثم واصلت ذلك في رسالة الدكتوراه لجامعة ميتشيغن، وواصلت تطوير وتوسيع البحث بدعم من جامعة تورنتو؛ لتخرج لنا سنة (١٩٩١) كتاب «القاضي الفاضل عبد الرحيم اليبساني العسقلاني، دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته».

أظهرت دراسة د. هادية أن محورية دور القاضي الفاضل في جهود صلاح الدين جاءت من شخصيته وموقعه؛ فقد كان صاحب شخصية قوية، تمتاز بالذكاء والدهاء مع الحكمة، ويتمتع بثقافة واسعة جداً مع قدرة على التعبير والكتابة، هذه الصفات المتعددة منحت القاضي الفاضل الفرصة - وهو في سن السابعة عشرة!- للتدرج في ديوان الدولة الفاطمية؛ رغم أنه وافد على القاهرة من فلسطين، حتى وصل إلى منصب رئاسة ديوان الجيش، وهو يعد من أعلى المناصب الإدارية في الدولة الفاطمية بمصر.

فحين آلت أمور وزارة مصر إلى صلاح الدين بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه؛ وجد صلاح الدين القاضي الفاضل من كبار القائمين بشؤون الدولة، وكان صلاح الدين بحاجة إلى رجل يتصف بالكفاءة والثقة يمكنه من إدارة مصر؛ فوجدها في القاضي الفاضل، وكان القاضي الفاضل بحاجة لقائد يمكن له الحفاظ على مصر من أطماع الفرنجة؛ فوجدها في صلاح الدين، ومن هنا وعلى هذا بدأت مسيرة التعاون المباركة بينهما من سنة (٥٦٤ هـ) وحتى وفاة صلاح الدين (٥٨٩ هـ).

وبحكم وظيفته كرئيس للديوان الذي يضطلع بمسؤولية وزارات الداخلية والخارجية والإدارة المحلية في عصرنا؛ كتب القاضي الفاضل كتاب تولية صلاح الدين، لخص فيه لصلاح الدين المسؤوليات المطلوبة منه والمهام المتوقعة منه، فكان منها: التنبيه على أحوال مصر الاقتصادية، وضرورة التخفيف من أعباء الناس المالية، والحث على الجهاد وحماية الدولة من أطماع الفرنجة.

فكانت هذه أول مبادرة من قلم القاضي الفاضل لتنفيذ مشروع صلاح الدين، وتوالت بعد ذلك مساهمات قلم القاضي الفاضل من التوجيهات الإدارية للولاة والموظفين في كافة شؤون الدولة؛ لإنجاح مشروع صلاح الدين بإلغاء الضرائب الظالمة، مما قرب صلاح الدين للرعية، والقيام بالدعاية لحكم ومشروع صلاح الدين في البلاد؛ من خلال إشاعة العدل وفرض هيبة القانون، وكشف المؤامرات ضد صلاح الدين، وإرسال الرسائل لجلب التأييد لصلاح الدين من الخليفة العباسي والقائد نور الدين، ومتابعة شؤون الإمدادات للوحدات المقاتلة، ورعاية إقامة التحصينات في الخطوط الخلفية لجيش صلاح الدين، والإشراف على المفاوضات التي يجريها صلاح الدين مع جيوش الصليبيين، ووضع نصوص المعاهدات والهدنة التي يعقدها صلاح الدين، سوى تزويد صلاح الدين بتقارير وافية عن أحوال الدولة.

باختصار؛ قام قلم القاضي الفاضل بدور اجتماعي اقتصادي إصلاحي، ودور عسكري إداري، ودور تخطيطي إستراتيجي.

كما كان لقلم صلاح الدين دور هام على الصعيد الشخصي لصلاح الدين؛ حيث كان يرسل له رسائل في المواقف الصعبة والمفصلية، بما يعين صلاح الدين على تجاوز المحن والفتن، ومما يدل على عمق الصلة الشخصية بينهما: أن صلاح الدين كان في غيبوته أثناء مرضه ينادي على القاضي الفاضل؛ رغم أنه لم يكن في البلدة التي هو فيها أصلاً!

من هذا العرض السريع؛ يتضح مركزية دور القاضي الفاضل، وسبب إناطة صلاح الدين النصر بقلمه، وهذا يدل على أهمية البطانة الصالحة والمساعدين للقائد في تحقيق النجاح.



«صلاح الدين الفارس المجاهد والمك الزاهد**المفتري عليه»^(١)**

هذا الكتاب القيم في موضوعه ومادته هو من تأليف المؤرخ الكبير الأستاذ شاعر مصطفى، وقد صدرت طبعته الأولى عام (١٩٩٧م)، وبين يديّ الطبعة الثالثة التي صدرت عن دار القلم الدمشقية، سنة (٢٠١٤م)، في (٤٢٤) صفحة من القطع الكبير.

ولهذا الكتاب قصة؛ من المهم معرفتها، وقد أوردها د. محمد مؤنس عوض في كتابه «صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة»؛ فقال في صفحة (٣٠): "وفي عام (١٩٩٥م) فوجئ المؤرخون العرب بدراسة أعدها المؤرخ الشيوعي اللبناني حسن الأمين بعنوان: "صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين"، كما نشر مقالة في مجلة "العربي" الكويتية - واسعة الانتشار - عدد (٤٤٢) بعنوان: "صلاح الدين الأيوبي نظرة مختلفة".

وفي الكتاب وكذلك المقالة نجد مؤرخاً يهاجم السلطان صلاح الدين الأيوبي على نحو لم يحدث منذ ما زاد على ثمانية قرون! ولا مرأى في أن الهجوم كان هجوماً مندفعاً لا يتسم بالموضوعية؛ لم نجده لدى أي مؤرخ عربي، بل وأوربي، حيث اتهمه بالخيانة، وذكر أنه يستوجب القتل!!!
والدراسة المذكورة أكاديمية الظاهر غير موضوعية في الباطن، وتحقق أهدافاً لا تخفى على أحد، وفيها اعتساف الأحكام، والفكرة المسبقة المفروضة فرضاً على الآخرين؛ وكأن صاحبها له مع صلاح الدين تأر شخصي بلا مبرر منطقي!!!

وقد افتقد الكتاب القدرة على إقناع القارئ المتخصص - الخبير خاصة - أن المؤلف غير متخصص في عصر الحروب الصليبية.

ومن الطريف أن أكبر مؤرخ صليبي - وهو وليم الصوري - امتدح - أحياناً - صلاح الدين الأيوبي، وكذلك كافة كتّاب مادة صلاح الدين في جميع دوائر المعارف في العالم أجمع بلا استثناء؛ وهم من المسيحيين، واليهود، ونجد مؤرخاً مسلماً عربياً يتخذ ذلك الموقف الذي سيحسب على العرب والمسلمين بطبيعة الحال!؟

(١) صحيفة "الغد"، (٣٠/١٢/٢٠١٤).

ومع ذلك؛ فإن فائدة الكتاب المذكور: أنه أيقظ الباحثين لإعادة الاهتمام بالسلطان الأيوبي المجاهد البارز؛ فظهرت مؤلفات لتحقق هذا الهدف.

ولم يتأخر الرد طويلاً على حسن الأمين؛ إذ أصدر المؤرخ السوري الراحل الكبير شاكر مصطفى في بيروت عام (١٩٩٧م)، أي: بعد عامين فقط، دراسة بعنوان: "صلاح الدين الفارس المجاهد، والملك الزاهد المفترى عليه"، وقد أهدها إلى كل من وصمهم المفترى على صلاح الدين:

- إلى أبي شامة؛ الذي وصفه بـ (البذيء)!!
- إلى ابن كثير؛ الذي وصفه بـ (السفيه)!!
- إلى محمد كرد علي؛ الذي وصفه بـ (صاحب الأباطيل)!!
- وإلى مجموعة المؤرخين الزملاء؛ الذين رماهم بالجهل المطبق، والسفاهة، والتحامل، والاجترار، والعمى، والكذب على الحق، وتزييف التاريخ، وبكعوب الأحذية!!
- وأخيراً إلى صلاح الدين نفسه؛ والذي وصفه بالخداع، والاستسلام للصليبيين، والتآمر معهم، وبأنه يستحق القتل!!^(١)

والكتاب رد مفحم على المؤلف سالف الذكر، وتمكن مؤلفه من هدم أساس فكرة د. حسن الأمين باقتدار مؤرخ خبير.

ومع ذلك؛ فإن من المآخذ التي تؤخذ على الكتاب: عدم اعتماد مؤلفه على مصادر صليبية أو مراجع أجنبية، ولا يقلل هذا من الجهد المبذول في الكتاب؛ الذي تمكن من خلاله مؤلفه من تحقيق هدفه باقتدار أستاذ خبير "ا. هـ

إذا؛ هذا الكتاب المهم هو رد على افتراءات حسن الأمين -نجل المرجع الشيعي اللبناني محسن الأمين-؛ الذي أكمل موسوعة والده «أعيان الشيعة» من حرف السين حتى الياء، ثم استدرك عليها (١٠) أجزاء!

ثم أُلّف «موسوعة دائرة المعارف الشيعية» في (٢٦) مجلداً، فنحن أمام شخص يفترض فيه المعرفة والاطلاع؛ ولكن كتابه عن صلاح الدين كان غير موضوعي، فهل هذا بسبب نقص المعرفة

(١) حرصت على إيراد مثل تلك السطور في المتن حتى يتضح للقارئ طبيعة العبارات التي استعملت من جانب مؤلف «صلاح الدين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين»!!!

والاطلاع؟ أم بسبب البعد العقائدي الشيعي المعادي لصلاح الدين هادم خلافة الفاطميين الشيعة؟! أم بسبب الهوى وقلة الدين؛ اللذين كان يتصف بهما؟

بغض النظر عن الجواب الصحيح عن دافع الأمين للافتراء على صلاح الدين؛ إلا أن هذه الافتراءات حفزت مؤرخنا الكبير لإبطال الافتراءات بالمنطق والمعرفة والمعلومة الصحيحة، وذلك حين استعرض خلفيات الوضع السياسي في العالم آنذاك، ثم استعرض مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، وكيف تطور من التداعي للجهاد بشكل فردي من الأمراء بداية، ثم مزج الجهاد بالدعوة للوحدة بين الأمراء على يد عماد الدين زنكي وولده نور الدين زنكي، ثم الانتقال بعد تحقيق الوحدة والجهاد إلى تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين.

ثم استعرض شخصية صلاح الدين، والتغيرات التي طرأت عليها، والمراحل التي مر بها صلاح الدين؛ فترة التأسيس، المرحلة المصرية، المرحلة الشامية.

والكتاب يكشف عن جوانب غير مشهورة من جهود صلاح الدين؛ فصالح الدين اشتهر بمعركة حطين وتحرير بيت المقدس، لكن هدم الخلافة الفاطمية كان حجر الأساس في تحرير بيت المقدس، وقد استغرق جهداً وزمناً كبيرين في تغيير قناعات الناس، والقضاء على الجهاز الدعائي للفاطميين، والقضاء على عدة ثورات فاطمية مضادة ضده.

ولعل عدم إدراك نور الدين لصعوبة هدم خلافة الفاطميين كان وراء تدمره من بطء صلاح الدين في دعم الجهاد الشامي ضد الصليبيين.

ثم بيّن جهود صلاح الدين في ملمة شعث الشام بعد وفاة نور الدين، وهو ما يؤكد مركزية وصعوبة توحيد الجبهة الداخلية والتي لا تتم إلا بنشر العلم الصحيح بين الجماهير؛ فتتحد أفكارهم وأمانيتهم، ومدارة الوجهاء والكبراء، والصبر عليهم، وعدم استعجال الصدام وسفك الدماء مع الأهل والجيران.

ثم فصل وشرح جوانب دهاء وذكاء صلاح الدين في مناورة الصليبيين بالسياسة والقتال؛ حتى قضى عليهم في حطين، ثم شرع في بناء بيت المقدس على أسس الحق والعدل، والتي كان يتمثل فيها عظمة ورحمة الشريعة الإسلامية؛ برغم أنه في موقع القوة من جهة، ويمكن له من جهة أخرى من الثأر من الأعداء الذين ولغوا في دماء المسلمين ظلماً وعدواناً؛ حتى سارت خيولهم في سيول من دماء ألوف المسلمين!

وقد أفرد فصلاً خاصة لجيش صلاح الدين، وعلاقته بالخلافة العباسية، ومالية صلاح الدين، والعمران الصلاحي؛ مما يشكل صورة متكاملة لجهاد صلاح الدين، ويفكك حالة الوعي الزائف عند الكثيرين بجهاد صلاح الدين، والخروج من دائرة الشعارات الممجدة لصلاح الدين لدائرة التعلم واكتساب الخبرة من جهاده.

ومما يتميز به الكتاب: أنه كان يتعامل مع صلاح الدين على أنه بشر يصيب ويخطئ، وليس قائداً أسطورياً لا أخطاء له أو نقائص! بل عرض بعض أخطائه وهزائمه والدروس المستفادة من ذلك.

ختاماً؛ لعل تجربة صلاح الدين تشابه واقعنا من جوانب عديدة؛ فالأمة تواجه عدواناً خارجياً صليبيّاً/إسرائيلياً، وله دعم دائم من الخارج، وفي نفس الوقت هناك عدوان شيعي داخلي فاطمي/إيراني، يعرقل الجهاد ضد العدو الخارجي، وتسود المسلمين حالة من الجهل بالدين والبعد عن التزام أحكامه بين الناس، وتفرّق وتشرذم وصراع على مستوى الأمراء والسلطين.

في هذا الوضع والبيئة تحرك صلاح الدين؛ كامتداد لجهود الكثير من العلماء والأمراء على امتداد (١٠٠) عام، فاستفاد من كل الجهود السابقة، ولم يفرض بأي مكسب تحقق؛ ولو من خصومه، وتجنب الصدام الداخلي ما أمكن ذلك.

وكان واعياً أن المرتكز الحقيقي في الجهاد والتحرير: نشر العلم الشرعي والعدل بين الرعية، وعمران البلاد، ثم يأتي الإتيان في القتال.

ولا تزال سيرة صلاح الدين غير مفعلة في وعي أبنائها الساعين للنهضة، وفيها من الدروس والعبر والفوائد الكثيرة التي تنتظر من يكشف عنها؛ ليختصر الزمن ويوفر الجهود ويتجنب المزالق.





احتلال الأقصى والدروس غير المستفادة!^(١)

رغم أن الكثير من الناس مهتم ومؤيد لإنهاء احتلال الأقصى من قبل اليهود والصهاينة؛ إلا أنهم لا يدركون كثيرًا من تاريخ الأقصى وقضيته، ولا يدركون الكثير من الدروس التي ارتبطت بفتحه وعمارته ونهضته وتقدمه، ولا بدروس احتلاله واغتصابه من الصليبيين، ولا بدروس استعادته وتحريره على يد صلاح الدين، ولا بدروس تكرّر احتلاله من الصليبيين بعد تحريره بـ (٤٢) سنة ولمدة (١٠) سنوات، ثم احتلاله مرة ثالثة من الصليبيين لمدة سنة!

في هذا المقال سنركز الحديث على تاريخ الاحتلال الصليبي الثاني والثالث، والدروس غير المستفادة منها لليوم في التعاطف والاهتمام والعمل لنصرة الأقصى المحتل للمرة الخامسة على يد اليهود سنة (١٩٤٨) جزئيًا؛ حيث القدس الغربية، وسنة (١٩٦٧) كليًا باحتلال القدس الشرقية، بعد احتلاله للمرة الرابعة على يد بريطانيا سنة (١٩١٧) لمدة (٣٠) سنة.

كثير من الناس لا يعرف أن القدس والأقصى بعد تحريرهما على يد صلاح الدين سنة (٥٨٣هـ-١١٨٧م) تم إعادة احتلالهما من الصليبيين سنة (٦٢٧هـ-١٢٢٩م) لمدة عشر سنوات، وبعد وفاة صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ-١١٩٣م) انقسمت دولته بين أبنائه: الملك الأفضل علي بن صلاح الدين؛ الذي تولى على القدس ودمشق، والملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين؛ الذي تولى على مصر، وبين إخوة صلاح الدين: الملك العادل؛ الذي تولى على الأردن والكرك، وبعض ولاة صلاح الدين أعلنوا استقلالهم عن الدولة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين، مثل: عز الدين مسعود - والي الموصل -، وقد حذر العلماء من خطورة هذا التفتت للدولة الأيوبية.

وفوق مصيبة التفتت والتشتت كان كلا الملكين الأفضل علي بن صلاح الدين والعزيز عماد الدين سيئ التعامل مع العلماء والأمراء والعامة، فشاع الظلم، وتفشت الضرائب المجحفة، كما نشبت بينها النزاعات والخلافات المتكررة.

وأرسل أهل دمشق للملك العزيز عماد الدين عثمان يطلبون قدومه من مصر، وتخليصهم من شر أخيه الأفضل؛ الذي وجدها فرصة سانحة للاستيلاء على ملك أخيه وليمدد ملكه! لكن عمه

(١) صحيفة "الغد"، (٢٨/١٢/٢٠١٧).

العادل نصحه بالبقاء في مصر؛ فاستجاب له وعاد لمصر بعد أن كان قد وصل جيشه لجنوب فلسطين، ولكن أهل دمشق كرروا الطلب من العزيز؛ فتحرك مرة ثانية واستعان بعمه العادل؛ الذي فشل في الإصلاح بينهما، فرأى معاونة العزيز على الأفضل الذي اعتبره الأسوأ. وفعلاً استولى العزيز على القدس ودمشق، ولكن العادل طلب منه العودة لمصر، وأن يتولى هو أمر دمشق؛ فأصبح العزيز يحكم مصر وفلسطين والقدس، وتم إرضاء الأفضل بحكم منطقة حوران.

وفي ظل هذه الخلافات والصراعات (الأخوية) قامت الإمارات الصليبية في عكا وصور وطرابلس وأنطاكية بالتنسيق فيما بينها، ومراسلة بابا روما لشن حملة صليبية جديدة ضد القدس والأقصى، لكن قدر الله ﷻ أن تدب الخلافات بين هذه الممالك والجيش الألماني القادم لهذا الغرض؛ والذي عاد أدراجه بسبب هذه الخلافات!

ومع كل هذه التحديات تضاعفت صراعات الأيوبيين فيما بينهم، فحين توفي الملك العزيز سنة (٥٩٥هـ) خلفه ابنه المنصور، وكان عمره (١٠) سنوات، فطلب أمراء الجيش من الأيوبيين في الشام أن يرسلوا وصياً على المنصور، فبادر الملك الأفضل لذلك، واستلم حكم مصر، وسرعان ما أساء السيرة مع أهل مصر، وحبك المكائد ضد عمه الملك العادل في الشام، وفعلاً شن هجوماً على دمشق استمر لسته شهور، لكنه فشل وعاد لمصر، لكن العادل لاحقه وهزمه، واستولى على حكم مصر، وبذلك عادت دولة صلاح الدين لتتوحد تقريباً من جديد على يد العادل، لكنه كرر سياسة صلاح الدين بتولية أبنائه الحكم في عدة مناطق.

فلما مات سنة (٦١٥هـ) تفرقت الدولة إلى ثلاث ممالك يتولاها: الكامل، والمعظم، والأشرف، مما حدا بالبابا الدعوة لحملة صليبية جديدة؛ والتي تحركت ووصلت لدمياط في مصر، واحتلتها وهددت الملك الكامل باحتلال مصر؛ إذا لم يسلمهم القدس، لكن أخاه المعظم - والي دمشق - أرسل له نجدة صغيرة.

رافق ذلك هجوم المغول من جهة الشرق؛ حتى وصلوا مشارف العراق، مما أشغل الناس عن مناصرة الملك الكامل في مصر ضد الصليبيين، فرضخ الكامل وتفاوض على القدس! لكن الصليبيين طمعوا بمصر مع القدس، مما اضطر الكامل والمصريين للمقاومة، وفعلاً بقيت مقاومة الصليبيين قائمة مدة (٣) سنوات؛ حتى تراجع الصليبيون إلى عكا.

وفي سنة (٦٢٤هـ) توفي الملك المعظم، فاقسم أخواه مملكته، فالكمال ضمّ القدس للملكه في مصر، والأشرف ضم دمشق لحكمه في الأردن، وقبل تولي الكامل لحكم القدس كان قد استنجد بإمبراطور ألمانيا فريديريك الثاني لمعاونته ضد أخويه المعظم والأشرف، مقابل أن يسلمه القدس!! لكن فريديريك لم يصل إلا في سنة (٦٢٥هـ)، مع (٥٠٠) فارس فقط بعد تولي الكامل لحكم القدس؛ مما جعل الكامل يتراجع عن وعده، وبدأ مفاوضات طويلة مع فريديريك، أسفرت عن موافقة الكامل على اتفاقية هدنة مدتها عشر سنوات، تنازل فيها عن القدس والناصرية وبيت لحم واللد وصيدا لفريديريك دون قتال، شريطة أن لا يبني بها الصليبيون قلاعاً، حيث كان الملك المعظم قد خرب أسوارها عندما حاصر الفرنج دمياط، بل تترك كمدينة دينية مفتوحة، لا يُمنع منها المسلمون مقابل عدم مهاجمة ملكه في فلسطين ومصر؛ ليتفرغ لقتال أخيه!!

ووصف المؤرخ المقيزي حال المسلمين عند عقد الاتفاق سنة (٦٢٧هـ) بقوله: «إن الملك الكامل أرسل رجاله، فنودي بالقدس بخروج المسلمين منها لتسليمه إلى الفرنج... فاستعظم المسلمون ذلك، وأكبروه، ووجدوا من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه.. واشتد البكاء وعظم الصراخ والعيول، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذّنوا على بابه في غير وقت الأذان، واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشفاعات عليه في سائر الأقطار».

واستمرت القدس محتلة حتى سنة (٦٣٥هـ)؛ حيث تفاقمت خلافات الأيوبيين بعد وفاة الملك الأشرف والملك الكامل، وانتهز الصليبيون الفرصة وبدأوا يعدّون لحملة جديدة باعتبار اتفاق الكامل سقط بموته، وبنوا قلعة برج داود بالقدس، مما عدّه الناصر داود ابن المعظم نقضاً للهدنة والاتفاق، فاستعان بالخوارزميين، وجاء من الأردن وهاجم القدس وهدم البرج بالمنجنيق، وحرّر القدس بعد عشر سنوات (٦٣٦هـ).

ولكن - مع الأسف! - سرعان ما عادت الخيانات والخلافات بين الأيوبيين؛ لتجعل الناصر داود نفسه يتفق مع الصالح إسماعيل - والي دمشق - على تسليم القدس للصليبيين؛ لكسب معونتهم ضد ابن عمهم الصالح نجم الدين أيوب - ملك مصر -، وذلك سنة (٦٤١هـ).

ويروي المؤرخ ابن واصل الحموي تلك المصيبة؛ فيقول: "فأرأيتُ الرهبان والقسوس على الصخرة المقدسة، وعليها قناني الخمر برسم القربان، ودخلتُ الجامع الأقصى وفيه جرس معلق، وأبطل بالحرم الشريف الأذان والإقامة، وأعلن فيه بالكفر!!"

ومرة ثانية استعان الصالح نجم الدين أيوب ملك مصر بالخوارزميين لتحرير القدس سنة (٦٤٢هـ)، في معركة رهيبة قرب غزة، سهاها بعضهم بحطين الثانية، تجمعت فيها جيوش ممالك الصليبيين وجيش الصالح إسماعيل ضد جيش مصر الصغير؛ الذي تمكن من هزيمتهم، وساعده في ذلك انشقاق أغلب جيش الشام وانضمامه إلى جيش مصر ضد الصليبيين.

وبذلك انتهى الاحتلال الصليبي للقدس، والذي بلغ مجموع سنواته (٩٩) سنة، ليتجدد مع الاحتلال البريطاني، ومن ثم اليهودي.

ومن أهم الدروس الواجب الاستفادة منها في واقعنا الحالي من هذه التجربة المرة: خطورة الخلافات والصراعات الداخلية بين الملوك والأمراء الأشقاء أو القادة داخل الصف الواحد. وكيف أن الأعداء كانوا على أهبة الاستعداد لاقتناص الفرصة ونصرة طرف على آخر؛ طالما أن عنده الاستعداد لخيانة القدس والأقصى.

ومشابهة ذلك الحال السيئ لما هو حاصل اليوم في واقعنا السياسي مشابهة واضحة، حيث تترشق الدول العربية والإسلامية فيما بينها الحملات الإعلامية، وأحياناً العسكرية (غزو العراق للكويت، المغرب والجزائر، مصر والسودان...).

وأسوأ هذه الصراعات العسكرية على الإطلاق هو: عدوان إيران ومليشياتها الطائفية والإرهابية ضد عدد من الدول بقيادة (فيلق القدس)؛ حيث قتلت مئات الآلاف، ودمّرت القرى والبلدات والمدن؛ بحجة البحث عن طريق القدس!

والمستفيد الوحيد من تدمير هذه الدول وقتل أهلها وتشريدهم هم اليهود - محتلو القدس! -، والأعجب من ذلك: أن كل هذا العدوان يتم تبريره من قادة محور طهران باسم: «المقاومة والممانعة» لليهود - محتلي القدس!! -.

والأخطر من الحروب الأهلية بين الدول العربية والإسلامية: انجرار الشعوب العربية لهذه الصراعات الإعلامية والسياسية، وتراشقها التخوين والشتائم؛ مما يفتت الوحدة الباقية على مستوى الشعوب، فمرة تنشب هذه المعارك بين الشعوب لسبب تافه؛ كالمعارك بسبب كرة القدم، ولعل نموذج مصر والجزائر مثال واضح على ذلك، وقد يكون بسبب أكاذيب وإشاعات يتم ترويجهما بين الشعوب ضد الشعوب الأخرى من قبل سفهاء أو خبثاء بإشراف عالمي، وقد يكون بسبب تحليلات سياسية مضللة.

إن وعينا بضرورة وحدة شعوب الأمة على الحق بانتهاج صحيح الإسلام من جهة، والحرص على الوحدة والاتفاق والاجتماع مع تقديم النقد البناء وحصر الصراع والعداء مع الأعداء الحقيقيين للأمة، وعدم الانجرار خلف الشائعات والمعارك الجانبية والوهمية لهو من الواجب الذي على الجميع التزامه.

لنتوقف جميعاً عن نشر الخلافات المبنية على الإشاعات والأكاذيب، ولنتوقف عن نشر الكراهية وتفريق الصف في وسائل التواصل الاجتماعي أو في حواراتنا المباشرة، فالأقصى لا يُنصر بالوقعة بين الناس والشعوب والدول، وتفتت الصف واللحمة، وإثارة الحروب الأهلية والبينية، فهل نتعلم الدرس التاريخي!





**عدوان المشروع الصهيوني
والتصدي له**

العلامة رشيد رضا والخطر الصهيوني^(١)

يعد العلامة محمد رشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ/١٨٦٥-١٩٣٥م) من أهم الشخصيات الإسلامية التي أسست لمسيرة الدعوة والإصلاح الإسلامي المعاصر، فقد كان من الزعماء البارزين الذين أثروا على مجرى الأحداث؛ من خلال مشاركته المباشرة في الشؤون العامة لكافة قضايا الأمة الإسلامية من الهند وحتى موريتانيا، كما أن مجلته "المنار" والتي استمرت بالصدور لمدة (٣٧) عامًا (١٨٩٨-١٩٣٥م) كانت تعتبر وزارة الإعلام والتثقيف للأمة الإسلامية كافة.

المستشرق هاملتون جب لخص لنا مكانة وتأثير "المنار" وصاحبها رشيد رضا حين قال: "ولم يشرق منار الإسلام على المصريين وحدهم، ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وخارجها، وعلى المسلمين في أرخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الأزهرية، وعلى الإندونيسي المنعزل الذي ظل محافظاً على علاقاته بقلب العالم الإسلامي بعد عودته لبلاده النائية..

وقد أصبح الذين اقتبسوا من نور "المنار" منارات صغرى في إندونيسيا بعد أن عادوا إليها...".

ومن القضايا الكبرى التي أولاهها العلامة رشيد رضا عناية خاصة: قضية فلسطين، وخطر المشروع الصهيوني على فلسطين والعرب، بل كان العلامة رشيد رضا أول من خطب وكتب محذراً من هذا الخطر الداهم من الإسلاميين، في الوقت الذي تساهل وتسامح فيه العلمانيون مع المشروع الصهيوني؛ كما ترصد ذلك دراسة (الصحافة الصهيونية في مصر ١٨٩٧-١٩٥٤)، بحسب د. محمد عمارة في ترجمته لرشيد رضا في كتابه «من أعلام الإحياء الإسلامي»، ولو جمعت مقالات رشيد حول فلسطين والخطر الصهيوني لبلغت أكثر من مجلد.

ويمكن إجمال أهم مواقف رشيد رضا من المشروع الصهيوني التي وثقها د. عمارة، بما يلي:

• تنبيهه في (نوفمبر سنة ١٩١٠م) على الخطر الصهيوني؛ لأن هدفهم: "أن يملكوا بيت المقدس وما حوله؛ ليقيموا فيه دولة إسرائيل".

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/٦/٢٠١٤).

• يَبين رشيد رضا أن هدف إقامة كيان يهودي صهيوني في فلسطين هو: جعل هذه المنطقة من البلاد "يهودية-بريطانية" فاصلة بين عرب مصر وعرب سوريا والعراق"، وذلك في (أكتوبر ١٩٢٨)، مما لفت الأنظار إلى مخاطر إقامة هذا الكيان الصهيوني بفلسطين على الوحدة العربية والإسلامية؛ وذلك بإقامة الجسم الصهيوني العازل بين أجزاء الوطن العربي.

• كتب رشيد رضا سلسلة مقالات في "المنار" إبان «ثورة البراق» سنة (١٩٢٩م)، حلل فيها مخاطر الصهيونية ومشروعها الاستيطاني الاستعماري على الشرق والعرب والمسلمين.. حيث كتب: "إن اليهود من قواعد شريعتهم: أن يستأصلوا القوم الذين يغلبونهم على أمرهم؛ حتى لا يستبقوا منهم نسمة ما.

ومن الحقائق الثابتة الخفية: إن "الجمعية الماسونية" التي شلت عروش الحكومات الدينية من أمم أوروبا والترك والروس هي من كيد اليهود...

ولقد استخدم اليهود دول النصارى فظاهرتهم على المسلمين وأسسوا الجمعية الصهيونية للسعي إلى ذلك بقوة المال اليهودي... ولهم بهذا المال من النفوذ والصحف والقدرة على الدعاية بما يقلب الحقائق، ويلبس الحق بالباطل!".

ويعلق د. عمارة على كلام رشيد رضا بقوله "هكذا كتب الشيخ محمد رشيد رضا في "المنار" (١٩٢٩م)، منبهاً على المخطط الدولي للصهيونية، ولاقئاً الأنظار إلى خطورة اليهود ونفوذهم المالي والإعلامي على العرب والمسلمين، كما لفت الأنظار إلى هذا التحالف "العربي الصهيوني" ضد العرب والمسلمين...

إنه تحليل فكري وسياسي وحضاري كتبه الشيخ رشيد رضا منذ ما يقرب من ثمانين عاماً، وفيه من الوعي الكاشف عن حقائق المخطط الصهيوني ما يدركه القارئ العربي والمسلم في هذه اللحظات".

ومن إسهامات رشيد رضا -أيضاً- في القضية الفلسطينية وصد العدوان الصهيوني: مساندته ودفاعه ومشاركته في عقد مؤتمر بيت المقدس سنة (١٩٣١م)، لتعزيز مركز فلسطين تجاه مطامع اليهود ومحاربة الدولة البريطانية لهم، ولتقوية مركز المجلس الإسلامي الشرعي فيها، وكان الداعي له سماحة الحاج محمد أمين الحسيني -مفتي فلسطين-؛ والذي كان من تلاميذ مدرسة الدعوة والإرشاد التي أنشأها رشيد رضا في القاهرة.

بقي أن نشير إلى سبق رشيد رضا لإدراك وجود أبعاد دينية مسيحية خلف المساندة والدعم البريطاني لإسرائيل والمشروع الصهيوني، وقد كرر هذا كثيرًا في مقالاته مثل: قوله في مقال نشره في "المنار" بتاريخ (يونيو ١٩٢٢م): "الدولة البريطانية الطامعة في البلاد العربية من مصر إلى منتهى ساحل خليج فارس تهتم بأرض البلاد المقدسة (فلسطين) ما لا تهتم بقعة أخرى من البلاد العربية؛ لأسباب دينية، وأدبية، وتاريخية، ومالية، وجغرافية وحرية".

ونجد صدى هذا الوعي بالخلفيات الدينية لتأييد بريطانيا وأمريكا لإسرائيل عند تلميذه الحاج أمين الحسيني؛ كما في إجابته على سؤال: "هل تعتقدون أن بالإمكان حمل بريطانيا بالوسائل السياسية وبالدعاية على العدول عن سياستها الاستعمارية واليهودية في فلسطين والبلاد العربية؟". فأجاب الحسيني: "أما عدول إنجلترا عن مناصرتها للصهيونية فهو بعيد؛ لأسباب كثيرة أهمها ما يأتي:

أ- التأثير الروحي الديني للتواراة "العهد القديم" على البروتستانت...".
وذلك في مقابلات صحفية منتصف الخمسينات، جمعتها ونشرتها الهيئة العربية العليا لفلسطين سنة (١٩٥٧م).

والملفت للنظر: أن هذا الوعي بدور العقيدة البروتستانتية لم يتضح لنا إلا في ثمانينات القرن الماضي؛ مع مجيء الرئيس الأمريكي رونالد ريغان، ودور التيار المسيحي المحافظ؛ والذي أصبح المؤثر الأكبر في أمريكا منذ ذلك الوقت، ولعله وصل الذروة مع الرئيس السابق بوش، فالكثير من جيلنا لم يتعرف على دور العقيدة البروتستانتية في دعم إسرائيل إلا عبر كتاب يوسف الحسن «البعد الديني للسياسة الأمريكية»، وترجمة كتاب الكاتبة الأمريكية غريس هالسل «النبوءة والسياسة»؛ والتي وصلت للإسلاميين من خلال المحاضرة المشهورة للشيخ سفر الحوالي "الوعد الحق والوعد المفترى"، وذلك في سنة (١٩٩٠م).

وهذا يدل على خلل كبير في التواصل بين الأجيال وإكمال المسيرة بدلاً من البداية دومًا من نقطة البداية، مما يجعلنا لا نراكم المعرفة والإنجازات.

ولعل هذه الظاهرة من أسباب استمرار تخلفنا وضياع بوصلتنا، وتستحق المزيد من البحث والدراسة.

"رجل لكل الغزاة"^(١)

"رجل لكل الغزاة": هو اسم الرواية الرائعة الجديدة للمبدع د. عماد زكي، صاحب الروايتين: "دموع على سفوح المجد"، و"البحث عن امرأة مفقودة".

وتأتي هذه الرواية بعد انقطاع لعقدين تقريباً، صدرت الرواية عن دار القلم في دمشق هذا العام (٢٠١٤)، وجاءت في (٥٠٠) صفحة من القطع الكبير.

أما شخصية الرواية المركزية فهو: الشيخ المجاهد عز الدين القسام. الرواية جاءت في توقيت مناسب تماماً؛ فهي تسجل سيرة وجهاد القسام ورفاقه، وتكشف عن جانب مهم في تاريخ جهاد الشعب الفلسطيني وجهاد كافة المسلمين معه ضد الاحتلال البريطاني والاستيطان الصهيوني.

هذا التاريخ الجهادي الوطني المشرق؛ والذي يكاد يُنسى بسبب عدم تدوينه من جهة، وبسبب السياسات المحكمة والدقيقة العربية والعالمية لصرف الشباب عن هؤلاء القدوات النموذجية والمعبرة عن هوية وتاريخ وإرث أهلنا وأرضنا وديننا، إلى قدوات وافدة تافهة تائهة؛ عبر برامج المواهب الخائبة والمستنسخة من أعدائنا!

وفي الوقت الذي تصرف فيه الملايين على هذه البرامج المسرطنة للأخلاق والقيم؛ والتي يتناقل الناس معلومات مفادها: أن صاحب فكرتها يهودي، يقصد من خلالها: تشتيت شباب الإسلام والعرب عن قضيتهم، نجد الشباب الصهيوني في كل أنحاء العالم تقام له برامج للتعرف على أرض الأحلام (إسرائيل)، فيأتون أفواجا من أقطار الأرض؛ ليقوموا برحلات مشي على الأقدام تكاد تشمل كل أنحاء فلسطين؛ لزرع الولاء والانتماء لأرض (إسرائيل)، وهذا سبب تجذر قوة اللوبيات الإسرائيلية في كثير من دول الغرب، فقيادة وأعضاء هذه اللوبيات أصلاً صهاينة الولاء.

من هنا؛ جاءت هذه الرواية لتشارك في بث الوعي بحقيقة القضية الفلسطينية، وأنها قضية إسلامية أولاً، ثم كل مسلم مهما كان موطنه وبلده، ليس هذا خاصاً بفلسطين، بل بكل أرض

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/١٠/٢٠١٤).

مسلمة، فالقسام قبل أن يجاهد في فلسطين، كان مجاهدًا في الجيش العثماني، وهناك تعرف على ابن منطقة جنين الشيخ فرحان السعدي؛ الذي سيكون رفيق دربه في الجهاد في فلسطين لاحقًا. ثم سعى القسام للجهاد في ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي، ولكن لم يتيسر له الوصول لليبيا، ثم لما جاء الفرنسيون لسوريا هبَّ مجاهدًا ضدهم؛ حتى عجز عن هزيمتهم، وخشي أن يكون جهاده سببًا للدمار والنكال بأهلها دون نتيجة، فرفض الاستسلام، وآثر الهجرة لفلسطين انتظارًا لفرصة أفضل، وسبب اختيار فلسطين كونها كانت واقعة تحت احتلال بريطانيا وليس فرنسا؛ كحال لبنان، وحتى يكون قريبًا من سوريا.

وفي حيفا بدأ القسام يمارس دوره المركزي والأساسي وهو: التعليم والدعوة والإرشاد، وهو يشمل الأمور الشرعية؛ كالإمامة والخطابة والوعظ، وعمل في التدريس والتعليم في مدرسة البرج للبنات التابعة لجمعية حيفا الإسلامية، وفي ذلك الزمان يدلك هذا على سعة أفق الشيخ القسام -خريج الأزهر-، ثم أقام دروسًا ليلية لمحو الأمية في بيته للعمال في الميناء؛ حتى تتحسن أحوالهم المهنية.

وقد كان الدور التعليمي والتربوي للقسام الأساس في قيام حركته الجهادية، فبالوعي والعلم بثَّ روح اليقظة في الناس، وعلى أساس العلم والتربية اختار جنوده. للأسف! فإن كثيرًا من شباب ورجال اليوم يظن أن جهاد القسام اقتصر على اشتباكات محدودة في أحراش يعبد، بين القسام ورفاقه وقوات الإنجليز، أسفرت عن استشهاد القسام. للأسف! يجهل هؤلاء أن دم القسام كان فتيل اشتعال الثورة في فلسطين سنة (١٩٣٦م) على يد جنوده ورفاقه الذين درَّ بهم وربَّاهم، وهي الثورة التي استجاب لها عموم الشعب الفلسطيني. وقد تكاتف مع جهاد القسام التعليمي والعسكري ثلة من خيرة الناس ووجهائهم في فلسطين والشام، منهم: الأديب الدمشقي المشهور عز الدين التنوخي، والشيخ كامل القصاب؛ الذي كان شريك القسام في التخطيط والإعداد والتمويل، والشيخ محمد مراد -مفتي حيفا-، والأستاذ رشيد الحاج إبراهيم، والشيخ كامل -من جمعية حيفا الإسلامية-، ومفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني.

حين تطالع الرواية تعيش زمن القسام لإبداع المؤلف؛ حيث تكاد تسمع القسام يهدر على منبر مسجد الاستقلال بحيفا، أو كأنك تسير في جنازة عطا الزير وفؤاد حجازي ومحمد جمجوم؛ الذين

كانوا من رواد مسجد الاستقلال، الذي يُخطب فيه القسام، وقد رثاهم الشاعر نوح إبراهيم في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

من سجن عكا وطلعت جنازة محمد جمجوم وفؤاد حجازي
وهكذا تمضي بك الرواية؛ حتى كأنك تطالع فيلماً عن القسام ورفاقه، وتشارك الفلسطينيين في جهادهم.

وحين تتأمل في تاريخ وواقع القضية الفلسطينية تشعر وكأن الزمان لا يتحرك! فلا يزال التوسع الصهيوني قائماً في فلسطين لليوم؛ بتسمين المستوطنات أو بالجديد منها، ولا يزال اليهود والمستعمر يكافحون المقاومة والجهاد بالعملاء والخونة من أبنائنا، ولا تزال قوى الغرب تحمي إسرائيل كلما رددنا اعتداءاتها علينا، وتقف متفرجة كلما اعتدت إسرائيل علينا!!

لكن الذي تغير منذ زمن القسام لليوم: أن قطاعات كبيرة من الشعب الفلسطيني والعربي والإسلامي نضج فيها أثر دعوة القسام؛ فمضت تتمسك أولاً بدينها بعيداً عن الشرك والخرافة التي حاربها القسام، وألف كتاباً - هو والشيخ كامل القصاب - لذلك، وتحارب الجهل ثانياً، وتعد العدة المناسبة ثالثاً، ولكن لا تزال الطريق طويلة ومليئة بالعقبات!

لقد بذل صاحب الرواية جهوداً ضخمة جداً في جمع شتات تاريخ القسام المبعثر؛ وذلك عبر متابعة وفحص كل شيء كان له تعلق بالقسام ولو بشكل غير مباشر، ومن هذا الشتات كوّن صورة متكاملة، ثم صنع حبكة روائية بث فيها هذه التفاصيل والمعلومات، وجعل في ثناياها خلاصة خبرة وتجارب القسام؛ لتكون نبراساً وسراجاً لشباب اليوم، فيعرف حقيقة قضية فلسطين، ويطلع على ما قدمه الأجداد لقضية فلسطين، ويفهم الدروس والعبر التي توصلوا إليها، فيكمل الطريق على بصيرة ونور.

أنصح كل القراء الأعزاء بقراءة الرواية، وحث أبنائهم وبناتهم على قراءتها، فإنهم لن يندموا على ذلك أبداً، وذلك لأسلوبها المشوق الذي يساعد شبابنا على إكمال القراءة، ولتشكيل الوعي المطلوب لديهم حول قضية فلسطين والمفقود - مع الأسف! - غالباً.



الشيخ المجاهد عز الدين القسام^(١)
(١٣٠٠ - ١٣٥٤ هـ / ١٨٨٣ - ١٩٣٥ م)

تمهيد:

إن كان الشيخ المجاهد البطل عز الدين القسام لا يُعرف الكثير عن تفاصيل حياته وسيرته؛ فذلك لأنه لم يدونها أو يترك خلفه شيئاً يشير إليها، لكنه ترك أثراً ومنهجاً حياً في الأمة، لا تزال تقتدي به الأجيال.

والعجيب أن سيرة القسام تناولها طرفان قَصَّرا في حقها، فغالب من درس حركة القسام اليساريون، من أمثال: الكاتب الفلسطيني اليساري عبد القادر ياسين؛ الذي قدم الشيخ القسام في كتاباته في قالب اشتراكي ومناضل ثوري، ينطلق من جذر طبقي، ومتمرد على البرجوازية العفنة، ويسعى لبناء دولة اشتراكية! في تغييب كامل للإسلام والدين عن منهج القسام وحركته؟! وقابلهم طرف آخر متأخر؛ فدافع عن إسلامية القسام وسلفيته، لكنه كان ضيق الأفق، فحصر القسام وجهاده في قالب ضيق، بسبب رؤيته الخاصة للسياسة والدين، فمثلاً: الأستاذ محمد محمد حسن شراب رجح أن الشيخ كامل القصاب شُبه عميل للإنجليز، وأن القسام تعامل معه مضطراً!! وأن مشاركته مع القسام في كتاب «النقد والبيان» كانت مشاركة رمزية!! وأن العلاقة بين القسام والحاج أمين الحسيني كانت متوترة بسبب تذبذب الحسيني في وطنيته!! وهذا غير صحيح!

وسبب هذه الآراء العجيبة هو: تحليله للأحداث السياسية بطريقة متعسفة تميل لرؤية حزب التحرير، وإلا فإن المعاصرين للقصاب والحاج أمين مثل: الشيخ علي الطنطاوي والشيخ زهير الشاويش لهم رؤية مناقضة تماماً حول وطنية القصاب والحاج أمين، وهي الرؤية المنطقية، والتي تدل عليها نتائج حياة القصاب والحسيني. والداعي لهذا التنبية هو: شح المصادر الأصلية عن سيرة القسام، وندرة المصادر الصافية فيها!!

(١) موقع "الراصد"، (١٣/٣/٢٠١٣).

نشأته:

هو عز الدين عبد القادر مصطفى يوسف محمد القسام، وقد اختلف في سنة ولادته ولكن الأرجح أنه ولد في عام (١٣٠٠ هـ الموافق ١٨٨٣ م)، في مدينة جبلة في محافظة اللاذقية، في سوريا. والده هو: عبد القادر بن محمود القسام، أحد شيوخ الطريقة القادرية، وكذلك جده، الذي قدم من العراق إلى جبلة، ولذلك كان بعض مريدي القادرية بالعراق يزورون قبر جده ووالده في جبلة.

ولذلك نشأ القسام في بيت متدين وذي صبغة صوفية، وذهب للكتاب فقرأ القرآن وتعلم القراءة والكتابة والحساب على يد والده، ثم درس في جبلة على يد الشيخ سليم طيارة والشيخ أحمد الأورادي، ولما رأى أبوه حرصه على العلم أرسله للأزهر ليزداد علمًا، وهو في سن الرابعة عشرة، وكان ذلك سنة (١٨٩٦ م).

هذا هو كل ما لدينا عن القسام في صغره!!

في الأزهر:

اختلف المؤرخون للقسام حول المدة التي قضاها في مصر، ولكنها فترة لا تقل عن سبع سنوات ولا تزيد عن عشر، ولم يذكر أحد تفاصيل حياته في مصر، أو العلماء الذين التقى بهم أو أخذ عنهم، لكنه ذهب للأزهر زمن تولي الشيخ محمد عبده لمشيخته، وقيامه ببعض الإصلاحات فيه.

وكانت مصر -آنذاك- تعيش صراعًا بين التيار الإسلامي الذي يمثله جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، والعلمانيين أتباع المحتلين من أمثال: فرح أنطون ولطفي السيد. كما أن الصراع السياسي مع الاحتلال البريطاني كان على أشده بعد فشل ثورة أحمد عرابي سنة (١٨٨٢ م)، وترغم مصطفى كامل تيار المقاومة للاحتلال.

والقصة اليتيمة التي رويت عن حياة القسام في أثناء دراسته بالأزهر، هي: حين انقطع المصروف عنه وعن رفيقه عز الدين التنوخي من أهلها، فاقترح القسام أن يصنعا هريسة ويبيعاها للطلاب، فحجل التنوخي وقال: "أنا أحجل أن أنادي على بضاعتنا!"، فقال له القسام: "أنا أصبح على بضاعتنا"، وهكذا تمكنا من إكمال دراستهما.

وفي مرة جاء والد التنوخي لزيارته بالقاهرة؛ فوجده واقفاً بجوار القسام وهو ينادي على هريستها، فسألها: "ما هذا؟"، فخجل التنوخي وقال لوالده متنصلاً: "عز الدين علمني، وهو صاحب الفكرة"، ولكن التنوخي صُدم حين أجابه والده: "لقد علمك الحياة!" وهي قصة تكشف عن شخصية عصامية مبكرة للقسام، وقادرة على مواجهة الظروف والتحديات، وابتكار الحلول والعلاج للأزمات، وهو ما سيكون سبب تميز القسام في تكوين أول تنظيم عسكري جهادي في فلسطين.

عودته من الأزهر:

هناك تنازعٌ في السنة التي عاد فيها القسام لبلده جبلة؛ بناء على الخلاف في عدد السنوات التي قضاها بالأزهر، فالبعض يرى أنه عاد في سنة (١٩٠٣م)، والبعض يقول: في سنة (١٩٠٦م)، وقد ظهر أثر الأزهر على الشاب العائد، ومن هذه الآثار يمكن أن نستشف المحاضن التي عايشها القسام في مصر.

فبدايةً؛ رفض القسام أن يقوم بزيارة قصر الأفندي المتحكم في المنطقة على طريقة الإقطاع، ويعلن أن المسافر والضيف هو المستحق للزيارة وليس المقيم، ويهون على أبيه بالقول من أن الأفندي لن يستطيع أذيتك بسبب قوتي بعلمي وإيماني، وهذا يشير إلى وجود وعي جديد في ذهن الشاب المتعلم تجاه أصحاب النفوذ والجاه.

ومن ثم يسافر القسام لتركيا، فيزور مساجدها؛ ليطلع على طرق التدريس وخطب الجمعة فيها، قبل أن يعود ويتفرغ للتعليم والتدريس في المساجد والمدارس وتجمعات العمال وكل مكان.

ويمكن أن نقسم جهود القسام للجوانب التالية:

١ - التعليم والخطابة والإمامة:

فبدأ يعلم في زاوية والده، ولم يقتصر في تدريسه على الأطفال بل علّم حتى الكبار والعمال والفتيات؛ والذين شملهم بتعليمه وإرشاده، ولم يقتصر على القرآن الكريم بل علّمهم القراءة والكتابة والعلوم الأولية.

وعمل مدرساً في جامع السلطان، وبدأ يخطب في مسجد المنصوري بطريقة مختلفة عن الخطب التقليدية، فأصبحت القرية لا تتخلف عن صلاة الجمعة، وبدأت آثار دعوته تنتشر ويلمسها الجميع، وبدأ وعي جديد ينتشر بين الناس؛ يحرص على العلم والفضيلة وأداء الفروض الشرعية.

واستمر القسم في التدريس طيلة حياته، فدرّس في مدينتي بانياس واللاذقية، قبل أن يفتتح مدرسة في بلده جبلة سنة (١٩١٢م).

ولما هاجر لفلسطين سنة (١٩٢٠م) عمل في التدريس أيضًا؛ فقد درّس في مدرسة الإناث الإسلامية وفي مدرسة البرج الإسلامية للطلاب، وهما مدرستان تتبعان الجمعية الإسلامية في حيفا، وكان يرعى طلابه علميًا، ويوجههم لبناء مستقبلهم؛ بإرشادهم لما يوافق قدراتهم من مهن وأعمال.

وتولى القسم الإمامة والخطابة والتدريس بمسجد الاستقلال؛ الذي أصبح منارة لبث العلم والوعي في حيفا وما حولها، وكانت خطبه ودروسه تتناول كافة شؤون الدين والدنيا، وبثّ فيها ضرورة العلم والعمل والجهاد؛ حتى يحافظ المسلم على إيمانه وحياته من مطامع المحتلين البريطانيين واليهود، ففي إحدى خطبه كان يجيئ سلاحًا تحت ثيابه؛ فرفعه وقال: "من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فليقتني مثل هذا!"، فأخذ مباشرة إلى السجن، وتظاهر الناس لإخراجه، وأضربوا إضرابًا عامًا.

وينقل يوسف الشايب -الذي استمع إلى آخر خطبة جمعة للقسم- عنه قوله: "أيها الناس! لقد علمتكم أمور دينكم حتى صار كل واحد منكم عالمًا بها، وعلمتكم أمور وطنكم حتى وجب عليكم الجهاد، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد! فإلى الجهاد أيها المسلمون!".

وأسس في حيفا مدرسة لتعليم العمال الأميين القراءة والكتابة والدين، وصنع منهم قادة للجهاد في فلسطين، حملوا الراية بعده سنين طويلة.

ولزيادة مساحة تعليمه وتدريسه عمل القسم في وظيفة مأذون؛ ليتجول بين الناس الذين قد لا يحضرون للمسجد، لكنهم يحتاجون لشيخ عند الزواج، فكان يستغل الأعراس لبث الدعوة والتعليم والتواصل مع الناس.

وأيضًا حين تأسست في فلسطين فروع لجمعية الشباب المسلمين سنة (١٩٢٨م)؛ التي كانت قد تأسست أصلًا في مصر سنة (١٩٢٧م) على يد نخبة من الشخصيات السلفية منهم: العلامة محب الدين الخطيب، والعلامة محمود تيمور باشا؛ كان القسم رئيسًا لفرع حيفا، وفي سنة (١٩٣٢م) انتخب القسم رئيسًا مؤقتًا للمؤتمر العام لفروع الجمعية بفلسطين، بوصفه أكبر الأعضاء سنًا.

وقد استفاد القسام من أنشطة الجمعية وانتشارها لنشر العلم والدعوة للجهاد في ربوع فلسطين، وتهيئة الشباب بدنياً للجهاد؛ من خلال فرق الكشافة التابعة للجمعية.

وهذه السيرة الطويلة من التعليم وبحث الوعي، والاهتمام بكافة شرائح المجتمع، والانضمام للجمعيات؛ تؤكد أن القسام كان على صلة وثيقة بالشيخ محمد رشيد رضا؛ سواء صلة مباشرة أو متابعة مجلته "المنار"؛ والتي أصلت وأسست للأفكار والمنهج الذي التزمه القسام طيلة حياته.

٢ - سلفية القسام:

تميز القسام بعد عودته من مصر بالتزام الكتاب والسنة ومنهج الصحابة، مما يدل على تأثره بالبيئة الإصلاحية السلفية في مصر، وذلك بعد أن كان صوفياً على الطريقة القادرية؛ كوالده وجدّه، ومن أول مظاهر ذلك: أنه منع زيارة قبر جده ووالده من قبل أفراد الطريقة القادرية بالعراق، وذلك لأن السفر لزيارة القبور من الأمور التي نهى عنها الشرع.

وحارب كثيراً البدع والخرافات التي انتشرت بين الناس في ذلك الزمان، مثل:

- حج النساء إلى مزار الخضر على سفوح جبل الكرمل، وتقديم القرابين له.
- ما يصنعه بعض الجهلة من بدع على المآذن في الأذان وفي المساجد عقب الصلوات وغيرها.
- أنكر قراءة المولد النبوي بالغناء والتمطيط، والمبالغة بتوقيعه على ألحان الموسيقى، ورفض ما أدخل في سيرة مولده ﷺ من الأمور التي لم تثبت، ودعا إلى العناية بأحوال وشمال النبي ﷺ، والتزام سنته العملية وسيرته كقدوة للمسلمين.
- أنكر على فرقتي البهائية والقاديانية اللتين تتواجدان في حيفا وعكا، وأنكر على من شارك في جنازة عباس البهائي.

■ رفع الأصوات بالتهليل والتكبير أثناء تشييع الجنائز، وهي القضية التي كبرت حتى أصدر هو والشيخ كامل القصاب كتابه الوحيد «النقد والبيان في دفع أوهام خزيان، والدفاع عن سنة خير الأنام فيما يتعلق بالسنة، والبدعة، والمولد، وآداب قراءة القرآن، والصياح والنياح في الجنائز، والمآتم والمقابر».

وهذه بعض العبارات الواردة في الكتاب، مما يدل على سلفيتهما:

- قالوا عن كتاب «الاعتصام» للشاطبي: "وكننا نود أن نرشد الأستاذ الجزار وتلميذه إلى الاستفادة من هذا الكتاب الذي لا ندر له في باب، ولكننا خشينا أن يرمينا مؤلفه بالنزعة (الوهابية) -

التي هي حجة العاجز لترويج الباطل، وإضاعة الدين -؛ التي رميانا بها، وإن تقدم زمن ذلك الإمام الشاطبي العظيم على زمن محمد بن عبد الوهاب ما يقرب من (٥٠٠) سنة!! لأنه لا يبعد أن يعلن ذلك بأنه من باب أخذ المتقدم عن المتأخر!"

● وقالوا: "يعلم أن ذلك الدعي في العلم يعد العمل بسنة الرسول ﷺ زيغاً، والعياذ بالله -تعالى-!"

● وقالوا عن اتباعهما للسنة النبوية: "وأكبر دليل على تمسكنا بسنة نبينا، وسنة الشيخين من بعده: نهينا الناس عن مخالفة سنة الخلفاء الراشدين في تشييع الجنازة برفع الصوت".

ومن الدلائل على سلفية القسام: تعاونه مع الشيخ كامل القصاب في الثورة السورية والثورة الفلسطينية، والشيخ كامل القصاب من رؤوس السلفيين في الشام، وأحد الشخصيات التي اعتمد عليها الملك عبد العزيز بن سعود في تأسيس إدارة المعارف بمكة.

ومن الدلائل -أيضاً-: ثناء وتأييد كبار السلفيين في عصره عليه وعلى الشيخ القصاب بسبب كتابهما «النقد والبيان»، وهذا يؤشر لوجود علاقات ومعرفة بينه وبينهم؛ سواء كانت علاقة مباشرة أو من خلال علاقته بالقصاب، فمن هؤلاء في الشام: الشيخ محمد بهجة البيطار، الشيخ عبد القادر بدران، محمد جميل الشطي، ومنهم: العلامة محمد بهجت الأثري بالعراق، والعلامة محمد بخيت المطيعي -مفتي الديار المصرية-.

ومن الإشارات المهمة على ترسيخ القسام للسلفية في نفوس طلابه وتلاميذه: ما نقله الأستاذ زهير الشاويش عن ملازمة أحد أبرز تلاميذ القسام والقادة القساميين وهو: أبو إبراهيم الصغير عند إقامته بدمشق لدروس العلامة الألباني.

ومن الإشارات اللطيفة في هذا الباب: أن العلامة الألباني كان يحضر دروس العلامة محمد بهجت البيطار لكتاب الحماسة لأبي تمام مع عدد من أساتذة المجمع العلمي منهم: الأستاذ عز الدين التنوخي -شريك القسام في بيع الهريسة بالقاهرة!!-.

٣- مشاركات القسام الجهادية في ليبيا وسوريا:

يظن كثير من الناس أن جهاد القسام اقتصر على فلسطين ضد الإنجليز واليهود، وهذا غير صحيح! فأول مشاركة جهادية للقسام كانت عام (١٩١١م) حين حرّض الناس على التطوع للجهاد في طرابلس الغرب بليبيا ضد الإيطاليين، فقاد مظاهرة في بلدته جبلة وهي تهتف:

"يا رحيم ويا رحمن!... انصر مولانا السلطان... واكسر أعداءنا الطليان".
ومن ثم انتقى (٢٥٠) متطوعاً للجهاد، وجمع لهم التبرعات، ونسق مع السلطات العثمانية التي رحبت بتطوعهم، وطلبت منهم المجيء للأسكندرونة لتسفيرهم إلى طرابلس بليبيا، لكنهم مكثوا في الأسكندرونة (٤٠) يوماً دون جدوى، وبعدها طلب منهم العودة، وقيل: إن التبرعات أرسلها القسام مع ثقات لأهل طرابلس، وقيل: إن القسام سافر سراً لطرابلس والتقى بشيخ المجاهدين عمر المختار وسلمه إياها، وقيل: بنى بها مدرسة في جبلة.

وحين احتلت فرنسا سوريا على إثر اتفاقيات "سايكس بيكو" كان القسام أول الرافضين لها والمجاهدين ضدها في شمال سوريا، وهو من أشعل الثورة في جبال صهيون ضد الفرنسيين، وتعاون في ذلك مع عمر البيطار، ولذلك باع بيته واشترى بثمانه سلاحاً يجاهد به، وهذا كله بعد أن عبأ الناس في المسجد والمدرسة واللقاءات للجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، ومن استجاب له قام القسام بتدريبه على استعمال السلاح، بسبب خبرته العسكرية التي اكتسبها من فترة انضمامه للجيش العثماني زمن الحرب العالمية الأولى.

وبسبب دوره المركزي في الجهاد أرسل له الفرنسيون أحد أقاربه ليساومه على ترك الجهاد، مقابل تعيينه قاضياً شرعياً، ولما رفض ذلك؛ أوعزوا للديوان العرفي في دويلة العلويين التي أسسوها أن يصدروا عليه حكماً بالإعدام، وهذه فضيحة من فضائح العلويين عبر التاريخ؛ بوقوفهم إلى جانب المحتلين ضد أبناء بلدهم وليس دينهم!!

وبسبب عجز الثورة عن مقاومة فرنسا في الشمال، والحكم بالإعدام على القسام؛ قرر ومعه عدد من رفاقه مغادرة سوريا لفلسطين، فذهب لدمشق ونزل عند صديقه القديم عز الدين التنوخي.

وشارك في معركة ميسلون بدمشق، وبعدها سافر سراً إلى عكا، ثم استقر في حيفا.

٤ - جهاده في فلسطين:

وصل القسام عام (١٩٢١م) إلى فلسطين مع بعض رفاقه، ولم يكن الجهاد ضد اليهود والإنجليز غائباً عن تخطيطه، فهو تلميذ لرشيد رضا؛ الذي كان أول من حذر من خطر الهجرات والصهيونية ومخططاتها، ولذلك سعى إلى أن يكون قريباً من العمال والفقراء، لأنهم دوماً المحضن المؤيد للجهاد؛ لأنهم أنقى في الفطرة، ولم يتلطخوا بالعمالة للمحتلين.

ولذلك حرص على مخالطتهم وتعليمهم وتوجيههم، وزرع عقيدة الجهاد بينهم، فاستخلص من المجاهدين الشرفاء، والذين قادوا الجهاد في فلسطين سنوات طويلة حتى بعد استشهادهم. كانت رؤية القسام للخطر الصهيوني على فلسطين تنبع من ثقافة عميقة تدرك أبعاد المشروع الصهيوني مبكراً؛ بفضل كتابات رشيد رضا، كما أنها تدرك عبثية الوسائل السلمية في مقاومتها؛ وذلك بعد تجربته في جهاد ومقاومة الفرنسيين، وكان القسام حازماً وواضحاً أن الجهاد هو الحل لمقاومة الصهيونية، وأن على أهل فلسطين البدء بالجهاد وعدم الانتظار حتى يتمكن اليهود من توطين أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود في فلسطين.

ولذلك يتفق المؤرخون على أن طلاب القسام وتلاميذه هم الذين بدؤوا الجهاد في فلسطين، فثورة البراق سنة (١٩٢٩ م) كانت ردّاً على اعتداء اليهود على حائط البراق، وبسبب هذه الثورة وقع عدد من الشهداء والمصابين، وقُدّم عدد آخر للمحاكمة التي حكمت عليهم بالإعدام، وهم الأبطال الثلاثة المشهورون: فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم.

وفي يوم إعدامهم خطب القسام خطبة نارية، وهو متجههم الوجه دافع العينين؛ فقال:

"يا أهل حيفا! يا مسلمون!

ألا تعرفون فؤاد حجازي؟ ألم يكن فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم إخوانكم؟ ألم يجلسوا معكم في دروس جامع الاستقلال؟ إنهم الآن على أعواد المشانق".
وشارك في ثورة البراق من تلاميذ القسام وأعوانه: عبد الله الأصبح في منطقة صفد، والشيخ فرحان السعدي في قضاء جنين.

وكان لطلاب القسام عدة عمليات جهادية في المدة من (١٩٣١ - ١٩٣٥ م)، منها: الهجوم على مستعمرة الياجور قرب يافا، وعمليات الهجوم على مستعمرات بلغوريا وكفار هاسيديم وعتليت والعفولة، والهجوم على مستعمرة نهلال.

وقد كان نشاط القسام التحريضي على الجهاد موضع مراقبة من الإنجليز؛ ولذلك حين تصاعدت الهجمات في شمال فلسطين اتهم القسام بأنه المدير لها، واستدعي للتحقيق، لكن لم يثبت عليه شيء، وذلك بسبب دقته الفائقة في السرية والكتمان، ولكن مع هذا قرر القسام إيقاف الهجمات لفترة.

تنظيم القسام جهادي:

لم يكن جهاد القسام عفويًا، بل كان عن تخطيط دقيق وعمل مرتب، استغرق وقتًا طويلاً، فهو كان ينتقي عناصره من رواد دروسه وخطبه، ولا يقبل إلا من يجد فيه الإخلاص والجدية، والاستعداد للتضحية، والالتزام بالسرية، فعندها يدخله في حلقة سرية مكونة من (٥) أفراد، يهيئهم علمياً ومعنوياً وعسكرياً للجهاد.

وقد تمكن القسام من تكوين حوالي (١٢) حلقة، لا تعرف إحداها الأخرى، ثم ارتفع عدد أعضاء المجموعة لـ (٩) أفراد.

ولم يكن يستثني القسام أي شريحة من تنظيمه، بل حرص حتى على الرجال المتورطين في السرقة والمشاكل، إذ كان يرى فيهم جرأة وشجاعة لو وجهت للجهاد لكان لها تميز، وفعلاً كان هناك عدد من رفقاء القسام من هؤلاء مثل: حسن الباير؛ الذي روى قصته فقال: "أنا من قرية برقين قضاء جنين، وكنت من قبل أسرق وأرتكب المحرمات، فجاءني المرحوم عز الدين القسام، وأخذ يهيني ويعلمني الصلاة، وينهاني عن مخالفة الشرع الشريف وأوامر الله، وقبل مدة أخذني المرحوم الشيخ عز الدين القسام إلى أحد جبال برقين، وهناك أعطاني بندقيته، فسألته: لم هذه؟ فأجاب: لأجل أن تتمرن عليها، وتجاهد مع إخوانك في سبيل الله".

وتكونت قيادة للتنظيم من أبرز هذه المجموعات، وكان الجميع يدفع اشتراكاً شهرياً بسيطاً للتنظيم، وكان للتنظيم مجموعات في (١٣) مدينة ومنطقة في فلسطين، وكان له عدة لجان منها: لجنة لشراء السلاح، ولجنة للتجسس على العدو، ولجنة للتدريب العسكري، ولجنة للاتصالات السياسية، ولجنة التمويل.

وعُرف أتباع القسام بعد استشهادهم باسم: "القساميين"؛ لأنه لم يضع اسماً للتنظيم، واختلف في عدد أعضاء التنظيم عند استشهادهم؛ فبعضهم يحصره في أعضاء المجموعات فقط، وبعضهم يتجاوزه ليصل لرقم (١٠٠٠) قسامي!!

كان القسام يرفض دعوات بعض أنصاره للقيام بثورة شاملة، وكان يصبر على تأجيل ذلك لحين استكمال الاستعداد، وتوفر مخزون جيد من الأسلحة، وزيادة العدد لحد الكفاية، لأنه يعد لثورة جهادية شاملة وليس لعملية محدودة، فهو يدرك فداحة المخطط الصهيوني الذي لا يجدي معه عمل جهادي محدود.

لكن مع تزايد أعداد التنظيم، وتصاعد وتيرة الهجرة اليهودية، ووقوع ثورة البراق، وتكاثر الشكوك حول نشاط القسام من قبل الإنجليز، واكتشاف تهريب اليهود للسلاح عبر الميناء؛ كل هذا جعل القسام يسرع من خطته وينطلق للعلنية؛ فخطب خطبته الأخيرة، وخرج مباشرة من حيفا، حتى أن الشرطة بحثت عنه بعد الخطبة فلم تجده!!

وكانت نية القسام عدم البدء بالقتال مع الإنجليز واليهود، بل التجول بين الناس وحثهم على الجهاد واقتناء السلاح وتهيئتهم، لكن قدر الله غير ذلك؛ إذ بينما كان القسام يبث الدعوة الجهادية في نواحي جنين قام بعض الحرس بإطلاق النار على دورية شرطة؛ لظنه أنها تبحث عنهم، فانتبه الإنجليز لوجود جماعة مسلحة جهادية، وقد ربطتها بغياب القسام، وفوراً أمر القسام بالرحيل، فتوجهوا جهة أحراش قرية يعبد، ولكن الإنجليز أعلنوا عن مكافأة لمن يدل على (عصابة إجرامية قتلت شرطياً) - نفس الدعاية التي يقوم بها بشار الأسد اليوم بعد (٧٥) سنة ضد الثورة السورية! -.

وفعلاً قام بعض الناس بإبلاغ الشرطة عن تحركات القسام ومجموعته، وهم لا يعرفونهم، حتى حوَّص القسام ومعه (٨) من رفاقه، ومع هذا أمر القسام أن لا يطلقوا النار على الشرطة العرب؛ الذين جعلهم الإنجليز في المقدمة، وإنما يطلقون على الإنجليز فقط!! ورفض القسام الاستسلام، فاستشهد - بإذن الله - هو وثلاثة من رفاقه، وجرح وأسر الباقي منهم، وذلك يوم (٢٠/١١/١٩٣٥م).

أثر جهاد القسام على القضية الفلسطينية:

قلنا: إن القسام لم يكن يسعى للصدام في ذلك الوقت مع الإنجليز؛ فقد نقل عنه قوله: "ليس المهم أن نحرر فلسطين في بضعة أشهر، بل المهم أن نعطي من أنفسنا الدرس للأمة، وللأجيال القادمة"، وفعلاً حقق الله ما كان يقصده القسام باستشهاده وإحياء الجهاد في القضية الفلسطينية.

ومن أول مظاهر اليقظة الجهادية التي أحدثها القسام: ما جرى في جنازته، إذ قرر الإنجليز الساعة العاشرة صباحاً لموعد خروج الجنازة من بيت القسام الواقع خارج بلدة جبلة للمقبرة، دون الصلاة عليها في المسجد في وسط حيفا، لكن المشيعين رفضوا ذلك، ويصف لنا الأستاذ أكرم زعيتر مسيرة الجنازة - وهو من السياسيين القلائل الذين شاركوا في جنازة القسام ورفيقه -، إذ خرج الآلاف يشيعونها من كافة أنحاء فلسطين، وقد تحولت لمظاهرة ضد المحتلين؛ حيث ساروا بالجنازة لوسط حيفا، وصلوا عليها في جامع الجرينة، وهم يكبرون ويهتفون بالانتقام له، وهاجم المشيوعون

دائرة البوليس، واصطدموا بالقوات الإضافية التي جاءت لمنع مسيرة الجنازة، وأجبروها على الانسحاب، ورفض المشيعون نقل الجنازة بالسيارة وحملوها على أكتافهم للمقبرة؛ التي تبعد خمسة كيلومترات عن البلدة.

وكتب أكرم زعير عن أثر استشهاد القسام؛ فقال: "ليس من سبيل إلى الخلاص إلا الجهاد الدامي، وقد فتح القسام الباب؛ فلنلجنه، وإنا لفاعلون! إنها دعوة جديدة أخذت تظهر على ألسنة الناس، ويجهر بها الكتاب، ولم نكن نعرفها من قبل، نفخت في الأمة روحاً لم تكن تفتن لها..".
وقال -أيضاً-: "لقد سمعتك قبل اليوم خطيباً تتكئ على السيف، وتهدر من على المنبر، وسمعتك اليوم خطيباً تتكئ على الأعناق، ولا منبر تقف عليه، ولكنك -والله!- اليوم أخطب منك حياً!".

وقال عجاج نويهض: "سافر القسام وكان جواز سفره الأكبر: مصحفاً في جيبه وقلبه".

وقال حمدي الحسيني: "إن القسام عدل من هذه القضية ما اعوج".

وقال الشيخ سليمان التاجي: "القسام نقل القضية من دور الكلام إلى دور العمل".

ورثاه الشاعر فؤاد الخطيب بقوله:

أولت عماتك العمائم كلها شرفا تقصر عنده التيجان
إن الزعامة والطريق مخوفة غير الزعامة والطريق أمان

لقد اختط القسام في حياته وموته منهجاً جهادياً، أعطى القضية الفلسطينية بعداً جديداً، لا تزال ثماره الزكية تؤتي أكلها لليوم -والحمد لله-.

القساميون على نهج شيخهم:

ذكرنا أن القسام لم يكن معه إلا (٨) من رفاقه يوم استشهاد، لأن خطته كانت بث رفاقه بين الناس لتهيئتهم للجهاد، وفعلاً كان رفاق القسام على قدر المسؤولية والأمانة، وصفهم أحمد الشقيري -وهو أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية-؛ فقال: "لم تجر على ألسنتهم تعابير الكفاح المسلح والحركة الوطنية والاستعمار والصهيونية، فقد كانت تعابيرهم -على بساطته- تنبع من ينبوع أروع وأرفع، هو: «الإيمان، والجهاد في سبيل الله»، لقد كانوا قومًا مؤمنين، صنعهم الإيمان؛ فصفت نفوسهم، وتآلفت إراداتهم، وتعاضمت عزائمهم، وأحسوا أن حبلهم مع الله قد أصبح موصولاً، وأن الباب بينهم وبينه قد بات مفتوحاً".

وكان زعيم القساميين الذي حمل الراية بعد القسام هو: الشيخ المجاهد فرحان السعدي؛ الذي فجر الثورة الشهيرة (ثورة ١٩٣٦م) بعد (٥) شهور من استشهاد القسام، والتي استمرت حتى (١٩٣٩)، وما لبث أن أُعدم سنة (١٩٣٧)، وهو في الثمانين من عمره، بسبب جهاده ضد الإنجليز واليهود.

وبعد إعدامه واصل القساميون المسيرة، وكانوا القادة في المسيرة الجهادية في كل فلسطين؛ وخاصة مناطق الشمال، فقاموا باغتيال حاكم منطقة الخليل لويس أندروز سنة (١٩٣٧)، ويعتبر أبو إبراهيم الكبير من أبرز القادة القساميين.

ولأن القساميين لم يكن لهم اسم أو حزب خاص فقد كان المؤرخون للقضية الفلسطينية يشيرون لهم باسم الشيوخ، مثل: المؤرخ الفلسطيني المعروف محمد عزة دروزة في قوله: "وكل ما أمكن هو: توحيد القيادة العليا في عدة مناطق تحت إدارة عصبة من طبقة المشايخ؛ التي كان يتزعمها أبو إبراهيم الكبير خليل العيسى"، وذكر منهم: الشيخ أبو إبراهيم الصغير، توفيق الإبراهيم -تلميذ العلامة الألباني لاحقاً-، وأبو علي سليمان العبد القادر، والشيخ عطية أحمد، والشيخ يوسف أبو درة، والشيخ عبد الفتاح العبد.

الخاتمة

لقد كانت حياة القسام نموذجاً للعالم المربي والداعية المصلح والمجاهد الصابر، ويكاد أن يكون قدّم تجربة متكاملة للعلاقة بين العلم والعمل، وأعاد للناس تجسيد المفهوم النبوي لدور العالم وهو: وراثته النبوة وتجسيدها في واقع الناس؛ بالتعليم والقدوة وقرن العلم بالعمل والجهاد، فرحمة الله على الشيخ عز الدين القسام ورفاقه بالأمس واليوم والمستقبل!

مراجع للتوسع:

١ - «عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين»، محمد محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق.

٢ - «الوعي والثورة دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام»، سميح عودة، دار الشروق، الأردن.

- ٣- «التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ١٩١٧-١٩٤٨»، محسن صالح، دار الفلاح، الكويت.
- ٤- «النقد والبيان»، كامل القصاب وعز الدين القسام، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٥- «القسام المجاهد والحركة»، تحرير عبد القادر ياسين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.



«النقد والبيان»^(١)

صدر حديثاً عن المكتب الإسلامي كتاب «النقد والبيان»، من تأليف المجاهدين: الشيخ محمد كامل القصاب، والشيخ عز الدين القسام، بتحقيق صاحب المكتب الإسلامي: الأستاذ المؤرخ المحقق زهير الشاويش.

وصدر نفس الكتاب -أيضاً- عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، بتحقيق: الشيخ مشهور حسن سلمان، ضمن كتابه الجديد: «السلفيون وقضية فلسطين».

■ **والكتاب «النقد والبيان» هو:** دفاع عن عقيدة التوحيد، ونشر للسنة، ومحاربة للبدع، ودعوة للتمسك بالكتاب والسنة، وترك الخرافات المخالفة لها.

■ **وقيمة الكتاب هي:** أن مؤلفيه هما من المجاهدين الأعلام في هذا الزمان على ثرى فلسطين، وهذا يعيد لنا سيرة العلماء المجاهدين في تاريخ الإسلام؛ بدءاً من النبي ﷺ -أعظم المجاهدين وسيد العلماء-، مروراً بعبد الله بن المبارك وشيخ الإسلام ابن تيمية -صاحب موقعة شقحب-، إلى عبد الحميد بن باديس في الجزائر، وصولاً إلى القسام والقصاب، ثم الشيخ ابن عثيمين؛ الذي ذكر من عاشره أنه كانت له صلة قوية بالجهاد ودعم المجاهدين بالمال والفتوى والتأييد^(٢)، وستظل القافلة تسير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والكتاب يكشف بكل وضوح عن سلفية مؤلفيه الشيخين: القصاب والقسام، وهذه مسألة مقررة عند كل من تعرض لترجمة الشيخين، ولمزيد من الاطلاع على ذلك يمكن الرجوع إلى كتاب «الوعي والثورة، دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام»، تأليف: سميح حمودة، (ص ٤٢)، وكتاب «التيار الإسلامي في فلسطين، وأثره في حركة الجهاد»، تأليف: د. محسن محمد صالح، (ص ٢٣).

وهذا يقودنا للحديث عن تلازم المنهج السلفي والجهاد، وأن قادة الجهاد هم: العلماء؛ الذين بهم يأتي الجهاد بثماره المرجوة.

(١) مجلة "القبلة" عدد (٣).

(٢) انظر: "مجلة البيان" عدد (١٦٠).

■ وهنا يجب على طائفتين الاستفادة من الشيخين: القصاب والقسام: أما الأولى؛ فيجب عليها - مع الاهتمام بالجهاد - أن تهتم بالعلم والتوحيد، والتمسك بالسنة، والبعد عن الشرك والبدعة؛ لكي يكونوا حقاً على خطى هذين الشيخين. وأما الثانية؛ فلا بد لها من الجهاد، وتحديث النفس به، والاستعداد له، مع انشغالها بالسنة والتوحيد؛ حتى تستكمل جوانب الخير والفلاح.

■ سبب تأليف «النقد والبيان»:

كتابنا هذا جاء ردّاً على كتاب «فصل الخطاب في الرد على الزنكلوني والقسام والقصاب»، لصاحبه: محمد صبحي خزيران - رئيس المحكمة الشرعية في عكا -، وقد أُلّفه تأييداً لأستاذه الشيخ عبد الله الجزار - مفتي عكا -، وذلك بعد أن أفتى الشيخان القصاب والقسام ببدعة وكرهية (الصياح والتهليل والتكبير أمام الجنائز وغيرها)، مما حدى بالشيخ الجزار أن يفتي بجواز ذلك! فأرسل سائل رسالة إلى عالين من علماء الأزهر؛ وهما: الشيخ محمود خطاب السبكي والشيخ علي الزنكلوني؛ فأفتياه بالتحريم، مؤيدين بذلك الشيخين القصاب والقسام، فما كان من الخزيران إلا أن يصنّف ردّاً عليهم في المسألة.

■ سرد أقوال علماء المذاهب الأربعة في حكم (رفع الصوت بالتهليل والتكبير أمام الجنائز وغيرها):

لقد ذكر الشيخان أقوال علماء المذاهب الأربعة، ثم تعقّبوا الجزار في رده، وبيّنوا عدم صحة ما ذهب إليه؛ لأنه مخالف للقواعد الأصولية المقررة عن العلماء، وبيّنوا معنى البدعة، وكيف أن الجزار خلط بين البدعة اللغوية والبدعة الشرعية المحرمة! وتعرّض الشيخان لقضية (الموالد)، وبيّنوا أنها ممنوعة؛ لاشتغالها على الشرور والبدع، عملاً بفتوى الإمام ابن حجر، وأيضاً تطرّقاً لمسألة (ليلة النصف من شعبان)، وعدم حجية شيء من أحاديثها.

وهناك - أيضاً - العديد من المسائل اللطيفة الموثقة بين ثنايا هذا الكتاب.

■ عمل الأستاذ زهير الشاويش:

● لقد قام الشيخ الشاويش بتحقيق الكتاب، والتعليق عليه في الهوامش، وقدم له بمقدمة وافية، وبيّن صلته بالشيخ القصاب وشيئاً من تاريخ الجهاد في فلسطين وسوريا من فم الشيخ القصاب نفسه.

- وذكر الشاويش قصة إنشاء المكتب الإسلامي، وكذلك معرفته بالشيخ الخزيران.
- ترجم للشيخين: القصاب والقسام.
- ألحق بالكتاب فتوى الشيخ القصاب؛ التي ردَّ عليها الخزيران، وكذلك فتوى الجزار، وفتوى الزنكلوني والسبكي؛ لكي تكون الصورة مكتملة عند القارئ.
- وألحق أقوال العلماء المعاصرين للقضية؛ الذين أيدوا موقف الشيخين، وهذه فائدة مهمة لمعرفة مدى انتشار دعوة الكتاب والسنة عن المصلحين والعلماء في ذلك الزمان، ومن هؤلاء: الشيخ محمد بهجت البيطار، والشيخ محمد بهجت الأثري، والشيخ عبد القادر بدران، والشيخ عبد المعطي السقا.
- وكتاب «النقد والبيان» قد مضى عليه سبعة وسبعون عامًا؛ حيث أُلّف عام (١٩٢٥م)، ولكن لا يزال الصراع بين السنة والبدعة والتوحيد والشرك قائمًا، فعلى المسلم أن يناصر الحق والسنة، ويجذر البدعة والشرك.
- ولقد أُلّف الشيخان هذا الكتاب وهما يعدّان العدة لدعم المجاهدين في سوريا، فلم يشغلها الجهاد عن رد البدع والشرك، كما لم يشغلها رد البدع والشرك عن الجهاد والقتال في سبيل الله ﷻ.



الحاج أمين الحسيني بين نتيهاهو وهتلر!^(١)

الحاج أمين الحسيني - الذي شغل منصب المفتي العام لفلسطين - يعد أحد أبرز الشخصيات الفلسطينية المعاصرة؛ التي تولت قيادة العمل الوطني الفلسطيني، وتصدت للاحتلال البريطاني والميلشيات اليهودية.

كان للحسيني دور بارز في دعم الثورة الفلسطينية والثوار والمجاهدين، ومن أهمهم: الشيخ المجاهد عز الدين القسام، كما كان له مشاركة في النضال السياسي ضد الاحتلال. سافر الحاج أمين مطلع شبابه لمصر، والتقى بالعلامة السلفي رشيد رضا، وكان أحد طلبة مدرسته "الدعوة والإرشاد"؛ التي كانت تهدف لتكوين قيادات للأمة من مختلف الدول، تملك العلم الشرعي والوعي العام لخدمة الأمة وقضاياها، لكن تعثرت مسيرة المدرسة بعد سنتين بسبب أزمة مالية.

وتفحص قائمة طلبة هذه المدرسة يجد المرء أن كثيرًا منهم أصبح من رموز الأمة ورجالاتها. التحق الحاج الحسيني بالمعاهد العسكرية العثمانية بالأستانة، وتخرج ضابط احتياط، ثم عاد لفلسطين وشارك في العمل الوطني بمختلف صورته وأشكاله؛ حتى أصبح مفتي القدس ورمز فلسطين.

بقيت العلاقة بين الحاج أمين ورشيد رضا وثيقة الصلة، ويكفي للدلالة على ذلك: مراجعة مجلة "المنار"؛ وخاصة المقالات التي وثقت للمؤتمر الإسلامي في القدس، وكيف كان رشيد رضا شريكاً مع تلميذه الحاج أمين في المؤتمر من الفكرة حتى البيان الختامي. للأسف أن سيرة الحاج أمين أصبحت مجهولة عند الجيل الفلسطيني الجديد؛ فضلاً عن بقية الشباب العربي والإسلامي.

بالأمس فاجأ نتيهاهو العالم بكذبة ضخمة جداً! وهي - بزعمه! -: أن الحاج أمين هو من حرض هتلر على حرق اليهود! وهي كذبة صلعاء - كما يقولون -، ليس لها أي مستند أو دليل، لكنها الحرب الإعلامية اليهودية التي يراد منها: تشويه صورة الفلسطينيين، ونسبتهم للنازية والإرهاب؛

(١) صحيفة "الغد"، (٢٣/١٠/٢٠١٥).

ولمحاولة إيقاف الانتصارات الفلسطينية في حرب مقاطعة المنتجات اليهودية والتعاطف الشعبي العالمي مع قضية فلسطين.

هكذا هم اليهود! لا يكفون عن الإجرام والقتل والعدوان، ومن ثم الكذب والبهتان، ولو في قضية معروفة وواضحة كالشمس! لكنها طريقته وطبيعتهم، وللأسف تجد من يُحسبون على العرب والمسلمين ممن يحاول إنكار هذا الواقع وهذه الصفات في اليهود، ثم يظن أنه قادر على التفاهم والحوار والمفاوضة معهم؟!!

الكذبة التي جاء بها تنياهو في خطابه أمام "المستدروت الصهيوني" ليس لها أي نصيب من الصحة، ولم يقل بها أي حاقد يهودي قبله - على كثرتهم! -.

بل هي كذبة تناقض شهادة الحاج أمين الحسيني نفسه؛ التي سجلها زهير المارديني في كتابه «١٠٠٠ يوم مع الحاج أمين»، وهو كتاب نادر، ولم يعد يعرفه الكثير من الباحثين.

في هذا الكتاب - الذي يعد سيرة شخصية للحاج أمين - يروي فيه لقاء الحسيني بهتلر، وأن الحاج أمين حين عرض رؤيته لليهود، وأنه يفرق بين اليهود والصهيونيين اعترض عليه هتلر، وقال له: "أنتم العرب تتعاملون مع السياسة بعواطفكم، أما نحن فتعامل معها كعلم"، وقال له: "غداً تزور بعض المراكز العلمية حتى تعرف حقيقة اليهود".

وهذه الشهادة تكشف أن هتلر كان يرى قصور رؤية الحاج أمين لخطر اليهود، وأنه في موقع المعلم والموجه للحاج أمين، بعكس كذبة تنياهو التي قلبت الأدوار!

وهذه الشهادة الشخصية لصاحب القضية التي كتبها من قبل (٤٠) سنة أصدق وأدق من كذب تنياهو، فقد ذكر الواقعة كما هي، وكان يمكن أن يصور نفسه معلماً وموجهاً لهتلر، ويتفاخر بذلك؛ خاصة وأن المناخ في ذلك الوقت قابل لمثل هذه البطولات والعنتريات! لكنه ذكر الحقيقة؛ برغم أن فيها نوعاً من نسبة النقص والقصور لنفسه.



العلامة الأشقر.. برحيله شمس تشرق!^(١)

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت بموته خلق كثير

يوم الجمعة الماضي، فقدت الأمة الإسلامية رجلاً ربانياً، وعالماً محققاً، وداعية موفقاً، فقبل صلاة العصر بساعة، صعدت روح العلامة عمر الأشقر إلى بارئها، وذلك بعد صبر جميل على آلام إصابته بمرض السرطان؛ فقد كان الشيخ رحمته الله هو الذي يُصبر ويُذكر، ويرفع من عزيمة من جاء يعوده، ويشد من أزره في مرضه؛ إذ كان رحمته الله راضياً بقضاء الله، فرحاً بعطائه!

العلامة الأشقر كان محط قبول الجميع، ونقطة يتلاقى عندها كثير من الفرقاء في حياته وبعد مماته؛ ففي جنازته التي بلغ مشيعوها الآلاف، تجمعت كافة أطراف العمل الإسلامي، وسارت خلف جثمانه مختلف المدارس العقدية والفقهية، لما كان يتحلى به من ربانية الطاعة ونبوية الأخلاق والمعاشرة.

ويُنقل عن الشيخ الألباني أنه قال بحق الشيخ عمر الأشقر: "عليه سمت العلماء".

وجنازة الشيخ أكدت دقة حكمة السلف؛ حين جعلوا يوم الجنازة دليلاً على فضل ومنزلة المتوفى، فقال الإمام أحمد بن حنبل: "قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنازة"، إذ إن الجماهير لا تخرج لتشييع من لا تثق فيه وتحترمه، خاصة وأنه قد مات وأفل نجمه.

والمكانة التي وصل إليها الشيخ رحمته الله هي بتوفيق الله عز وجل له أولاً، ثم بسبب تعلمه وتربيته على يد علماء أعلام كانوا نجوم زمانهم، وكانوا أصحاب نهج مسدد وعلم محكم وخلق عالٍ وتجربة وحكمة راقية، فالشيخ رحمته الله في مجالسه وفي ترجمته لنفسه في كتاب «صفحات من حياتي» كان دائم الذكر لسيرة شيوخه واستفادته منهم، مثل: العلامة ابن باز، والعلامة الألباني، والعلامة الشنقيطي، والعلامة عبد الرزاق عفيفي، والشيخ محمد البنا، وأخيه الشيخ محمد الأشقر، والشيخ عطية سالم، والشيخ محمد المجذوب، والشيخ مناع القطان -رحمهم الله-.

(١) صحيفة "الغد"، (١٧/٨/٢٠١٢).

ويلاحظ أن هؤلاء العلماء من بلاد مختلفة، وتميزوا في أبواب متعددة من العلم الشرعي، وكان لكل واحد منهم دور وتأثير بالغ، فمن كرامة الله ﷻ للشيخ الأشقر أن هياً له اللقاء بهم والتعلم منهم، وكان الشيخ رحمه الله الثمرة الطيبة لهذا المزيج الزكي والفواح لعلماء ربانيين ومجاهدين مخلصين لله.

لقد بدأ لقاء الشيخ الأشقر رحمه الله بهؤلاء العلماء منذ كان في الثالثة عشرة من عمره، لأنه سافر من فلسطين إلى الرياض العام (١٩٥٣) عند أخويه الشيخ محمد الأشقر وعبد القادر - رحمهما الله -، وكانا على علاقة بالشيخ ابن باز وغيره من العلماء، فكان يرافقهما في زيارتهما.

وحين قدر الله ﷻ على الشيخ مغادرة السعودية العام (١٩٦٤) والاستقرار في الكويت، كان رحمه الله قد أصبح طالب علم متمكناً، وداعية له دوره، يقول رحمه الله عن هذه المرحلة: "فقد حطت رحالي بها وأنا في مطلع مرحلة الشباب، وكنت حصلت على بعض العلم والعمل في الفترة التي كنت فيها في المدينة المنورة.. عملت عدة سنوات في الجامعة الإسلامية، صحبت فيها علماء أعلاماً، منهم: فضيلة شيخنا الشيخ ابن باز، ومنهم: الشيخ الألباني والعلامة الشنقيطي.."

وقد عملت في مجال الدعوة إلى الله في مساجد المدينة، وكان لي شرف الإشراف - مع إخوة - على الرحلات التي تقوم بها الجامعة إلى المدن ورحلات الحج والعمرة.

وسافرت إلى السودان، وتعرفت على عدد كبير من العلماء والدعاة الذين يردون المدينة، أمثال: الشيخ أبو الأعلى المودودي، والشيخ الندوي، والشيخ أمين الحسيني.

لذا؛ فإنني لم أبدأ العمل من الصفر عند حلولي في الكويت، بل تابعت مسيرة سابقة حافلة بالعبء، وكان لي من الخبرة ما يمكنني من الانطلاق بالدعوة"^(١).

ولذلك، فالشيخ رحمه الله حين بدأ بالدعوة إلى الله في الكويت - بصحبة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق - لم يكن له ارتباط بجهة أو جماعة، يقول رحمه الله: "وانطلقت أنا والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق نعمل في مسارين:

الأول: في تعليم الناشئة الإسلام في المدارس.

والثاني: التدريس في المساجد.

(١) «صفحات من حياتي» (ص ٩٨).

ولم تكن لنا خلفية حزبية تأمرنا وتنهانا.. وأتانا بعض القيادات الإسلامية تناقشنا تجاه ما نقوم به من عمل، وطلبت منا التوقف عن العمل في المساجد"^(١).

ولذلك؛ فإن ارتباط الشيخ رحمته بجماعة الإخوان المسلمين كان لاحقاً لتكون شخصيته العلمية ودوره الدعوي.

ولذلك؛ فإنه يعد ضمن العلماء السلفيين الذين انضموا لجماعة الإخوان المسلمين، مثل: العلامة محب الدين الخطيب، أو العلماء السلفيين الذين تعاونوا مع جماعة الإخوان المسلمين، مثل: العلامة الألباني مدة من الزمن.

والشيخ رحمته يعد نموذجاً يستحق الدرس والتأمل في هذه العلاقة بين كونه عالماً سلفياً وعضواً في جماعة الإخوان، إذ لم تمنعه عضويته بل وزعامته في الجماعة من الثبات على منهجه السلفي، حتى لو تطلب ذلك نقد مؤسس الجماعة الأستاذ حسن البنا رحمته؛ إذ خطأ الشيخ الأشقر مذهب البنا القائل بالتفويض في باب الأسماء والصفات في كتابه العقيدة في الله.

وموقفه المخالف لجماعة الإخوان من ثورة الخميني في مؤتمر طلبة بريطانيا وأميركا العام (١٩٨٠) معلوم ومشهور.

كما أن الشيخ رحمته اعترض على نص البيعة التي كانت تؤخذ من أفراد جماعة الإخوان في الأردن لمخالفتها للشرع، وقد استجابت القيادة لاعتراضه وتم تصويبها.

وله مواقف عديدة مشابهة، ولقد أصاب الشيخ محمد عبد العزيز - وهو من أخص طلبة الفقيه - الحقيقة حين وصف الشيخ رحمته بأنه: "لم يكن حزبياً بالمعنى المقيت".

ويحدثنا الشيخ عمر عن تطور نشاطه ودعوته مع الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق؛ فيقول: "وتمخض العمل الإسلامي في الكويت إلى التشكل في عدة اتجاهات:

الأول: العمل الإخواني، وكان أغزره العمل الكويتي، ثم العمل الفلسطيني..

والثاني: العمل السلفي؛ الذي رعاه الشيخ عبد الرحمن حتى تجذر وتأصل..

ولم نكن أنا وعبد الرحمن نريد تكوين عمل خاص بنا"^(٢).

(١) «صفحات من حياتي» (ص ٩٢).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٩٣).

ويدلنا هذا على أن الشيخ عمر تقاسم الأدوار مع الشيخ عبد الرحمن؛ فالشيخ عمر يعمل في الوسط الإخواني الكويتي والفلسطيني، والشيخ عبد الرحمن يعمل في الوسط السلفي الكويتي. واستطرداً؛ فقد سألت شيخنا عبد الرحمن عن علاقته بالشيخ عمر بعد أن قرأت كتاب الشيخ عمر - والذي ذكر فيه الشيخ عبد الرحمن كثيراً-، فقال لي: "لعله لم يتحاب اثنان مثلنا!".

ولكن هذا الدور للشيخ عمر في الوسط الفلسطيني تجاوزه الشيخ في كتابه، لأنه حرص على أن يبقى بعيداً عن الأضواء، ولقد رفض الشيخ طلبات متكررة للأستاذ عزام التميمي - مالك قناة الحوار- للخروج في برنامج مراجعات، بسبب إصرار التميمي على الحديث عن دور الأشقر في تأسيس حركة حماس، وهو ما كان الشيخ يرفضه بشدة، ولكن الشيخ كتب عن هذا الدور أوراقاً لم تكتمل ولم تنشر بعد.

ولذلك؛ فإن الحضور البارز لرئيس وأعضاء المكتب السياسي لحماس لجنازة الشيخ، وتولي خالد مشعل شخصياً إنزال الشيخ في قبره، ثم تصريحات مشعل بحقيقة مكانة ودور الشيخ في حركة حماس؛ بأن الشيخ رحمته من كبار وأوائل المؤسسين والقادة؛ كان مفاجئاً، ليس لغير الإسلاميين بل لكثير من قادة وشباب حماس والإخوان أنفسهم؛ والذين كان بعضهم زاهدين في علم الشيخ واللقاء به!

ولعل في الكشف عن هذا الدور المركزي للشيخ رحمته في حركة حماس الجواب لتساؤل الكثيرين عن سبب وجود الشيخ في جماعة الإخوان رغم سلفيته، ورغم عدم خضوعه للتوجهات الحزبية للجماعة أو بعض مواقفها الشرعية.

أما استغراب البعض لاهتمام الشيخ، لا بل لمبادرته وتفانيه في الجهاد في سبيل الله تعالى، برغم أن كتبه وخطبه ودروسه وشخصيته قد لا تدل على هذا الدور المركزي في الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فإنها هو استغراب في غير محله، لأن العلماء الربانيين كانوا هم طليعة المجاهدين من عهد الصحابة رضي الله عنهم وإلى عصرنا الحاضر، ومن العلماء المعاصرين الذين قادوا الجهاد: الحاج أمين الحسيني، وعز الدين القسام، وعبد الله عزام، وعمر المختار، وعبد الكريم الخطابي، والشهيد أحمد عرفان.

وهذا الحب للجهاد ورثه الشيخ رحمته من شيوخه، انظر إليه يحدث عن رحلة مع الشيخ ابن باز قبل (٤٠) سنة، فيقول: "وقد حضرت شيخنا الشيخ عبد العزيز رحمته في إحدى رحلاتنا مع الطلبة،

فأحضر أحدهم بندقية، فأخذها الشيخ بيديه، وأخذ يتلمسها، ويذكر مقاطعها، ويتغنى بها كأنها هي عروس!^(١)

وختامًا؛ إذا كان الله ﷻ كتب للشيخ الأشقر القبول في الأرض في حياته برواج كتبه والحرص على لقاءه وتقديره بين أهل العلم، كما شهدت جنازته زحف الألوف من الناس على اختلاف مشاربهم، فإنني متفائل أن نجمه سيبزغ أكثر، وأن شمسه ستشرق أجمل بعد موته حين علم الناس حقيقة دوره الجهادي، بحيث أعاد للناس ضرب المثل بكونه العالم العامل المجاهد الرباني الخفي الشهيد، نحسبه كذلك والله حسيبه!



(١) «صفحات من حياتي» (ص ٤٤).

الخلفية الدينية للحروب الصهيونية^(١)

تعددت الفتاوى اليهودية التي حثت الجيش الإسرائيلي على ممارسة أقسى أنواع القتل بحق الفلسطينيين في غزة، ولم تستثن حتى الأطفال والنساء وكبار السن! وقد صدرت هذه الفتاوى من كبار المحامات والمرجعيات اليهودية، وبعضها يمثل جهات رسمية؛ كما هو حال "الخاصة الكبرى بالجيش الإسرائيلي".

هذه الفتاوى المناقضة لروح الأديان السماوية القائمة على الرحمة والعدل والصفح، ونحن المسلمين نعتقد اعتقاداً جازماً أن الديانة اليهودية الحق - وهي رسالة موسى ﷺ - بريئة تماماً من هذا الظلم والطغيان، فهذا الطغيان هو من صنع الظالمين من بني إسرائيل؛ الذين قتلوا الأنبياء، وحرفوا التوراة، وحاولوا قتل المسيح ﷺ؛ فحماه الله منهم ورفعهم إليه.

يمكن تسجيل ملاحظتين حول هذه الفتاوى:

الملاحظة الأولى: أن هذه الفتاوى لم تلقَ ما تستحقه من استنكار ورفض؛ لكونها تشرعن القتل الظالم والبشع لجيش معتدٍ ذي تاريخ ممعن في ارتكاب الجرائم.

ولو أن مثل هذه الفتاوى صدرت - لا سمح الله - من جهات إسلامية لوجدت جهات مثل: موقع "MEMRI ميمري" الصهيوني - المعني برصد البرامج الإسلامية، واجتزاء مقاطع منها وترجمتها وعرضها، ومراسلة وكالات الأنباء العالمية بها؛ للتشهير بالإسلام ورموزه - أقامت الدنيا ولم تقعدوا!!

لكن لأن العمل الإسلامي لا يزال يعيش مرحلة من الضياع والتهيه، يمارس فيها الحديث مع الذات معتمداً على خطاب ما ينبغي أن يكون؛ دون برنامج للوصول إلى الغاية والمطلوب، رأينا أن مثل هذه اللحظة السانحة تضيع من أيدينا، وقريب من هذا أن العدوان على غزة امتد (٢٣) يوماً، وتوقف منذ أسبوعين تقريباً وكل الهيئات الإسلامية الرسمية والشعبية لم توثق جرائم جيش الاحتلال بعد!! ولم تتفق على جهة تتولى القيام برفع دعاوى لمحاكمة القيادات الإسرائيلية المجرمة!! ولم تتضح بعد الآلية المناسبة لذلك!!

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/٦/٢٠١٤).

وأخشى ما أخشاه أن تتعدد الاجتهادات أو الجهات بحسن نية أو حرصاً على الظهور والمكاسب الفتوية! مما يشتت الجهود أو يبطئها بتعدد الدعاوى؛ مما يسقطها أو يدخلها لعبة اللجان البيروقراطية الرسمية، فيمضي الزمن ولا نحقق شيئاً! وفي المقابل بدأت إسرائيل بإجراءات ملموسة لحماية وحصانة جنودها من أي ملاحقة، ونحن لا نزال نراوح في مكاننا!

والملاحظة الثانية: هي حول وحشية العقيدة اليهودية والتوارثية المعاصرة، ولا يوجد دليل أكبر من هذه الفتاوى الجديدة على ذلك، والعجيب هو: محاولة البعض نفي هذه الطبيعة العدائية للفكر اليهودي المحرف؛ الذي لم يتورع عن قتل الأنبياء! كما قال ﷺ عن اليهود: ﴿يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ [آل عمران: ١١٢]، والتعنت في الاستجابة لأوامر الله ﷻ؛ كما في قصة التيه وذبح البقرة.

من العجيب: أن يحاول البعض أن يبرئ ساحة اليهود من كل شر! ومن أمثلة هذه المحاولات ما يلي:

■ جعل الفكر العنصري الغربي مصدر عدوانية اليهود للآخرين الذين يسمونهم: "الأغيار"؛ والذين يستحلون دماءهم وأموالهم!!

وكل مطالع للتاريخ يعرف أن مصطلح "الأغيار" أقدم بكثير من العنصرية الغربية، كما أن الممارسات العدائية لليهود تجاه الآخرين كانت بشعة منذ زمن طويل جداً، ومن أبرز مظاهر العدوان على الآخرين: ما يسمى بـ: "فطيرة صهيون"، وهي فطيرة تصنع في عيد الفصح معجونة بدم شخص غير يهودي.

■ الإدعاء بأنه ليس للشريعة ولا العقيدة اليهودية علاقة بتشكيل "عقلية الجيتو" لدى اليهود، بل "الجيتو" نشأ من التمسك بأشكال الحياة التي ألفها اليهود!!

ورغم أن أبسط دارس للفكر اليهودي يعرف أن العزلة والانفصال عن الآخرين بدعوى أنهم "شعب الله المختار" هما مركز دينهم ومعتقدهم، ولذلك فاليهودية دين غير تبشيري؛ إنما يكتسب بالولادة من أم يهودية فقط.

ف عزلتهم جاءت بسبب استعلائهم على الآخرين؛ من خلال اعتقادهم بأنهم "شعب الله المختار"، ولأسباب تتعلق بطقوسهم وشعائرهم.

■ القول بأن الصهيونية ليست وليدة للفكر اليهودي، بل هي وليدة للفكر المسيحي البروتستانتي! ولم تظهر الصهيونية بين اليهود إلا بعد عدة قرون من ظهورها بين البروتستانت!!

والعقيدة اليهودية ليست صهيونية بذاتها، بل بسبب جهود طويلة لصهيئة اليهودية قام بها الصهاينة اليهود بتوجيه ودعم من الغرب!!

وهكذا بجرّة قلم يشطب هؤلاء كل المعتقدات اليهودية بأرض الميعاد - فلسطين -؛ والتي تم توارثها عبر تاريخهم الطويل؟! كما أنهم يتجاوزون حقائق التاريخ التي تنص على أن الاستيطان اليهودي في فلسطين عرف منذ القرن الثامن عشر بهجرات يهود روسيا، نتيجة عداة الشعوب لهم بسبب مؤامراتهم، فتوجهوا لفلسطين بدوافع دينية يهودية.

إن جعل اليهود شياطين وشرّاً مطلقاً خطأ، لكن في المقابل جعل اليهود جماعات من البلهاء والسذج ليس لديهم دافع ديني في حربنا وقتلنا، وإنما هم مرتزقة جاء بهم المستعمر لبلادنا دون رغبة منهم ولا طمع، هو نوع من الخطيئة الكبرى؛ لأنه يصدر من منطلق علمي لفهم اليهودية وحربها، فيقع في التسطيح وردة الفعل على الأقل؛ فهذه مصيبة!

إن ترويج مثل هذه الأفكار في كتاب «المدخل للقضية الفلسطينية»؛ الذي يدرس كمقرر في بعض الجامعات العربية والإسلامية يشوه نظرة الطلاب للقضية الفلسطينية، ويجعلها تقف على رأسها بدلاً من قدميها! وأن يقوم بطباعة هذا الكتاب وترويجه منذ سنوات مركز دراسات يتبنى خيار المقاومة الإسلامية هو من أشد العجب!!



تعقيب حول اليهودية والصهيونية^(١)

الحقيقة أنني لم أستغرب من تعليق القارئ "أحمد" على مقالي: (الخلفية الدينية للحروب الصهيونية) المنشور بـ "الغد" يوم (٢٠٠٨/٢/٦)، لكن ما فاجأني هو: مقال الزميل سامر خير: "العدو الصهيوني والصديق اليهودي"؛ حيث أن محرر الصفحة قد غير عنوان مقالي من "وحشية اليهودية المحرفة" إلى العنوان المنشور مع حذف الفقرة الأخيرة! وبذلك يكون المحرر هو من افتعل المشكلة!!!

وأعجب من هذا: أن القارئ أحمد والزميل سامر لم يركّزا على جوهر المقال وهو: إدانة الفكر الإرهابي اليهودي وهو يصدر حتى من جهات رسمية، ويحظى بدعم ورعاية حكومية، وعدد ضحاياه يفوق بأضعاف كثيرة جداً ضحايا غيره من أشكال الإرهاب!!

أين إدانة الفتاوى اليهودية الرسمية من قبل حكومة إسرائيل وأمريكا والمنظمات الدولية؟ لماذا يتم فقط التركيز على الإرهاب المنسوب لجماعات إسلامية؛ رغم أن العالم مليء بجماعات العنف والإرهاب؟

ممارسات المستوطنين الإرهابية بحق الفلسطينيين - من طرد واستيلاء على الأرض والمنازل - ألا تتم بخلفيات دينية يهودية، ومن ثم تجد السند من الحكومة الإسرائيلية؟؟ أليست المستوطنات قد نمت وتوسعت في حقبة السلام واتفاقية "أوسلو" و"خارطة الطريق"؟!

لماذا مع كل هذا ما يقلق المعلق والزميل سامر فقط إدانة التطرف الإسلامي الذي تمارسه "القاعدة" وضرب له سامر خير مثال: مقتل يهودي في اليمن؟ فلا أدري لماذا هذه المعايير المزدوجة على طريقة سيئ الذكر بوش!؟؟

أما الإرهاب اليهودي الذي يقوم به جيش منظم يستخدم الطائرات والدبابات في إرهابه فقد تغاضى عنه!

ونأتي لقضية ناطوري كارتا التي يتشدد بها القارئ والزميل سامر؛ فللأسف يبدو أن كلاهما لا يعلم أن ناطوري كارتا لا تختلف في أفكارها ومعتقداتها عن أي مجموعة يهودية أخرى؛ في

(١) صحيفة "الغد"، (٢٠١٤/٦/١٢).

عدوانية معتقداتها تجاه الآخرين، فهي -أيضاً- مجموعة يهودية أرثوذكسية متعصبة بشكل أكبر، فهي ترفض حتى بعض اليهود فكيف بالآخرين؟

لكن موضع خلافها مع إسرائيل هو: أنها تؤمن أن العمل لقيام إسرائيل هو مهمة المخلص وليس اليهود، وأن أي محاولة لذلك هي مخالفة للعقيدة اليهودية، وليست مخالفة للحق أو العدل. فناطقري كارتا تؤمن أن فلسطين هي أرض الميعاد، وهي حق لليهود؛ ولكن المخلص هو من سيرجع فلسطين لملك اليهود، ولذلك فأى جهد يسبق ذلك هو افتئات على حق المخلص، ومن مثل ذلك نجد أن بعض المجموعات الدينية اليهودية المتطرفة التي اعترفت بإسرائيل لا تزال ترفض الخدمة العسكرية من منطلق ديني، لكنها تمارس الاستيطان والاعتداء على الفلسطينيين، والسطو على المسجد الأقصى، وحفر الأنفاق؛ فهل لعدم دخولهم الجيش يجوز اعتبارهم مختلفين عن بقية اليهود في فلسطين أو الحكومة؟؟

إن حال ناطوري كارتا كحال الشيعة قبل ظهور نظرية "ولاية الفقيه"؛ التي تبناها الخميني وعارضه فيها بقية المراجع، فليس الخلاف في العقيدة الشيعية، ولكن على طريقة نصره العقيدة الشيعية التي تؤمن بإمامة المهدي المنتظر، فليس هناك في الحقيقة خلاف بين ناطوري كارتا وبقية اليهود على العقيدة اليهودية، بل الخلاف هو: في منهجية السعي لقيام دولة يهودية.

ولذلك؛ فإن معارضة ناطوري كارتا لوحشية وجرائم إسرائيل أمر مرحلي فقط، فحين يأتي المخلص اليهودي -بحسب التوراة والتلمود الذي بين أيديهم اليوم- سيكونون من أشد مساعديه في الوحشية تجاه الآخرين؛ مسلمين ونصارى!!

هذا كله لا يعني: أن لا نستفيد سياسياً ومرحلياً من خلافهم مع إسرائيل، ونوظفهم في خدمة قضيتنا أو نتواصل معهم، لكن لا يجوز أبداً أن نسلخهم من عقيدتهم التي يؤمنون بها! ولذلك ذكرت في مقالي: "إن جعل اليهود شياطين وشرراً مطلقاً خطأ"، لأن الإسلام شرع لنا الزواج من اليهوديات المحصنات العفيفات، والقرآن أخبرنا أن فيهم من يؤدي الأمانة؛ رغم أن الخيانة هي الغالبة عليهم.

ولذلك؛ فإن الحديث عن البعد الديني لوحشية اليهود لا يبرر الاعتداء عليهم دون سبب يستحقون العقوبة عليه، فالنبي ﷺ بعد أن عاهد تجمعات اليهود في المدينة لم يعاقب جميع اليهود حين حاول بعضهم قتله، بل عاقب من حاولوا ذلك فقط.

الخلاصة: إن التأكيد على البعد الديني لليهود أمر مهم ومطلوب، يجب أن يعطى حقه ونصيبه من التحليل والمقاومة؛ خاصة مع تعالي الأصوات التي تحاول تبرئة اليهودية المحرفة من وحشيتها وعدوانيتها، والتركيز على أبعاد أخرى فقط.



رواية الهروب إلى العاصفة^(١)

يصف كثير من أعضاء النخبة الثقافية عصرنا بأنه: عصر الرواية، لا عصر الشعر. والرواية: جنس أدبي غربي، وهو نشر خيالي يعتمد على السرد والحوار، له مكونات متعددة أهمها: الأحداث والشخصيات والزمان والمكان والرؤية الروائية، وتتميز عن الأسطورة بكون مؤلفها معروفاً.

وقد أصبحت الرواية ذات رواج كبير، والمميز منها يجد طريقة لعالم السينما والتلفزيون، ومن هنا ينبع تأثيرها الواسع في المجتمعات.

وقد عرفت الدعوة الإسلامية المعاصرة عالم الرواية مبكراً، فأول رواية عربية "مناظر ريفية" صدرت في عشرينيات القرن الماضي، ولم تتأخر الرواية الإسلامية؛ فصدرت بعد سنوات معدودة روايات محمد فريد أبو حديد وعلي أحمد باكثير، وسرعان ما احتلت مكاناً مرموقاً بل منافساً؛ حيث حصل أبو حديد على جائزة الدولة التقديرية سنة (١٩٦٣)، ويذكر هنا أن علي باكثير تقاسم جائزة الدولة التقديرية الأولى مناصفةً مع نجيب محفوظ، لكن نجيب محفوظ -الذي اكتشف مواهبه وأظهره للناس سيد قطب- حظي بمن يسلط عليه الأضواء بينما باكثير -بسبب ميوله الإسلامية- عانى من التعقيم والإهمال!

للواية الإسلامية اليوم رواج وانتشار يتوسع في القراء والمواضيع والقضايا التي يعالجها؛ فضلاً عن الأسلوب وطريقة المعالجة.

"الهروب إلى العاصفة" هي الرواية الأولى من ثلاثية: "رحلة أبراهام" الحاخام الأرثوذكسي الروسي، التابع لجماعة ناطوري كارتا؛ التي تمتد عبر "الهروب إلى العاصفة"، و"بشارات هائمة"، و"كهولة قبل البلوغ"؛ والتي تجاوزت صفحاتها (٢٠٠٠) صفحة.

"رحلة أبراهام" التي سجلها لنا د. إيهاب عويص، وهو طبيب الأسنان الفلسطيني، المولود في دمشق سنة (١٩٦٩)، والذي تنقل للدراسة بين ألمانيا الغربية وهنغاريا وأخيراً روسيا، حيث تزوج هناك وأكمل دراسة الطب وعمل بها، ثم عاد لدمشق، وعقب الثورة السورية غادرها للسعودية.

(١) صحيفة "الغد"، (٢٨/١٠/٢٠١٤).

وقد مر بتجربة واقعية حول سلامة الدين ووجود الإله وصحة الإسلام، جعلته يطوف في عالم المعرفة حول الأديان والعقائد والمذاهب والفرق؛ حتى عاد للإسلام باقتناع ويقين عن دراسة وتمحيص، بل كانت هذه التجربة سبباً لإسلام زوجته أميرة نيكولايفنا، والتي كانت ألحَّت عليه بتسجيل هذه الرحلة.

وفعلاً؛ دونَّ إيهاب تفاصيل بحثه في الأديان والفرق والمذاهب في الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلامية)، حتى أصبحت الرواية دائرة معارف في تفاصيل هذه العقائد وتشعبات فرقها ومذاهبها، وأيضاً تناول حقائق جماعة "عبدة الشيطان وعقيدة البوذية"، ولكن بأسلوب جذاب وشيق، بعيداً عن الصيغة الأكاديمية الجافة؛ التي تستصعب على قطاعات واسعة من الناس.

ولم يقتصر إيهاب على النواحي العقائدية، بل تناول الجوانب السياسية لهذه الأديان في عالمنا المعاصر، فتناول علاقة الصهيونية بالمسيحية واليهودية، وخلافات فرق اليهود السياسية في فلسطين اليوم وانعكاساتها على قرارات الحكومة الإسرائيلية ومواقفها؛ فضلاً عن تناول جوانب من كشف عمليات الموساد.

ولأن المادة والمعلومات التي يقدمها إيهاب في تجربته دسمة للغاية؛ رأى أن تقديمها في صورة رواية سيجعلها أسهل في القراءة والفهم والانتشار، ولكن مع الحفاظ على الدقة والموضوعية والأمانة العلمية في نقل الأقوال والمواقف الخاصة بكل دين أو فرقة أو طائفة.

وهذه نقطة القوة والتميز الأولى في "رحلة أبراهام"؛ التي جعلت منها أول رواية في مقارنة الأديان مع الالتزام بالواقعية والدقة في معلوماتها ومواقفها، فهي مستقاة من المصادر الأصلية والمعتمدة لكل دين أو فرقة، أو من خلال المواقع الإلكترونية الخاصة بكل جماعة؛ بما يتعلق بمواقفهم السياسية والعملية.

أما نقطة التميز الثانية فهي: في الحبكة الروائية لبطل القصة "الحاخام الشاب أبراهام"؛ الذي ينزعج من تناقضات فرقته اليهودية (ناطوري كارتا)، فيصطدم بفتاة من عبدة الشيطان لتفتح في قلبه نافذة الشك في صحة عبادة الله، لكنه بالدراسة يكتشف زيف وبطلان فكرة عبادة الشيطان.

ثم يصادف في رحلته في البحث عن الحقيقة دعاء البوذية النشطاء في هذه المرحلة؛ ليتعرف عليها ويدرك مقدار الخلل والتناقض الكامن في تجمعاتها بحسب البلد الذي تتواجد فيه.

ثم يدخل في حوار مع جاره اليهودي الملحد الماركسي حول حقيقة الدين ووجود الإله، وبعد قراءات مطولة في المادية والإلحاد يوقن بعقلانية الإيمان وعلمية الخلق الإلهي للكائنات، فيعود للإيمان باليهودية، ولكن مع البحث عن الحقيقة في فرق وطوائف اليهود الأخرى، ولذلك يقرر السفر لإسرائيل، وهناك يلتقي بشخصيات يهودية من طوائف متعددة، ويدخل معهم في حوارات وسجلات، ولكن لا يصل معهم للحقيقة؛ حول سبب اختلافات الفرق اليهودية حول التوراة والتلمود، وقضايا العصر؛ فضلاً عن تمكنهم من إثبات سلامة نص التوراة والتلمود المتداول أصلاً!

وقد تصدع رأسه من دراسة خلافات اليهود التي نتجت عنها ظهور الصهيونية، ثم من الخلافات حول التعامل مع الفلسطينيين والعرب، مروراً بتشابكات اليهود والغرب السياسية. وفي تلك الأثناء أتيح له الاحتكاك بفلسطيني عربي مسلم "أحمد الكاشف"، ويسكن معه! وهنا يكتشف الحاخام حقيقة النظرة الإسلامية تجاه اليهود، ويطلع على جوانب من القضية الفلسطينية من الطرف الآخر، وفي هذا السياق يتعرف أبراهام على فتاة يهودية لها عشيق - وهو ضابط كبير في الموساد-، فيطاردهما؛ فيفران للقاهرة بعد أن يصطلي أبراهام بمؤامرات ومكائد الموساد في القدس والقاهرة، وهنا تنتهي "الهروب إلى العاصفة"؛ لتبدأ "بشارات هائمة"، تتناول رحلة "أبراهام" في البحث عن الحقيقة في الديانة المسيحية.

الرواية تشد القارئ من جهة المواضيع والمعلومات التي تمتلئ جنباتها بها؛ على غرار روايات "دان براون"، ومن جهة سلاسة اللغة ووضوح التعبيرات؛ برغم موضوعها العالي، ومن جهة الغموض والمفاجآت في تطورات الأحداث، وقد لقيت رواجاً كبيراً في معرض الرياض الدولي للكتاب.

يلخص المؤلف هدفه من هذه الروايات بأنها موجهة لثلاث فئات: للقراء المسلمين؛ لمساعدتهم على تحقيق فهم أكثر واقعية لطبيعة الآخر، وأن يزيلوا الغموض عن حقيقة العلاقة بين اليهود والمسيحيين، وللقراء المسيحيين واليهود؛ لمساعدتهم على فهم الإسلام من خلال كتبهم المقدسة بعد أن تشوهت رؤيتهم لنا، وللقراء العلمانيين؛ ليصل بهم من خلال اكتشافات العلم الحديثة إلى تأكيد وجود الحياة الآخرة بالمنطق الديني الذي يتبعونه.

أظن أن كثيرًا من شبابنا اليوم بحاجة لقراءة هذه السلسلة في خضم الأجواء المفتوحة على العقائد والأديان والأفكار، والتي تروج بينهم؛ من خلال روايات ووسائل التواصل الاجتماعي، فجاءت هذه الروايات لتسد ثغرة مهمة في ثقافة الشباب العصري.

وكم نحتاج من المؤلف أن لا يقف عند هذه الروايات، بل يواصل تقديم روايات جديدة تعالج الأفكار والعقائد الوافدة التي تغري الشباب لخوض مستنقع الأفكار المنحرفة والضالة؟!!



من يجهل حقيقة العدوان على الأقصى وفلسطين كيف ينصرهما؟!^(١)

كان من ضمن المناهج الدراسية الأردنية مادة بعنوان: "القضية الفلسطينية"، ثم لما جاء عهد السلام واتفاقية وادي عربة كانت من ضمن ما تم إزاحته عن المناهج، ولكن كانت النتيجة بعد ربع قرن: أن السلام لم يأت، وبقي عدوان اليهود قائماً، وخرج لنا جيل يجهل القضية الفلسطينية!! وللأسف! لم يقدّم المجتمع المدني الإسلامي والوطني بتعويض النقص المعرفي حول قضية فلسطين لهذا الجيل؛ برغم صدق النية تجاه القضية، وبرغم توفر أدوات شبه كافية لنشر هذه الثقافة من صحف ومجلات وإذاعات وقنوات؛ فضلاً عن تثقيف الأفراد والكوادر، إذ كانت هناك مشكلة في عدم إدراك حجم المشكلة بشكل صحيح، وعدم توفر خطة واضحة وتقاسم للأدوار، فخرج لنا جيل متعاطف مع الأقصى وفلسطين لكنه يجهل أبجديات مأساة القدس وفلسطين، ولا يعرف قوة حقه فيهما، وبالتالي أصبحت قوة هذا الجيل معطلة عن نصره الأقصى وفلسطين.

ظهرت في السنوات الأخيرة عدة مبادرات ومؤسسات تهتم بنشر الثقافة المقدسية وبتاريخ وحقائق القضية الفلسطينية، وهي جهود مقدرة ومشكورة ومباركة، ولكنها تحتاج أن تعمم بطريقة مدروسة؛ لتشمل كل هذا الجيل من جهة، وتحتاج أن لا تبقى مبادرات فردية تعتمد على المخزون الثقافي لشخص أو مجموعة، بل يجب أن تتضافر الجهود لإخراج منهج علمي أصيل وموضوعي متدرج، وبلغة واضحة ومعبرة، وتخطب شرائح متعددة وأجيالاً متعاقبة.

كما نحتاج من جهة أخرى إلى مواكبة تطورات القضية الفلسطينية والمقدسية؛ لأن عدوان اليهود لا يتوقف، وللأسف نجح اليهود في تمرير عدد من الخطوات الخيثة دون انتباه كاف من الجماهير والأنظمة العربية، توج بعدوانها الأخير بمحاولة فرض التقسيم الزماني والمكاني على الأقصى؛ والذي لا يزال كثير من الناس لم يفهم خطورة هذا العدوان!

أيضاً لا ينتبه أغلب المسلمين - وغير المسلمين - لما يتم الآن في القدس من تجهيل مقصود لطلبتها؛ من خلال تقليص الدعم الرسمي اليهودي للمدارس العربية إلى ما نسبته تقريباً (٣٠%)

(١) صحيفة "الغد"، (٢٠١٥/٩/٣٠).

من ميزانيتها، بينما يتم صرف كامل ميزانية المدارس اليهودية في القدس، وهي - غالبًا - مدارس يهودية دينية، يمتنع طلبتها عن الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي.

إن بقاء كثير من أبناء هذا الجيل المحب للأقصى في دائرة الجهل بتاريخ وحقائق العدوان والاحتلال اليهودي للأقصى وفلسطين، وفي دائرة الجهل بالاعتداءات اليهودية الجديدة؛ هو أعظم خدمة تقدم لإسرائيل، وأعظم خيانة في حق الأقصى وفلسطين.

فالجاهل لا يمكنه تقديم المساعدة والنصرة في الوقت المطلوب ولا بالشكل الصحيح الذي يحقق نتائج سليمة، فهيا لنحارب الجهل بقضية الأقصى وفلسطين ونحارب إسرائيل بالعلم والمعرفة.



هكذا سرق اليهود حائط البراق من المسجد الأقصى^(١)

الاحتلال اليهودي لفلسطين هو أصل البلاء والشر! لما يعانیه الشعب الفلسطيني من ظلم واضطهاد، والاحتلال اليهودي كذلك هو أصل العدوان على الشعب الفلسطيني وشعوب الأمة الإسلامية؛ بتدنيس مقدساتهم في القدس والمسجد الأقصى.

لذلك لن تنتهي قضية فلسطين والأمة الإسلامية إلا حين يزول هذا الاحتلال البغيض والظالم بالكلية، وليس عبر المسكنات والمهدئات؛ على غرار ما يهرف به تنياهو اليوم من التهذؤة في القدس، أو عبر تفاهات ومفاوضات برعاية غربية تقوم على مساواة الضحية بالجلاد، ولا تلتزم بالعدل والحق، بل تلتزم فقط بالحرص على بقاء دولة الاحتلال وازدهارها على حساب أصحاب الحق والأرض والمقدسات.

إن هذا الوضع المائل والحال الجائر لن يدوما! ولا بد من يوم يعود الحق فيه إلى أصحابه؛ كما هي سنة الحياة، وقبل هذا هناك الوعد الرباني بعدم دوام أي احتلال للقدس والمسجد الأقصى، وأن بيت المقدس ستكون ساحة الانتصارات الإسلامية القادمة، وستشهد أحداثاً جساماً يقودها المهدي المنتظر، والمسيح عيسى عليه السلام.

إن ما يجري اليوم في القدس من محاولة اليهود بالاستيلاء على بعض ساحات المسجد الأقصى، وفرض التقسيم الزماني والمكاني؛ ليس تصرفاً فردياً ولا حدثاً عابراً، بل هو سياسة رسمية تتبناها دولة يهود بشكل مقصود وممنهج، وعبر خطوات متدرجة منذ عدة سنوات.

وهذه السياسة تأسست عليها أحلامهم ودولتهم، وصرح بها زعاماتهم من عقود طويلة؛ فهذا هيرتزل -أبو المشروع الصهيوني- يعلن نيته هدم الأقصى بقوله: "إذا حصلنا على القدس وكنتُ لا أزال حياً وقادراً على القيام بأي شيء؛ فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها".
وأما بن غوريون -أول رئيس لدولة الاحتلال- فيقول: "لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل".

(١) صحيفة "الغد"، (٣١/١٠/٢٠١٥).

ويقول بيغن: "لقد ذهبتُ إلى لبنان - يقصد: غزو لبنان! - من أجل إحضار خشب الأرز لبناء الهيكل".

وحمامة السلام راين قال: "لقد كنت أحلم دومًا أن أكون شريكًا في العودة إلى القدس وإعادة حائط المبكى للسيطرة اليهودية".

أما نتياهو؛ فقد أهدى رئيس الكنيسة اليونانية مجسمًا للقدس من الفضة، أزيل فيه المسجد الأقصى ووضع بدلًا منه الهيكل المزعوم!

فإزالة المسجد الأقصى غاية مشتركة لكل قادة اليهود -علمانيهم ومتدينيهم-، ومن هنا وجب تذكير الأجيال الشابة بغدر اليهود وخبثهم وعدوانهم؛ الذي نتج عنه سرقة حائط البراق من المسجد الأقصى، والذي كان بمثابة نقطة انطلاق لسرقة أجزاء أخرى من المسجد الأقصى بحجج وذرائع شتى.

حائط البراق أو الحائط الغربي هو: جزء من السور الغربي للمسجد الأقصى، يقع بين باب المغاربة والمدرسة التكنزية، طوله (٤٧م)، وارتفاعه (١٨م)، وسمي بحائط البراق لأنه يعتقد أنه مكان الحلقة التي ربط فيها النبي ﷺ دابة البراق التي ركبها ليلة أسري به، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، وبذلك تكون قدسية هذا الجدار مضاعفة؛ لكونه جزءًا من المسجد الأقصى المبارك في كل الديانات، ولأنه مكان له تعلق بنينا محمد ﷺ.

ومنذ فتح بيت المقدس على يد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٥هـ) وحتى القرن العاشر الهجري لم يكن لليهود علاقة أو اهتمام بحائط البراق، بل كان بعض اليهود يتجمعون حتى عام (١٥١٩م) قريبًا من السور الشرقي للمسجد الأقصى، قرب بوابة الرحمة، ولم يكن حائط البراق يشكل لهم شيئًا.

في ذلك الزمن كان حائط البراق مجاورًا تمامًا لحارة المغاربة، ولا يفصله عنها إلا ممر/زقاق ضيق وغير نافذ، وحارة المغاربة وبوابة المغاربة سميت بهذا لأن سكانها كانوا من أهل المغرب الذين شاركوا صلاح الدين الأيوبي فتح بيت المقدس، فقد طلب صلاح الدين من سلطان المغرب يعقوب المنصور المشاركة في قتال الصليبيين؛ فزوّده بأسطول كبير.

فلسطين مسؤولة إسلامية منذ اللحظة الأولى، فجيوش الصحابة حاربت من أجلها، والفاروق جاء من المدينة ماشياً وراكباً لاستلام مفاتيحها، وصلاح الدين الكردي عاش من أجل تحريرها، وشعوب الإسلام شاركت في إنقاذها، واليوم كل المسلمين يقدونها بأرواحهم وينصرونها بدمائهم.

وبعد فتح بيت المقدس أسكنهم صلاح الدين بجوار حائط البراق، ومن ثم قام ولد صلاح الدين علي الملك الأفضل وأوقف على المغاربة أوقافاً كثيرة؛ لترسيخ بقائهم في القدس، ومن تلك الأوقاف: زقاق حائط البراق.

وكانت مساحة أوقافهم (٤٥) ألف متر مربع، وكانت تضم (٤) جوامع، والمدرسة الأفضلية، وعددًا من الزوايا والتكايا، بخلاف الدور والمنازل.

لكن بعد قيام محاكم الكنيسة الإرهابية في الأندلس؛ والتي عرفت باسم: "محاكم التفتيش" ضد المسلمين واليهود؛ هرب كثير من اليهود من تلك المجازر، ولمّا عرف العثمانيين بالتسامح والقبول بالآخر فقد سمحوا لليهود الأندلسيين بالهجرة للدولة العثمانية، ولكن منعوهم من السكن في فلسطين؛ وخاصة القدس، وصدر فرمان من الدولة العثمانية سنة (٩٢٤هـ) بمنع اليهود حتى من السكن في سيناء؛ لأنها بوابة دخول لفلسطين.

في البداية؛ طلب هؤلاء اليهود السماح لهم بزيارة بيت المقدس، وقامت طائفة المارانو اليهودية الأندلسية بتحويل مكان زيارة اليهود للحائط الغربي؛ وخاصة عند حائط البراق وذلك سنة (١٥٢٠م).

ثم في خطوة لاحقة؛ طلبوا أن يسمح لهم بالتجمع عند حائط البراق، وفعلاً سمح السلطان سليم لليهود سنة (١٥٦٦م) بالتجمع عند حائط البراق، ثم بعد (٦٠) سنة - تقريباً - أشارت بعض الكتابات لوجود صلوات يهودية هناك!

فهكذا هم اليهود؛ يبدوون بطلبات صغيرة قد تبدو لا قيمة لها، وسرعان ما تصبح قضية كبيرة، وسرعان ما يتجاوزون الحدود والاتفاقات!

أحسّت الدولة العثمانية مع دخولها في مرحلة الضعف بتجاوزات اليهود ومحاولتهم السكن في القدس وفلسطين؛ فأصدرت عدة فرمانات (قوانين) بمنع اليهود من السكن في القدس وفلسطين، ولكن اليهود كانوا لا يكفون عن مخالفة التعليمات.

وبدأ عدد اليهود يتزايد حتى بلغ (٢٠٠٠) يهودي في سنة (١٨٠٠م)، وتساهل معهم مسلمو القدس، وسمحوا لهم بالمرور والوقوف عند زقاق حائط البراق.

وفي مرحلة حكم محمد علي باشا للقدس (١٨٣١ - ١٨٤٠م) قام اليهود بطلب التوسع في قيام عباداتهم المزعومة المخترعة، والسماح لهم برفع الصوت، وهي عبادات لم تذكر في كتبهم قبل عام (١٥٢٠م) - ولذلك تعارض بعض الجماعات اليهودية مثل: ناطوري كارتا هذه الصلوات عن حائط البراق وتقاطعها-، وطلب اليهود -أيضاً- شراء الأراضي والعقارات القريبة من الحائط وتبليط الحائط! لكن الطلب رفض.

وكادوا -بضغط من أوروبا- أن يحصلوا على منحهم حق السكن وشراء الأراضي والتجارة في عموم فلسطين، ولولا زوال ملك محمد علي باشا عن الشام لكان اليهود قد حققوا كثيراً من مخططاتهم مبكراً في فلسطين والقدس.

وأيضاً استطاع اليهود التفاهم مع ولده إبراهيم باشا على دفع مبلغ (٣٠٠) جنيه إنجليزي لناظر وقف المغاربة أبو مدين، مقابل السماح لهم بالاقتراب من الحائط والبكاء عنده! وهكذا هم اليهود؛ يطبقون سياسة الخطوة خطوة!

وبعد عودة حكم العثمانيين للقدس حاولوا منع بقاء اليهود فيها، ولكن كانت الدولة قد بلغت حدًا كبيراً من الضعف، وكان محمد علي قد رسخ وجود القناصل الأوربيين في القدس، والذين أصبحوا يتلاعبون في قضية اليهود لمصالحهم الذاتية، فأصدرت الدولة فرماناً بالسماح لليهود بزيارة القدس لمدة ثلاثة شهور فقط، مع تسليم جوازهم اليهودي الأحمر -والذي أصبح لون الجواز الدبلوماسي عالمياً- حتى تضبط زيارات اليهود، ولما تلاعب اليهود في بيان يهوديتهم اشترطت الدولة العثمانية تحديد دين صاحب الجواز فيه؛ حتى تمنع تسلل اليهود للقدس.

ومن هنا تأتي خطورة المطالبات بشطب الديانة من الوثائق الرسمية لما تسببه من تسلل خطير للأعداء والمخالفين، وتسهل مخالفة كثير من القوانين والأحكام الشرعية.

ولم ييأس اليهود من محاولة سرقة حائط البراق، ففي عام (١٨٥٠م) حاول أحد الخانقات شراء حائط البراق نفسه! كما حاول البارون روتشيلد شراء حي المغاربة سنة (١٨٨٧م)، مما يكشف عن طبيعتهم المادية، وعدم تقديرهم لمقدسات الآخرين، ويكشف عن عادتهم بتلاعبهم بمقدساتهم بيعاً وخبثاً!

وفي زمن الاحتلال البريطاني حاولوا رشوة الحاج أمين الحسيني - مفتي القدس - بنصف مليون جنيه إسترليني؛ لكنه رفض، وقام بإصلاح الجدار وترميمه، وكرروا الرشوة على الشيخ سعيد العلمي بمليون جنيه؛ لكنه رفض أيضًا.

ولكنهم من خلال التفاهم السابق مع إبراهيم باشا وتواطؤ الاحتلال البريطاني أصبحوا يتهادون في تصرفاتهم؛ فأصبحوا يحضرون كراسي للجلوس، وينصبون ستائر ومظلات لهم، فاشتكى عليهم ناظر الوقف عند البريطانيين سنة (١٩١١م)؛ والذين أمروا بمنع اليهود من فعل ذلك، لكن اليهود بقوا يخرجون ذلك كل مدة.

ومع صدور "وعد بلفور" (١٩١٧م) تمادى اليهود في تجاوزاتهم، حتى جاءت سنة (١٩٢٨م)؛ حيث حاولوا أن يضعوا في ذلك الزقاق الضيق مصابيح وخزانة وحُصراً وستائر، في مقدمة للاستيلاء على المكان، ومن ثم التوسع - كما هي سياستهم لليوم - في احتلال منازل المقدسين في البلدة القديمة؛ بالسرقة والغدر والخيانة.

وفي عام (١٩٢٩م) أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الذي نصّ على ملكية المسلمين لحائط البراق من قديم وبقى القديم على قدمه، لكنه أعطى اليهود حق المرور للحائط في كل وقت، والقيام بعباداتهم المخترعة، وحدد ما يحق لليهود جلبه من أدوات.

ورفض اليهود في المؤتمر الصهيوني السادس عشر ذلك، وأعلنوا عن نيتهم إعادة بناء الهيكل! وفعلاً قام اليهود بمظاهرات عنيفة وهم يحملون العلم اليهودي؛ الذي وضعوه على حائط البراق وهم يهتفون: "الحائط حائطنا".

وبعد سلسلة اعتداءات يهودية ومظاهرات عدوانية على المسلمين والأقصى تفجرت ثورة البراق في (١٦/٨/١٩٢٩م)، والتي استمرت أسبوعين كاملين، وعمّت أرجاء فلسطين، واستشهد فيها (١١٦) من المسلمين، وقتل من اليهود (١٣٢)، وكعادة الغرب الغازي والمحتل قامت القوات البريطانية بحماية اليهود ومهاجمة المسلمين، وأصدرت مئات أحكام الإعدام بحقهم، بينما لم يصدر حكم الإعدام إلا على يهودي واحد قتل إمام مسجد وعائلته، ثم صدر عليه حكم مخفف بالسجن عدة سنوات، بينما نفذ حكم الإعدام بعدد من الأبطال من تلاميذ الشيخ المجاهد عز الدين القسام، وهم: فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير، والذين خلدت ذكرهم القصيدة الشهيرة التي مطلعها:

من سجن عكا وطلعت جنازة..

وعقب هذه الثورة قامت حكومة بريطانيا بإرسال لجنة تحقيق، قامت بعقد (٢٣) جلسة استماع، عرض فيها المسلمون (٢٦) وثيقة، وخلصت اللجنة إلى أن حائط البراق والرصيف والزقاق هي من حق المسلمين، ورفعت توصية اللجنة إلى عصبة الأمم؛ التي قامت في عام (١٩٣٠م) بالاعتراف أن حائط البراق رصيف تعود ملكيته للمسلمين فقط، ولكن اليهود لا يقيمون لهذه القرارات الدولية اعتباراً؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم فوق القوانين! وهذا ديدنهم مع العديد من القرارات الدولية.

فداعى الفلسطينيون والعالم الإسلامي لعقد المؤتمر الإسلامي الأول في القدس سنة (١٩٣١م) لمناقشة الوضع المتردي في فلسطين، ولكن الضعف كان أقوى من الفعل!
وحيث سقطت القدس بيد اليهود في عام (١٩٦٧م) قام بعض الضباط المظليين اليهود باقتحام حائط البراق مع حاخام، ورفعوا العلم اليهودي عليه، ونفخوا في بوقهم لأول مرة!
وبعد أربعة أيام من احتلال القدس جاءت جرافات اليهود وهدمت حارة المغاربة بالكامل وسوّتها بالأرض، وأزلت ما فيها من منشآت تاريخية تعود لزمان صلاح الدين الأيوبي؛ والتي تتكون من (٣٤) منزلاً، و(٤) مساجد، ومدرسة، وكثير من الأوقاف، وشردت أهل الحي وهم (١٣٥) أسرة.

فهذه الساحة أمام حائط البراق - التي نشاهدها اليوم - هي في الحقيقة ساحة مسروقة من حارة المغاربة التي دمرها اليهود، ولذلك يجب أن يعلم العالم كله أن سياسات اليهود هي التي علّمت داعش هدم الآثار، وتشريد السكان، وعدم احترام الآخرين والقرارات الدولية!
ولم تتوقف سرقة حائط البراق إلى هذا الحد، بل في عام (١٩٨٤م) قامت لجنة القانون والقضاء بالكنيسة بسلب سلطة حائط البراق من دائرة الأوقاف الإسلامية.

وفي عام (٢٠٠٦) افتتح اليهود على يسار حائط البراق مباشرة كنيسة يهودياً داخل المسجد الأقصى، ويقع تحت المدرسة التنكزية؛ التي استولوا عليها سنة (١٩٦٩م)، مما يكشف للمغلفين أن أطماع اليهود في المسجد الأقصى لا حد لها! وأنهم على استعداد لمواصلة السعي لهذه الغاية عقوداً طويلة باستخدام سياسة الخطوة خطوة والخداع والرشوة والبطش والقوة!!

اليهود وخطورة تحريفهم لمفهوم المسجد الأقصى المبارك^(١)

إن العدوان اليهودي المسلح من قطعان المستوطنين والجيش هذه الأيام على أولى القبلتين وثالث المساجد المعظمة في الإسلام: عدوان غاشم آثم، ولن يمر بلا عقاب! هذا العدوان الذي كسروا فيه نوافذ وأبواب المصلى القبلي، وأشعلوا النيران فيه وحوله، واعتلوا سطحه وداسوا سجّاده بأحذيتهم، وأفرغوه من المصلين والمعتكفين وضربوهم واعتقلوهم، وكسروا خزائن حرس المسجد، ولم يتركوا حرمة إلا انتهكوها! هذا العدوان اليهودي الذي يراد له: أن يفرض على المسجد الأقصى وعلى المسلمين التقسيم الزماني والمكاني؛ بحيث يكرر اليهود جريمتهم في اقتطاع جزء من الأقصى، ويصبح لليهود؛ كما حدث في الاستيلاء على حائط البراق الذي سموه: "حائط المبكى"، ومنعوه عن المسلمين، وكما فعلوا في المسجد الإبراهيمي؛ حيث استولوا على جزء منه، وصار لهم وقت يُمنع المسلمون فيه من مسجدهم!!

وفي خضم هذا العدوان؛ نجد أن هناك دعاية سياسية وإعلامية جاهزة التحضير ومسبقة الإعداد، يتداولها ساسة اليهود وإعلاميوهم؛ إذ يرددون كذبة بشعة وهي: أن اليهود لم يقتحموا المسجد الأقصى! وأن المسجد الأقصى هو البناء المسقوف أو الأبنية المسقوفة! ولذلك فإن اليهود لم يدخلوا إلى الأقصى بل دخلوا إلى الساحات السماوية الفارغة فقط، وأن من حق اليهود أن يقيموا بناء خاصاً لهم للعبادة في الساحات الفارغة، وهذا لأنهم لا يرغبون بالاعتداء على مقدسات المسلمين والمتمثلة بالمسجد الأقصى = البناء المسقوف!!

والحقيقة أن هذا العدوان "المفاهيمي" على المسجد الأقصى هو أخطر من العدوان المادي العسكري بالسلاح والمتفجرات عليه؛ لأنه يشر عن لكل أشكال العدوان على المسجد الأقصى القديم منها والمستقبلي.

(١) صحيفة "الغد"، (٩/١٠/٢٠١٥).

إن تحريف معنى المسجد الأقصى ليكون بحسب ساسة اليهود: البناء المسقوف، يسرق أكثر مساحة المسجد الأقصى، ولا يبقى للمسلمين إلا شيئاً بسيطاً جداً، عبر هذا التحريف المفاهيمي الذي ينطلي على كثير من الإعلاميين والساسة العرب؛ الذين (يشتبكون) مع اليهود في الإعلام أو الهيئات الدولية.

إن التعريف الصحيح للمسجد الأقصى هو: ما أورده القاضي مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»: «إن المتعارف عند الناس: أن الأقصى من جهة القبلة، الجامع المبني في صدر المسجد؛ الذي فيه المنبر والمحراب الكبير، وحقيقة الحال أن الأقصى: اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور.. فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره؛ من قبة الصخرة والأروقة وغيرها: محدثة، والمراد بالأقصى: ما دار عليه السور».

أو بعبارة أوضح للأستاذ مصطفى الدباغ في كتابه «القدس»: «يتألف الحرم القدسي الشريف من المسجدين: مسجد الصخرة، والمسجد الأقصى، وما بينهما وما حولهما من منشآت؛ حتى الأسوار».

فالمسجد الأقصى يشمل الأسوار نفسها وما في داخلها من بناء؛ أيًا كانت وظيفته للصلاة أو التعليم أو الوضوء أو المآذن والبوابات، وأي غرض آخر، والساحات المبلطة وغير المبلطة والمزروعة وغير المزروعة بالأشجار، فكل ما في داخل السور والسور نفسه هو من المسجد الأقصى المبارك، ولذلك نصّ فقهاء المسلمين على أن ركعتي تحية المسجد الأقصى تجوز في أي مكان منه؛ ولو تحت شجرة أو في ظل السور، وأن أجر الصلاة في أي ناحية من نواحيه تعدل خمسمائة ركعة مما سواه؛ إلا الحرمين الشريفين، لأنها كلها تعتبر جزءاً من المسجد الأقصى، وليس المسجد الأقصى فقط المسجد المسقوف؛ سواء المسجد القبلي أو قبة الصخرة - كما يزعم اليهود اليوم! -.

ومما يؤكد هذا المفهوم الواسع للمسجد الأقصى وأنه كل ما دار عليه السور: أن القرآن الكريم أخبرنا أن الله ﷻ أسرى بنينا محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في القدس؛ فقال ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، فسمى الله ﷻ كل تلك الساحة المسورة بالمسجد الأقصى، ومعلوم أن تلك الساحة زمن الإسراء - وهو قبل الهجرة بستين تقريباً - لم يكن فيها المسجد القبلي ولا قبة الصخرة!

فإذا كان المسجد القبلي وقبة الصخرة هما المسجد الأقصى بالمفهوم اليهودي المعاصر، ولم يكونا موجودين زمن الإسراء؛ فأين هو المسجد الأقصى الذي أسري بمحمد ﷺ إليه إذا؟؟ وما هو المسجد الأقصى الذي ذكره القرآن الكريم؟؟

وأيضاً حين حرر المسلمون أهل فلسطين -نصارى ويهود- من بطش الرومان سنة (١٥هـ)، وطلب القساوسة تسليم مفاتيح بيت المقدس للخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه؛ فجاء إلى القدس على دابة ومعه غلام يتناوبان الركوب عليها، فلما وصل بيت المقدس كان الغلام هو الراكب على الدابة، والفاروق رضي الله عنه يمشي على قدميه، فلما رآه القساوسة أيقنوا أنه الشخص الموعود بفتح بيت المقدس، فقد كان الفاروق رضي الله عنه مضرب المثل في العدل والرحمة والتواضع والعلم والذكاء، فاستلم عمر المفاتيح ودخل بيت المقدس، وسار إلى المسجد الأقصى ودخل السور؛ وكان ساحة خالية من أي بناء، فلما وصل إلى الصخرة أزال عنها الأوساخ التي وضعت عليها، وشاور الفاروق كعب الأخبار -وهو تابعي كان يهودياً- أين ترى أن أصلي؟ فأشار عليه أن يصلي خلف الصخرة، تجاه مكة؛ فرفض الفاروق، وتقدم حتى وصل إلى السور جهة القبلة فصلى، ثم أقيم مسجد هناك على أعمدة خشبية.

المهم أن الفاروق رضي الله عنه حين فتح المسجد الأقصى لم يكن هناك بناء للمسجد القبلي ولا قبة الصخرة، مما يبطل مزاعم اليهود وتحريفهم لمفهوم المسجد الأقصى، وأنه البناء الموجود الآن باسم: المسجد القبلي وقبة الصخرة فقط!

ومما يعزز هذا المفهوم الواسع للمسجد الأقصى: أن هذا السور سور قديم جداً، وعندنا نحن المسلمين أن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام بمكة بأربعين سنة؛ كما ثبت ذلك في السنة النبوية، وطيلة هذا التاريخ الطويل والأمم المتعاقبة لم يكن داخل السور أية مساكن، بل كانت المساكن خارج السور وحوله؛ لاتفاق الجميع على أن ما في داخل السور هو مسجد وأرض مباركة.

إذن؛ المسجد الأقصى هو: كل ما دار عليه السور، بالإضافة للسور نفسه وما يحتويه من غرف وأبنية ومآذن، وما تحتويه ساحاته من مبانٍ وساحات، وأكثر المسجد الأقصى غير مسقوف، والمسقوف منه مقدار بسيط جداً.

والمسكوف من المسجد الأقصى يتمثل بشكل أساسي من قبة الصخرة؛ التي أمر ببنائها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة (٦٦هـ)، واستمر العمل بها حتى سنة (٧٢هـ)، ومن المسجد القبلي الذي كان أصله المصلى العمري؛ الذي أقامه الفاروق لما فتح بيت المقدس سنة (١٥هـ)، لكنه اندثر، لأنه كان من الخشب، وجدد بنيانه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة (٧٤هـ)، بعد الانتهاء من قبة الصخرة، وقيل: إن ولده الوليد هو الذي بنى المسجد القبلي بين سنتي (٩٠-٩٤هـ)؛ بحسب بعض أوراق البردي التاريخية، وهناك -أيضاً- المصلى الرواني، وهو يقع تحت الأرض، تحت ساحات المسجد الأقصى، ويعتقد أنه تم بناؤه لتكملة ساحات الحرم ومصلى مؤقتاً ريثما يتم بناء المسجد القبلي.

وحتى ندرك عظم الجريمة والسرقه التي يحاول اليهود القيام بها من خلال تمرير هذا المفهوم المحرف؛ يجب أن نستحضر أن مساحة المسجد الأقصى الحقيقية التي يدور عليها السور هي (١٤٤) دونماً = (١٤٤) ألف متر مربع، بينما مساحة المسجد القبلي فقط (٤٥٠٠م)، ومساحة قبة الصخرة حوالي (١٠٠٠م)، وهكذا سنجد أن أكثر من (١٣٨) ألف متر مربع (أكثر من ٩٥%) سرقت من المسجد الأقصى؛ بسبب تحريف معنى ومفهوم المسجد الأقصى! فهل نتنبه لهذا الخطر الجسيم؟؟ ولذلك؛ فإن المسجد الأقصى تعرض لانتهاكات كثيرة جداً، لكن جهل المسلمين عامة والإعلاميين والساسة خاصة بسعة المسجد الأقصى سهلت على اليهود تمرير الكثير من سرقاتهم واعتداءاتهم عليه، فمثلاً: قيام اليهود باستغلال أحد المباني الواقعة في سور الأقصى كمركز شرطة هو استيلاء على جزء من الأقصى وتدنيس له، واحتلال اليهود لبوابة المغاربة وإغلاقها هو استيلاء على جزء من المسجد الأقصى، وكذلك استيلاءهم على حائط البراق هو استيلاء على جزء من الأقصى، ومما يخطط له اليهود الاستيلاء على رباط الكرد وإقامة كنيس لهم في الساحات الترابية بدعوى: أنها ليست من المسجد الأقصى!!

وبهذا يتوجب على الجميع إيلاء الثقافة المقدسية عناية فائقة، والتركيز عليها، ونشرها بمختلف اللغات، وتزويد الإعلاميين والدبلوماسيين بهذه الثقافة بشكل مكثف؛ حتى لا ينجح اليهود في ترويح عدوانهم المفاهيمي على المسجد الأقصى؛ والذي سيمهد الطريق لشرعنة استيلائهم على غالب المسجد الأقصى، وفرض تقسيمهم الزماني والمكاني، بل وبناء الهيكل المزعوم نفسه، مع ادعائهم أنهم لم يعتدوا على المسجد الأقصى الذي يخص المسلمين!!

فهل نبادر لنصرة المسجد الأقصى بكل سبيل وقوة وجهد؛ لنحوز شرف الدفاع والذود عن
مسرى الرسول ومهبط الأنبياء والقبلة الأولى؟!!



﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾^(١)

هذه هي الآية الرابعة عشرة من سورة الحشر، وهي تلخص لنا استراتيجية اليهود عبر العصور في الحرب، إنها عقلية الغيتو والانغلاق والقلاع المحصنة وبناء الجدر العالية والعازلة! هكذا كان حالهم في زمن النبي ﷺ في غزوة بني النضير سنة (٤هـ)؛ حين تأمروا على قتل النبي ﷺ. ولا يزال هذا هو حال اليهود لليوم: الغدر والخيانة والتآمر على خصومهم؛ وخاصة المسلمين، وبناء التحصينات والقلاع والجدر العازلة، فصدق الله العظيم الذي كشف لنا حقيقة يهود في كتابه الكريم، والذي -للأسف!- لا يحفل به وبما يرشد إليه كثير من ساسة ومثقفى اليوم، ولذلك يوقعون الأمة في أزمات وانتكاسات ونكبات متكررة!!

لم تجد حكومة العدو الصهيوني من حل لعدوانها الجديد على القدس والمسجد الأقصى إلا ببناء جدار عازل في داخل القدس بين أحياء العرب واليهود، في تأكيد جديد لما نطق به القرآن الكريم من (١٤٣٦) عامًا، فسبحان العليم الحكيم!

في تفسير العلامة ابن عاشور «التحرير والتنوير» يقول: إن هذه الآية هي شرح للآية التي قبلها، وهي قوله ﷺ: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]، لشدة رهبة وخوف اليهود من شجاعة وإقدام المسلمين على نصره الحق والدفاع عن المظلوم فإن اليهود لا يمكنهم مقاتلة المسلمين وجهًا لوجه -غالبًا-، ولذلك يلجؤون لبناء القلاع والحصون والجدر.

وقد رأينا في هذه الأيام مصداق ما جاءت به الآيات، فالفتى الفلسطيني العاري من السلاح إلا من سكين الخضار والفواكه يهجم على عصابة من جنود قوات النخبة اليهودية المدججة بالسلاح؛ فيطعن بعضهم، ويفر البقية، ويخطف سلاح أحدهم ويقاتل به ويقتل شهيدًا -بإذن الله ﷻ-.

ورأينا في الحرب على غزة كيف أن الجندي اليهودي المدرب والمحترف والمكسب بالسلاح لا يقاتل إلا من داخل دبابة أو خلفها، وبشرط أن يكون مرتديًا (للحفاظات)!!

(١) صحيفة "الغد"، (٢٣/١٠/٢٠١٥).

فهذا الخوف والرعب ليس من قوة الشباب والفتيان، بل هو الخوف والرعب من قوة الحق الإسلامي الذي إذا تحرك تحركت الدنيا لحركته، وهو الخوف والرعب من عاقبة الظلم والعدوان الذي يمارسونه صباح مساء.

إن اليهود بنوا الجدر والمعازل الحصينة والمستوطنات الآمنة منذ عقود، ولكن هذه الحصون والمعازل لم تصمد في وجه الحق وطلاب الشهادة ورجال الجهاد.

فلقد أقام اليهود في الستينيات من القرن الماضي خطاً أو جدار بارليف -نسبة لحاييم بارليف قائد الجيش اليهودي-، على طول خط قناة السويس عقب هزيمة (١٩٦٧م)، وكان جداراً حصيناً، يرتفع في الهواء حوالي (٢٠-٢٢) متراً، من الرمال، وبزاوية ميل (٤٥) درجة؛ لمنع عبور الجيش المصري لتحرير سيناء، وجعلت في أسفل الجدار قنوات تشعل القناة بالنابالم إذا حاول الجيش المصري عبور الجدار!

وكان الجدار يمتد من شط القناة إلى الداخل لمسافة (١٢) كم؛ حيث يوجد جدار ثانٍ وثالث، وقد زوّده بما يلزم من دبابات ومدافع ودشم ونقاط مراقبة وتحصينات وجسور للدبابات اليهودية لتهاجم مصر!

وأشاع اليهود أن جدار بارليف أقوى من جدار ماجينو الفرنسي في الحرب العالمية الأولى، وقال بعض الخبراء الغربيين الذين درسوا جدار بارليف والعازل المائي: إنه لا يمكن إزالته إلا بقنبلة ذرية!

ولكن حين توفرت إرادة القتال عند القيادة والجيش المصري، وأخذت بالأسباب الصحيحة، وأعدت ما أمكنها، واستعانت بالله ﷻ، وكان شعار الجنود هو: التكبير "الله أكبر"؛ تمكن الجيش المصري من تحطيم خط بارليف خلال (٦) ساعات؛ من خلال خطط تكتيكية رائعة، شارك فيها كثير من الجهات الرسمية، شكلت بمجموعها هذا النصر الكبير.

وللأسف! فإن بطولات وإبداعات تحطيم جدار بارليف مجهولة عند غالب جيل الشباب، وهي تستحق أن تدرس وتبث كنموذج للإبداع والتفكير خارج الصندوق وقدرة الإنسان المسلم والعربي على التحدي والفوز إذا كان المناخ مناسباً.

ولعله من المناسب هنا أن نقارن بين واقع الجيش المصري الذي دمر جدار بارليف وهو يصدق بالتكبير وكثير منه صائم؛ بالجيش المصري في هزيمة (١٩٦٧م)؛ والذي كانت قياداته فاقدة للوعي

من السكر في حفل غنائي راقص ليلة الحرب! وقد وثقت رواية "وتحطمت الطائرات عند الفجر" تلك المصيبة.

ولم يتعلم اليهود من تحطيم هذا الجدار، فقاموا بإقامة الجدار العازل في الضفة الغربية من أجل سرقة الكثير من الأراضي، وحماية المستوطنات من بطولات الشباب وشجاعتهم، ومع ذلك لم يستسلم الفلسطينيون للجدار، وأبدعوا الكثير في تجاوزه واختراقه، وتأتي حكومة اليهود اليوم لتصنع جدارًا جديدًا في القدس، وتظن أن هذا سيحميها؛ ولكنهم لا يفقهون! - كما ذكر القرآن الكريم -.

لقد سعى اليهود إلى إقامة (إسرائيل الكبرى)، لكنهم أُجبروا على الانسحاب من سيناء، ومن ثم انسحبوا من جنوب لبنان، وبعدها انسحبوا من غزة، وقريبًا سينسحبون من الضفة أو أغلبها، ولن يطول الوقت حتى يزول هذا الكيان الدخيل؛ كما زالت من قبل موجات الصليبيين. ولكن هذا لا يكون إلا إذا كان القرآن الكريم هو مرشدنا للتعامل مع اليهود، وعملنا بالأسباب الصحيحة للتحرير والنصر، وأن النصر والتحرير لن يكونا - غالبًا - دفعة واحدة من خلال حرب وحيدة، بل سيكونان عبر محطات متنوعة من الصراع والعراك، بأساليب عديدة ووسائل مختلفة، تحقق نصرًا جزئيًا هنا، ونصرًا جزئيًا هناك؛ حتى تتراكم هذه الانتصارات وتحقق التحرير الكامل.



﴿أَوْكَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾^(١)

الصراع مع اليهود حقيقة قرآنية وحقيقة واقعية، وكلما تباعدت الشقة بين الرؤية القرآنية للصراع مع اليهود والرؤية السياسية التي تدير الصراع مع اليهود: تعقد الصراع، ولم نصل لنهاية له تعيد الحق إلى نصابه.

القرآن الكريم ومن أول سورة وصفحة فيه أشار لليهود، ومن ثم تناول تاريخ اليهود وتحولهم من أولياء الله ﷻ إلى قوم معتدين، ينشرون الفساد والخراب، ويقتلون الأنبياء والأبرياء، وعرف الله ﷻ المؤمنين في كتابه الكريم بصفات اليهود وطبائعهم؛ حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، ويتجنبوا شرورهم.

واليوم ونحن نعيش العدوان اليهودي المتجدد على المسجد الأقصى نحتاج إلى أن نقف وقفة صدق ومراجعة لرؤيتنا لليهود؛ حتى نضبطها برؤية القرآن الكريم، مما يساعدنا على التصدي لعدوانهم بالحكمة والمنطق، ونخرج من دائرة الحلول الفاشلة التي ندور فيها منذ عقود طويلة! اليهود اليوم يتوافقون على العدوان على الأقصى بمختلف اتجاهاتهم، فالمستوطنون الإرهابيون المتدينون، والمتدينون المعتدلون، والساسة العلمانيون كلهم يمارسون العدوان والاعتداء على حرمة المسجد الأقصى، وفرض التقسيم الزماني والمكاني عليه؛ كمقدمة للاستيلاء الكامل عليه وهدمه وإقامة هيكلهم المزعوم، وإذا كان اليهود قضوا (٥٠) سنة من الاستيلاء على القدس سنة (١٩٦٧)، وفرض التقسيم المكاني اليوم في عام (٢٠١٥)، فإنهم قد لا ينتظرون كل تلك المدة لهدمه وإقامة الهيكل! كما أن هذا يجب أن لا يخذعنا بأن هدف العدوان يقتصر فقط على صلاة اليهود في ساحات الأقصى.

مما علمنا الله ﷻ في القرآن الكريم عن طباع اليهود المخادعة: أنهم لا يفون بالمواثيق والعهود، وأنهم مخادعون مراوغون في نقض الاتفاقيات، قال ﷻ: ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠]، فهم يعقدون الاتفاقيات ويرمون العهود لكنهم سرعان ما ينقضونها، ويلجأون لحيلة توزيع الأدوار في نقض العهود والمواثيق؛ فجهة منهم تعقد الاتفاق، وجهة أخرى تنقضه!

(١) صحيفة "الغد"، (٤/١٠/٢٠١٥)

وقد رأينا في العام الماضي نتيا هو يعد الأردن بالتهدة في القدس والمسجد الأقصى، ولكن لم يكمل سنة حتى نقض وعوده، ودعم العدوان على المسجد الأقصى وتقسيمه. وهذا التنصل وهذه الخيانة للوعود يأتيان ضمن سلسلة طويلة من نقض الاتفاقيات والعقود، تبدأ من زمن الانتداب البريطاني على فلسطين؛ والتي شهدت العديد من الاتفاقيات والعهد اليهودية التي لم يلتزم بها اليهود؛ إلا لأخذ فرصة لترتيب أنفسهم، فكم نقضوا عهد عدم التسليح بتهريب السلاح في براميل الإسمنت وغيرها، أو عدم بقاء الزوار اليهود في فلسطين لكنهم لم يلتزموا بذلك؛ فتضاعفت أعدادهم أضعافاً مضاعفة.

ثم جاءت مرحلة نقض العهد والاتفاقيات بعد هزيمة (١٩٤٨) وقيام دولة اليهود، ثم استمر اليهود يخرقون الاتفاقيات والهدنة؛ حتى نشبت الحرب ووقعت هزيمة (١٩٦٧)، ثم تعدلت الكفة لصالحنا نسبياً بعد هزيمة اليهود في حرب العصور (١٩٧٣)؛ حيث رضخ اليهود للمفاوضات من موقع الضعف، لكنهم سرعان ما عادوا لنقض العهد بعد توقيع اتفاقية "كامب ديفيد" مع مصر (١٩٧٨)، وهو ما كرره اليهود بعد عقد اتفاقية "أوسلو" مع الفلسطينيين (١٩٩٣)، واتفاقية "وادي عربة" مع الأردن ١٩٩٤، ولا تزال نعيش نقض اليهود للعقود والاتفاقيات. وكم نقض اليهود من عهد في صفقات الإفراج عن الأسرى؛ بإعادة اعتقالهم، أو عدم الإفراج عنهم أصلاً.

وعبر تاريخ إسرائيل لم يلتزم اليهود بتنفيذ اتفاق إلا والقوة بارزة في مقابلهم؛ سواء كانت القوة العسكرية أو السياسية، وكلما غابت القوة حضر سريعاً الغدر والخيانة اليهودية، وقصة غدر اليهود بخالد مشعل في الأردن (١٩٩٧) رغم اتفاقية "أوسلو" لم تحل إلا بالقوة؛ التي أظهرها الحسين، فأنقذ مشعل، وحرر الشيخ أحمد ياسين، لكن حين غابت القوة عادت إسرائيل لاغتيال الشيخ أحمد ياسين (٢٠٠٤).

ولذلك؛ إن كانت سياستنا في الصراع مع اليهود ستبقى قائمة على عقد العهد مع اليهود، وتصديق أيمانهم وتوابعهم على أوراق، دون أن نتعلم من هذا التاريخ الطويل من الخيانة، أو من مواقف القوة والإنجاز؛ فهذا يعني: بقاءنا ندور في حلقة مفرغة نراوح فيها في مكاننا! بينما اليهود يمضون للأمام في قضم ما تبقى لنا من فلسطين بعد هزيمة (١٩٦٧)!

القدس أولاً!!^(١)

"القدس أولاً" .. يا له من شعار جميل لو كان شعاراً للعرب والمسلمين! لكنه -للأسف- ترجمة لعنوان كتاب عبري مصور باسم: "كيدم يورشلايم"، نشر قبل سنتين تقريباً تحت شعار: "تطوير السياحة في القدس"، بالتعاون بين سلطة تطوير القدس، وبلدية القدس المحتلة. والخطورة في هذا الكتاب -الذي صدر عن جهات رسمية يهودية- تكمن في الحقيقة في أنه تعبير عن المخطط القادم للقدس، ومزود بالصور والوثائق والمخططات الهندسية لمستقبل القدس؛ حيث نصت مقدمة الكتاب على أنه: "عصارة دراسات وأفكار ومخططات لمشروع (كيدم يورشلايم)، وذلك تغيير وضع الحوض التاريخي في القدس -أي: البلدة القديمة وما جاورها- كعمل وطني يشارك به الشعب اليهودي!!"

وقد كان المؤسسة الأقصى -التي يديرها الشيخ رائد صلاح- الفضل في الكشف عن هذه الوثيقة، ومن ثم قام مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية بمهمة ترجمة هذه الوثيقة وطباعتها ونشرها في سنة (٢٠٠٨) بعنوان: "المخطط اليهودي لإقامة الهيكل وتهويد القدس"، في (٥٠) صفحة ملونة، تحتوي على الصور الافتراضية لمستقبل القدس والمخططات الإدارية والهندسية لهذا المشروع.

وما الأحداث التي تجرى في القدس اليوم وفي ساحات الأقصى إلا من إفرازات مثل هذه المشاريع؛ التي تصطف خلفها القوى اليهودية الرسمية والشعبية، في حين تعصف الخلافات في الصف الفلسطيني والعربي والإسلامي!!

ومع أن هذا الكتاب وغيره مطروح في الأسواق منذ سنين إلا أنه لا توجد أية إستراتيجية عملية حقيقية لنصرة القدس، بل -للأسف- لا تزال الأنظمة والمعارضة تعمل بأسلوب رد الفعل العفوي وغير المدروس، ولذلك لا تتمخض عن هذه الردات على المستوى الحكومي أو الشعبي أية تغييرات حقيقية!

وهذا ما لخصته الثقافة الشعبية في الحكمة الدقيقة "العليق عند الغارة ما ينفع".

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/٦/٢٠١٤).

وأستثني من هذا التقاعس "مؤسسة الأقصى" بقيادة الشيخ رائد صلاح، والتي يبقظتها ومتابعتها أفشلت هذا الاعتداء وغيره؛ من خلال وضع استراتيجية عمل لا رد فعل، ولذلك كان وضعهم للمعتكفين في المسجد الأقصى القشة التي قصمت ظهر البعير اليهودي، وفي هذا دلالة للعقلاء على قدرة المسلمين على الفعل والمقاومة والنجاح بإمكانيات بسيطة حين تكون الحكمة والقيادة الواعية هي القائدة، وليست العباطة أو العضلات المجردة!
وصدق أبو تمام حين قال:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

ولأن غالب الأفراد المسلمين اليوم يقفون عاجزين عن التأثير والتغيير في مواقف القيادات المنقسمة والمتناحرة أو المنهزمة؛ فضلاً عن التأثير في مواقف دول وشعوب العالم، فلم يبق للمخلصين من أبناء الأمة إلا التركيز على توعية أبنائهم وإخوانهم وأصدقائهم.
من هنا جاء الكتاب الرائع لمركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية «المسجد الأقصى: الحقيقة والتاريخ»، وهو من إعداد الأستاذ عيسى القدومي - الباحث الجاد في الشؤون الفلسطينية، وصاحب المؤلفات العديدة، مثل: «أكذوبة بيع الأرض»، وكتاب «مصطلحات يهودية فاحذروها!»، وتولى قبل ذلك المراجعة التاريخية لـ «موسوعة فلسطين المصورة» التي أصدرها د. طارق سويدان.

ويعدّ مركز بيت المقدس أحد المؤسسات السلفية الفلسطينية الواعية؛ التي تهتم بنشر الوعي والثقافة حول القضية الفلسطينية.

كتاب «المسجد الأقصى الحقيقة والتاريخ» جاء في (١٥٠) صفحة ملونة من القطع الكبير؛ ليكون مصدر ثقافة ومعرفة للمسلمين -صغاراً وكباراً- بحقيقة المسجد الأقصى، ومكانته وقضيته، واعتداء اليهود عليه، ومن ميزات الكتاب: العدد الكبير من الصور التي تتعلق بالمسجد الأقصى والقدس؛ مما تكاد تنساه ذاكرة الأجيال الحديثة، تحت ركام الصور المتدفقة من القنوات وشبكة الإنترنت؛ والتي كثير منها يهدف لمسح أولويات الجيل والعبث بعقله!

وقد حوت فصول الكتاب تاريخ المسجد الأقصى وفضائله، وأكاذيب اليهود حوله، وأكبر هذه الأكاذيب: "أن القدس ليست مقدسة عند المسلمين"، معتمدين على روايات وردت في كتب بعض الفرق المنسوبة للإسلام!

ومعلوم أن قدسية مدينة القدس والمسجد الأقصى محل إجماع بين المسلمين؛ لورود العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حول مكانة القدس والأقصى، منها:
 قوله ﷺ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

وفي حديث أبي ذر قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيها أفضل: أمسجد رسول الله أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو! وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً»^(١).

ولعل هذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ؛ حيث أن مجريات الأحداث تكاد تنطبق اليوم على القدس وأهلها، فإن أمنية الكثير من المسلمين الصادقين اليوم هي: مجاورة المسجد الأقصى، والتمتع برؤيته في زمن العدوان اليهودي الذي حرّم المصلين والعاكفين من الوصول إليه إلا بشق الأنفس وتعريض الأرواح للقتل، ويرافق هذا العدوان على سكان القدس تهجيرهم ونزع منازلهم من أيديهم.



(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني.
 والشطن: هو الحبل الذي يربط فيه الفرس.

التاريخ: شاهد ومشهود^(١)

في هذه الأيام التي نعيش فيها العدوان على غزة؛ فإننا شهود للتاريخ على ما يجري فيها، والتاريخ سيكون شاهداً علينا لبيان ماذا صنعنا لغزة؟!

وحتى لا تذهب هذه الدماء الزكية هدراً؛ فإن خير ما ينفع أمتنا بعامه وأهل غزة بخاصة هو: أن يكون لنا موقف إيجابي في تغيير حالتنا من الضعف إلى القوة، لأن الجميع متفق أن ضعفنا الإيماني والأخلاقي والعلمي والثقافي هو سبب الاعتداء والعدوان على أرضنا ومقدساتنا وثوراتنا، وأن حيازتنا للقوة هو مفتاح نصرنا.

يحدثنا التاريخ: أن قوة الأفراد والمجتمع - القوة الإيمانية والعلمية والأخلاقية - كانت السبب في تحقيق الإنجازات، فهذا صلاح الدين الأيوبي ومساعدوه حين حاصر الصليبيون قلعة عكا، واستخدم الإفرنج في محاولة اقتحام القلعة ثلاثة أبراج ضخمة ومنيعة، وكانت من الضخامة بحيث أنها تتسع لأكثر من خمسمائة مقاتل، والمصنوعة من الحديد والخشب، وغطيت بالجلود المنقوعة بالخل حتى لا تنفذ فيها النار، وكانت سلاحاً جديداً لم يعهد من قبل، فبادر وتطوع لتدمير هذه الأبراج والحصار قائم شاب مغمور، لم يحفظ التاريخ اسمه! فطلب توفير بعض المواد الكيميائية، وبأمر صلاح الدين أحضرت له، فصنع منها مادة أحرقت هذه الأبراج، وأفسد على الإفرنج اختراعهم، ولم يكن لصلاح الدين أن يحصل على هذا الاختراع بهذه السرعة لولا أنه لم يبدأ مسيرة الجهاد العسكري إلا عقب أن نشر العلم والثقافة، وإصلاح الأخلاق في الأمة.

وأما تاريخ عدونا؛ ففيه: أن أول رئيس لإسرائيل حاييم وايزمن ما استطاع الحصول على تأييد القوى العظمى - آنذاك - لولا اكتشافه مادة "الاتسيتون"؛ التي تساهم في عملية التفجير، والتي استخدمتها بريطانيا في الحرب العالمية الأولى.

إن العمل على تحصيل أسباب القوة في المجالات الإيمانية والعلمية والأخلاقية محل إجماع، لكنه يحتاج إلى برنامج عمل شعبي؛ ليتحول إلى ثقافة مجتمعية عامة، وهذه مسؤولية الجميع: الدولة والمجتمع بمؤسساته وأفراده، ولا تعذر جهة بسبب تقصير جهة أخرى.

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/٦/٢٠١٤).

وعلى تعزيز وتقوية هذه الجوانب يجب أن تتركز المبادرات والاقتراحات؛ ذلك أن غالب المعالجات التي قدمتها وعرضتها وسائل الإعلام الجادة والشريفة كانت معالجات عاطفية وانفعالية مطلوبة في لحظة الحدث، إلا أن الواجب استثمار مثل هذه اللحظات المصيرية لبداية مشاريع ومبادرات جادة طويلة المدى ومطلوبة، وتقوم بها المؤسسات الأهلية؛ التي نراها تتصدر المشهد في المسيرات والاحتجاجات، لأن هذا هو الرد الحقيقي على العدوان.

إذا كانت هزيمة (٦٧) شرارة الصحو الإسلامية؛ فليكن العدوان على غزة بداية لسلسلة من المبادرات المطلوبة على الصعيد العلمي والأخلاقي والديني -أيضاً-، بما يمكن أمتنا من تعزيز قوتها ونهضتها، لأن هذا الغضب إذا لم يستثمر على الوجه الصحيح فسيكون بوابة للهلاك؛ إما باليأس والضياع والشعور بالهوان، وهذا ما يريده عدونا، أو من خلال التهور والغضب المنفلت الذي يدمر صاحبه نفسه وأهله وهو يظن أنه يحميهم!

من هذه المبادرات المطلوب تبنيها والقيام بها:

- تضمين مناهج التعليم الحث على العلم وفضائله، وتعليم الطلاب أسس القراءة والمطالعة، وتوعيتهم بأهمية الوقت وكيفية الاستفادة منه، وتدريبهم على التفكير وحل المشكلات.
- جعل مكاتب المدارس أكثر مرافق المدرسة استخداماً بدل ملاعبها! بفتح أبواب المكتبة طوال السنة وبعد انتهاء الدوام لمن يرغب من الطلاب، مع إعداد المسابقات والمحفزات للمطالعة.
- تجهيز حافلات مجهزة بالكراسي والقصص والهدايا للطلبة في القرى البعيدة والصغيرة؛ لتعويدهم على القراءة.

- القيام بحملات أخلاقية بوسائل متعددة تحارب الغش والكذب والخيانة، وغيرها من النقائص.

- دراسة التجارب الناجحة في ماليزيا وتركيا، ومحاولة تعميمها في مجتمعاتنا.
- قيام أساتذة الجامعات وطلبة الدراسات العليا بأبحاث تخدم المجتمع، مع قيام الدولة والمصانع بالاستفادة منها وتطبيقها.
- دعم الصناعة المحلية وتحسين مستواها؛ من خلال توجيه الجامعات لحل مشاكلها، وإنتاج وتطبيق الابتكارات المحلية.

أعتقد أن المؤسسات الأهلية - كالجماعات والأحزاب والنقابات والجمعيات - تستطيع أن تبني بعض هذه المشاريع وتعمل عليها لتصبح ثقافة مجتمعية عامة؛ خاصة إذا تجاوزت المعوقات الرسمية؛ من البيروقراطية والروتين والترفع عن الصراعات الحزبية والمناكفات الشخصية، التي جعلت مخرجات هذه المؤسسات الأهلية لا تتميز عن مخرجات الجهات الرسمية غالباً.

وأعتقد أن مؤسساتنا الأهلية إذا حسّنت من أدائها سيكون عندنا مجتمع قوي بدينه وأخلاقه وعلمه، مجتمع قوي وحيّ يستطيع أن يجد حلولاً ناجحة لمشاكله الداخلية والخارجية، بدل حلول الحكومات والمعارضة العقيمة، وبهذا نصرّة غزة وفلسطين والأمة أضعاف الاكتفاء بالشجب والتنديد والمسيرات وحملات الإغاثة!



الصراع الديمغرافي في فلسطين ومؤتمرات الأمم المتحدة^(١)

إن الحرب القائمة بين المسلمين واليهود هي حرب طويلة ومتعددة الأشكال والأطوار، ومن الأطوار الجديدة في هذه الحرب: الصراع الديمغرافي، والمقصود به: عدد السكان، حيث من المتوقع أن تكون أعداد الفلسطينيين متساوية مع أعداد اليهود عام (٢٠٠٧ أو ٢٠٠٨) عندما يكون عددهم (٦, ٥) مليون، وبعدها تأخذ نسبة الفلسطينيين بالزيادة على أعداد اليهود. ولذلك يعمل اليهود بكل وسيلة للحيلولة دون هذا النصر "الديمغرافي"؛ لما يسببه من انتصارات أخرى على صعيد الحرب القائمة.

ومن هذه الوسائل اليهودية للقضاء على التفوق الديمغرافي الفلسطيني - بعد أساليب القتل والتهجير ونشر المواد المسببة للعقم - ما يلي:

١ - تفعيل مؤتمرات السكان والمرأة والطفل العالمية التي ترعاها الأمم المتحدة؛ لوضع تشريعات عالمية ملزمة لكل الدول، وتهدف هذه التشريعات إلى:

(أ) الحد من الإنجاب؛ من خلال ما يسمونه: "التوعية الإنجابية"، ودعم وسائل منع الحمل.

(ب) التشجيع على الفاحشة وحماتها قانونياً، مع توفير وسائل منع الحمل للمراهقين مجاناً.

(ج) هدم القوانين الحاكمة للأحوال الشخصية القائمة على المرجعية الدينية، وإقرار قوانين أخرى قائمة على المرجعية العلمانية.

٢ - تفعيل هذه القرارات من خلال المؤسسات العالمية الرسمية والتطوعية "غير الحكومية" في تقديم المساعدات المالية والفنية للدول.

ومن الأدلة على أن اليهود هم وراء هذه الخطوات ما يلي:

• أن المعارضين لهذه المؤتمرات وقراراتها هم المسلمون - رابطة العالم الإسلامي والمراكز الإسلامية -، والفاثيكان.

(١) صحيفة "السبيل"، (١٥/١/٢٠٠٢).

- أن اليهود هم الذين يدعمون هذه القرارات؛ من خلال المؤسسات الماركسية الداعمة لهذه المؤتمرات، والتي تقوم على الفكر الماركسي الجديد.
 - أن أغلب هذه المؤسسات التي تقوم بتقديم الدعم المالي لهذه الأنشطة هي مؤسسات لليهود يد فيها.
 - أن المستفيد من هذه الجهود هم اليهود في الدرجة الأولى؛ خاصة في بلاد الشام.
 - أن أغلب القائمين على هذه الجهود في بلادنا هم أصحاب الفكر العلماني أيضًا.
 - ولقد بدأت النتائج تظهر في ارتفاع سن الزواج، وانخفاض نسبة الخصوبة عند الإناث في المنطقة العربية.
- وبعد هذا؛ هل يجوز للمسلمين بكل قواهم أن يبقوا مكتوفي الأيدي وهم يشاهدون هذه الحرب على الإسلام والمسلمين؟



هكذا يواصل اليهود تهويد القدس للسيطرة على المسجد الأقصى^(١)

"لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل"؛ هكذا قال بن غوريون - أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني - .
بل يجب أن نتبه - أيضًا - إلى أن اسم الصهيونية مشتق - أيضًا - من اسم أحد جبال القدس؛
نعرف عمق البعد الديني في الصراع مع اليهود في فلسطين.
ومن أجل هذا الهدف لم تتوقف الجهود الإسرائيلية والصهيونية عن السيطرة على القدس
بالكامل منذ هزيمة عام (١٩٤٨م)، واحتلال القدس الغربية، وقبل ذلك - أيام الانتداب
البريطاني - كانت هناك جهود ضخمة للتوطن في القدس.

وإليك أهم المحطات في تهويد القدس:

١ - أيام الانتداب البريطاني:

عقب احتلال الجنرال اللنبي القدس سنة (١٩١٧م) باشر بوضع مخطط لمدينة القدس،
وتعليقات البناء فيها، وقسم القدس إلى أربعة أقسام: البلدة القديمة وأسوارها، المناطق المحيطة
بالبلدة القديمة، القدس الشرقية، والقدس الغربية، ومنع البناء في المناطق المحيطة بالبلدة القديمة،
وقيد البناء في "القدس الشرقية" ببعض القيود والتعليقات، أما "القدس الغربية" فجعل لها خطة
للتطوير!

ثم جاء بعده المندوب السامي الأول - وهو يهودي صهيوني - ويدعى: هربرت صموئيل،
وحكم بين سنتي (١٩٢٠-١٩٢٥م)، والذي أمر ببناء مستعمرات على الهضاب المحيطة بالمسجد
الأقصى والقدس، ثم تحولت إلى مستوطنات، واستمر في هذه السياسة حتى بلغت (١١)
مستعمرة/ضاحية/مستوطنة، وتواصلت بعده حتى وصلت إلى (١٦) مستعمرة وضاحية عام
(١٩٤٨).

(١) صحيفة "الغد"، (١٣/١١/٢٠١٥).

وخلال مرحلة الانتداب تدفقت هجرة يهودية ضخمة لفلسطين، وصاحبها تدفق للأموال اليهودية؛ حيث يقدر عدد المهاجرين اليهود في فترة الانتداب بأكثر من (٤٨٠) ألف يهودي، بحيث ارتفعت نسبة اليهود في فلسطين من (٨%)، (٥٥ ألف يهودي)؛ بحسب أول تقدير سكاني جرى في فلسطين عام (١٩١٤م)، أيام الحكم العثماني، ومع نهاية مرحلة الانتداب قدرت أعداد اليهود بـ (٦٥٠,٠٠٠)، أي: ما نسبته (٣١,٥%) خلال (٣٠) سنة فقط!!

أما الأموال اليهودية التي ضخت في فلسطين في تلك المرحلة لتثبيت هجرة اليهود؛ فتقدر بـ (٥٠) مليون جنيه فلسطيني، بين عامي (١٩٢١-١٩٣٥م)، بينما كانت ميزانية حكومة فلسطين (٢) مليون جنيه فلسطيني، حتى نفهم كيف صار لليهود دولة عقب انسحاب الاحتلال البريطاني (١٩٤٨م)!

وفي زمن الانتداب أقيمت الجامعة العبرية في القدس، ووضع حجر الأساس لها وايزمن بحضور النبي سنة (١٩١٨م)، وافتتحها بلفور سنة (١٩٢٥م)، وتواصلت سياسة إنشاء مؤسسات يهودية على الهضاب المحيطة بالقدس، في مخطط ذي بعد استراتيجي لحصار القدس عبر طوق من المستعمرات/المستوطنات والمؤسسات اليهودية، تمتع بمدد المناطق العربية وتفسح ذلك لليهود! وهذه السياسات الخبيثة ولدت نتائج على الواقع زادت من نسبة اليهود في القدس؛ من حيث السكان، ومن حيث المساحة، وأصبحوا هم الأكثرية!

٢- مرحلة احتلال القدس الغربية عام (١٩٤٨م):

لقد قام اليهود بكافة الانتهاكات والاعتداءات التي يمكن تخيلها لتفريغ القدس من أهلها! وهذه بعض جرائمهم بحق المقدسين:

قام اليهود فور احتلالهم للقدس الغربية بتهجير (٦٠) ألف مقدسي من بعض أحياء القدس: حي البقعا الفوقا والتحتا، وحي مأمّن الله، والقطمون، والطالبية، وغيرها، وسلمت منازلهم للمهاجرين اليهود الجدد، وتم تغيير أسماء هذه الأحياء لأسماء يهودية.

وتم مصادرة أراضٍ كثيرةً بالآلاف الدونمات لبعض القرى المجاورة للقدس، وأنشأت عليها مؤسسات يهودية، مثل: قرية لفتا التي أقيم (الكنيست) على أرضها المصادرة، وأقيم على هذه الأراضي المنهوبة والمسروقة (٥٠) مستوطنة يهودية حول القدس.

وهكذا تعزز الوجود اليهودي في القدس؛ عبر النهب والتهجير والرعب.

٣- مرحلة احتلال القدس الشرقية عام ١٩٦٧م:

في هذه المرحلة تم لليهود السيطرة على كامل القدس وفلسطين، وواصلت سياساتها الإجرامية بحق الشعب الفلسطيني وأهل القدس على وجه التحديد؛ من أجل تفرغ فلسطين والقدس من أهلها من العرب المسلمين والمسيحيين، ولليوم تتزايد هذه الجرائم، والتي لا يكفى مقال لحصرها!.

مباشرة وحَّدت إسرائيل شطري القدس تحت سيطرتها، وألحقت القدس الشرقية بمؤسساتها الرسمية، وفكَّكت المؤسسات الفلسطينية في القدس الشرقية لتهودتها، وفي عام (١٩٨٠م) أعلنت عن القدس كعاصمة موحدة أبدية لها، ولكن لم يعترف العالم بذلك، وصدر قرار من الأمم المتحدة يدين ويرفض التعدي اليهودي على القدس.

وأيضاً قام اليهود بالاستيلاء على حائط البراق من المسجد الأقصى، واحتلوا حارة المغاربة وأزالوها من الوجود وحولوها لساحة أمام حائط البراق، ولا تزال الاعتداءات على الأقصى مستمرة بسرقة بعض أجزاء من الأقصى بجوار حائط البراق، أو بالحفريات تحته، أو باقتحام المستوطنين والجيش للساحات والمسجد القبلي، وأكبر جريمة كانت: إحراق المسجد القبلي سنة (١٩٦٩م).

قام اليهود بتوسيع مساحة القدس من (٣٠) كم مربع إلى (١٠٤) كم مربع؛ وذلك عبر مصادرة أراضي (٢٨) قرية فلسطينية حول القدس من أراضي الضفة الغربية، ثم زادت من وتيرة سرقتها لأراضي الفلسطينيين؛ فصارت مساحة القدس (١٢٦) كم مربع، أقامت عليها المزيد من المستوطنات والمؤسسات اليهودية.

أما عن الفلسطينيين في القدس؛ فعمد اليهود لتهجيرهم وطردهم من القدس، واتخذوا قراراً بأن لا تزيد نسبة العرب في القدس عن (٢٢%)، وعمدوا لفرض ذلك عبر سياسات اقتصادية ومعيشية خانقة وطاردة، منها: فرض ضرائب باهظة على المتاجر والمصانع العربية، تعقيد إجراءات أخذ رخص تجارية، عدم توفر مناطق جديدة للأسواق والحرف، مع تقديم كافة التسهيلات لهم في مناطق خارج القدس! فمنذ عام (١٩٩٩م) أغلق في القدس أكثر من (٥٠٠٠) منشأة عربية.

أيضاً كان هناك تعمد في عدم تقديم خدمات بلدية للأحياء الفلسطينية في القدس، ولذلك البلدة القديمة وأحياء العرب بنيتها التحتية لليوم متهاككة، مما يصعب ظروف العيش الصعبة أصلاً!

مع إلزامهم بدفع الضرائب المرتفعة دون تقديم الخدمات، ومن يرفض تسحب هويته المقدسية ويطرد منها! والزامهم بمظلة التأمين الصحي والاجتماعي الباهظ، مما أفقد الآلاف وظائفهم!! وإصدار قوانين جائزة بسحب الهوية المقدسية من كل مقدسي يغادر القدس (٧) سنوات متصلة؛ ولو في داخل فلسطين، أو يتجنس بجنسية أخرى، أو حصل على إقامة في بلد آخر!

تعقيد وتشديد على منح الفلسطينيين من رخص البناء في القدس؛ ولو بترميم منازلهم، أو الإضافة إليها، لإجبارهم على مغادرة القدس؛ مما أجبر الكثير منهم على السكن في أوضاع مأساوية لا تتحملها الزيادة الطبيعية لنموهم، ولا يجد الشباب والشابات منازل للسكن إلا بمخالفة التعليمات والبناء بدون رخصة، مما يعرض البيت وأهله للطرد والهدم! حتى أصبحت رخص البناء الممنوحة للمقدسيين تساوى - تقريباً - عدد المنازل التي يطالها الهدم اليهودي الجائر، مما يديم حالة المعاناة والظلم.

فبين عامي (٢٠٠٤ - ٢٠١٤) تم تهجير (٢٠٢٨) مقدسياً بسبب هدم منازلهم، منهم (١١١٨) قاصراً، منهم (٥٩) مقدسياً هدم منزله بيده؛ حتى لا يدفع كلفة ضخمة لو هدمتها البلدية!!

تشير تقارير نشرت عام (٢٠١٤) أن (٧٩%) من المقدسيين العرب تحت خط الفقر، و(٤٠%) من أطفالهم يغادرون مقاعد الدراسة، أي: حوالي (١٠) آلاف طالب، مما يخلق بيئة محطمة، يعمد اليهود لتسهيل تجارة المخدرات فيها؛ لقتل الروح الوطنية وزيادة المعاناة!!

وثلاثا طلبة القدس يدرسون في مدارس رسمية تتبع دولة اليهود، ولكنها تعاني من أوضاع بائسة وميزانيات هزيلة! وقد أضربوا بداية هذا العام الدراسي بسبب سوء الأوضاع، وعدم توفر ميزانية، وجرى تفاهم بعد شهر لم يحقق شيئاً يذكر لحد الآن!

وإقامة الجدار العازل عمل على ضم كثير من المستوطنات للقدس، وطرد الكثير من الأراضي العربية منها والآلاف المقدسيين منها! فضلاً عن بقي مقدسياً لكنه خارج الجدار يحتاج يومياً من أجل عبور الجدار لقضاء (٣-٤) ساعات على طابور التفتيش في الدخول، ومثلها في الخروج!!

ولا تزال معاناة المقدسيين قائمة؛ من مصادرة أملاكهم ومنازلهم في البلدة القديمة وفيما حوّلها، فحي الشيخ جراح وقرية سلوان مهددان بالمصادرة حالياً، كما أن الكثير من الأوقاف الإسلامية والمسيحية تتعرض للعدوان والمصادرة.

إن ما يتعرض له أهل القدس جرائم ضخمة جداً، لكن لا تجد من يفضحها، وكل ذلك من أجل وصول اليهود لغايتهم الكبرى بالاستيلاء على المسجد الأقصى وهدمه وبناء الهيكل المزعوم! فهل نبقى نتفرج؟! أم ننهض لنصرة المظلومين في القدس؛ بثبتهم فيها ورفع الظلم عنهم بكل وسيلة مشروعة؟



أباطيل التشكيك بالمسجد الأقصى^(١)

ما تزال بطولات أهل "الأقصى" وفلسطين قائمة في الدفاع عنه، وإبطال كل المؤامرات التي تستهدفه وتعاديه؛ برغم صعوبة أحوالهم، وتحلي إخوانهم أو انشغالهم أو إشغالهم بمصائب وكوارث أخرى.

فلولا العدوان الطائفي الذي تشنه إيران على الشعب السوري والعراقي واليميني، وتهدد به عددًا من الدول العربية؛ فلربما كان لفلسطين و"الأقصى" وغزة مزيد اهتمام ورعاية! وقد استغل المحتل اليهودي الفرصة، وصعد من خططه ومؤامراته؛ فطرح مؤامرة التقسيم الزماني والمكاني للمسجد الأقصى بين المسلمين أصحاب المسجد وبين اليهود الغزاة المحتلين. لكن تصدّى له الأبطال من الرجال والنساء بما يملكون من إيمان وقلة سلاح إلا سكين المطبخ.

وعجز اليهود عن إخماد هذه المقاومة البطولية التي صدمتهم؛ لكونها نابعة من جيل ظن اليهود أنهم رؤسوه واستسلم لرغباتهم، وأصبحت البطولة عنده تتجسد في نعمة الصوت! وتكسر الجسد في بطولات مغني العرب! لكن رغم هذا العجز؛ إلا أن نتيما هو ما يزال يطلق التصريحات باستهداف المسجد الأقصى؛ كما في تصريحه مؤخرًا بقدره اليهود على هدم المسجد لو رغبوا! كذلك؛ فإن تدنيس اليهود - مستوطنين وجيشًا - للمسجد الأقصى مستمر، في محاولة لفرض واقعهم العدواني على "الأقصى"، وكسر إرادة الصمود والجهاد دفاعًا عن مسرى الرسول ﷺ وقبلة المسلمين الأولى.

في خضم هذه المعركة المبدئية مع العدوان اليهودي الصهيوني! خرج علينا د. يوسف زيدان -الباحث في المخطوطات، وصاحب الروايات المثيرة للجدل!- بتصريح غريب عجيب بأن المسجد الأقصى ليس في فلسطين، بل لا وجود للقدس أصلًا! وقد تصدى لمزاعم زيدان عدد من المفكرين والعلماء، واتضح أن زيدان ليس صاحب هذه المزاعم، بل سبقه إليها بعض اليهود، وكذلك بعض المؤلفين العرب!

(١) صحيفة "الغد"، (١٨/١٢/٢٠١٥).

وهاكم القصة والتفاصيل:

١- يقول د. محمد عمارة في لقائه على قناة "الجزيرة" أنه ألف كتابه «القدس بين اليهودية والإسلام» لأن يهودياً يدعى: دانيال بايس - هو كبير مساعدي بنيامين كاهانا ابن الحاخام الإرهابي مائير كاهانا، مؤسس رابطة الدفاع اليهودية- نشر دراسة العام (١٩٩٩) نفى فيها أهمية القدس والمسجد الأقصى عند المسلمين، وأن المسجد اختراع أموي، وقد أقحم في تفسير آية الإسراء والمعراج! وأن هناك من يقول: إن المسجد الأقصى في السماء؛ وهو قول للشيعه!

٢- وقال د. عمارة -أيضاً-: إن هناك يهودياً اسمه: د. موردخاي كيدار -وهو أستاذ في جامعة باريلان الصهيونية- تحدث في ندوة بالكنيست الإسرائيلي بعنوان: "مكانة القدس في الإسلام" في (تموز- يوليو ٢٠٠٩)، وقال يومها: "إن القدس يهودية، وعلى المسلمين أن يحملوا أحجار قبة الصخرة إلى مكة، لأن المسجد الأقصى مكانه (الجعرانة) بين مكة والطائف، وكان يصلي فيه الرسول ﷺ - أحياناً-".

٣- كتب مؤخرًا الصديق د. عيسى القدومي -وهو الباحث المتخصص في شؤون الأقصى، ورسالته في الدكتوراه عن جهود اليهود في التشكيك بالمسجد الأقصى - مقالاً بعنوان: "لماذا التشكيك في مكان المسجد الأقصى ومكانته عند المسلمين؟! في مجلة "الفرقان" الكويتية، استعرض فيه موقف «الموسوعة اليهودية» من مصطلح (القدس)، وبيّن ما سطره عدد من الباحثين اليهود في «الموسوعة» وخارجها، مما يعد أصل مزاعم زيدان.

٤- أرشدني أحد الأصدقاء الباحثين في جغرافية القرآن الكريم والسنة النبوية -وهو الشيخ عبد المجيد السبهان- لكتاب فاضل الربيعي «القدس ليست أورشليم»، والذي صدرت طبعته الأولى العام (٢٠١٠)، ويقوم على فكرة عدم مطابقة جغرافية فلسطين في الواقع لما هو موجود في التوراة الحالية.

وهي فكرة متداولة عند عدد من الباحثين، مثل: د. كمال الصليبي في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، والنيل أبو قرون في كتابه «نبي من بلاد السودان»، وفراس سواح في كتابه «تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود المفقودة»، وأستاذي محمود عبد الرؤوف القاسم في كتابه «مصر ليست مصر، من جغرافية القصص القرآني»؛ حيث يشترك هؤلاء في أن قصص التوراة لم تحدث في فلسطين كما يظن الناس ويروج اليهود.

ويشهد لهذا عجز اليهود طيلة هذا الاحتلال لفلسطين وسيناء عن العثور على أي أدلة أثرية على مزاعمهم؛ مع كثرة الحفريات والتنقيبات تحت المسجد الأقصى خصوصاً، وعموم فلسطين وسيناء.

ويختلف هؤلاء الباحثون في مكان حدوث تلك القصص والوقائع، لكن ما انفرد به الربيعي من بينهم: أنه ينفي وجود المسجد الأقصى والقدس في فلسطين، فهو يعتقد أن القدس جبل يقع قرب عدن في اليمن!

أما عن بطلان مزاعم زيدان وأسلافه؛ فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

١ - تشكيكهم في وجود المسجد الأقصى في القدس بفلسطين بسبب عدم وجود مبانٍ في وقت الإسراء، وأن المسجد القبلي وقبة الصخرة بنيا في العهد الأموي.

والجواب عن ذلك: نعم؛ لم يكن هناك بناء زمن إسراء النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولكن هل كان هناك -أيضاً- بناء يعرف بالمسجد الحرام؟

من المعلوم أنه لم يكن هناك مسجد حرام بعد، فهل ننفي وجود المسجد الحرام في مكة؟ الحل هنا هو: الانتباه للمغالطة التي صرفت كلمة (مسجد) من المعنى اللغوي العام، وهو: مكان السجود؛ كقوله ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»^(١)، إلى المعنى الاصطلاحي الذي يقصد به: بناء محدد، فالمقصود في الآية -في مكة والقدس-: مكان الصلاة والسجود، وليس البناء المخصص للصلاة والسجود!

٢ - لا علاقة بين ثبوت علاقة لليهود بالقدس أو عدم ثبوتها، وبين ثبوت وجود المسجد الأقصى في القدس عندنا كمسلمين.

فنحن كمسلمين نؤمن أن النبي ﷺ أسري به من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس في فلسطين، وقد أخبر النبي ﷺ قريشاً عن قوافلها في الطريق، وسأله أهل قريش عن بيت المقدس؛ فرفع له بيت المقدس كأنه ينظر إليه، فأخذ يصفه لهم.

ولأن الحديث كان عن بيت المقدس في فلسطين لم يصدقه بعضهم، ولما صدق بذلك أبو بكر لقب بالصديق!

(١) حديث متفق عليه.

٣- في رحلة المعراج من المسجد الأقصى بالقدس في فلسطين إلى السماء فرضت الصلاة خمس مرات يومياً، وكان النبي ﷺ وأصحابه يصلون قبل ذلك منذ بداية الوحي ركعتين مرتين في الصباح والعشي إلى جهة المسجد الأقصى بيت المقدس، وهي قبلتهم قريباً من اثنتي عشرة سنة؛ حتى نزل قوله ﷺ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ [البقرة: ١٤٤].

ولا يجادل أحد أن المسجد الأقصى بيت المقدس في فلسطين كان هو القبلة الأولى للمسلمين. وهنا أنبه إلى أن زيدان ذكر في مقابله التي نفى فيها وجود "الأقصى" في فلسطين؛ بأن مسجد القبلتين هو: مسجد قباء، وهذا خطأ فادح! فمسجد القبلتين هو مسجد بني سلمة، حيث تحول المصلون في صلاة الظهر من بيت المقدس إلى الكعبة في مكة، ولهذا سمي بمسجد القبلتين، أما أهل قباء فلم يصلهم الخبر إلا في صلاة الفجر من اليوم التالي؛ كما ثبت في «الصحیحین»!

٤- قال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا لمساجد ثلاثة: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(١).

وقد طبق هذا الصحابة والتابعون بعدم السفر إلا لهذه المساجد الثلاثة، فكيف يأتي اليوم اليهود وسواهم لينفوا وجود المسجد الأقصى في القدس بفلسطين؟!

٥- هل يريد هؤلاء أن يقولوا لنا: إن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه تجشم عناء السفر من المدينة المنورة إلى بيت المقدس بفلسطين ماشياً وراكباً على دابة لاستلام مفاتيح القدس؛ عبثاً، وضرراً من الوهم والخداع! حيث لم يصل للمسجد الأقصى والقدس؟!

٦- أما زعمهم أن المسجد الأقصى هو مسجد الجعرانة، فهذه فرية سمجة لا يتقبلها عاقل! فالجعرانة تبعد عن مكة أو الكعبة حوالي (٢٥) كيلومتراً، فما قيمة الإسراء بالبراق لها؟ وكيف يستنكرها أهل مكة وهي بهذا القرب؟ ولماذا لا يزوره المسلمون من الحجاج والمعتمرين عبر التاريخ؛ وهو المبارك؟ وما الغاية من مضاعفة أجر الصلاة فيه وهو قرب المسجد الحرام؟

(١) رواه البخاري.

أما إطلاق اسم (المسجد الأقصى) على مسجد الجعرانة فهو في مقابل المسجد الأدنى، وهو - غالباً - مسجد التنعيم، وذلك بحسب قربهم وبعدهم عن المسجد الحرام؛ فهي تسمية استعمالية كان يعرفها الصحابة ولم تشككهم في وجود المسجد الأقصى المبارك في القدس بفلسطين. هذه هي حقيقة المحاولة الجديدة والفاشلة في التشكيك بالمسجد الأقصى، والتي لا فائدة منها إلا ترسيخ حب هذا المسجد في قلوب المسلمين، وإعادة نشر الوعي وتعميمه بثقافة "الأقصى" والقدس وفلسطين بين جموع المسلمين.



من عدوان اليهود:**محاولة منع الاعتكاف في المسجد الأقصى^(١)**

عدوان اليهود واحتلالهم للأقصى وفلسطين وشعبها لن يتوقف إلا عند وصولهم لغايتهم النهائية وهي: السيطرة على كل فلسطين، والخلاص من أهلها من الفلسطينيين؛ إما بالقتل أو الطرد والتهجير.

وفي طريقهم لتحقيق تلك الغاية الخبيثة - خيَّب الله مسعاهم، وأبطل مكرهم - يقومون بأنواع كثيرة جداً من الاعتداءات، مما يساعد في تحقيق تلك الغاية العدوانية، ومن أنواع الاعتداءات هذه: السيطرة على المسجد الأقصى، وهم يحاولون في البداية أن يكون لهم موضع قدم في المسجد الأقصى، ثم يوسعون عدوانهم وسيطرتهم عليه.

ومن أجل وضع قدم لهم في الأقصى: محاولة فرض زيارة اليهود للمسجد الأقصى على المسلمين، بدعوى أن الدخول إلى ساحات الأقصى سياحة وزيارة ونزهة، وأنها تقع في الساحات المجاورة للمسجد الأقصى!

وقد نبهنا من قبل على التحريف اليهودي الخطير لمفهوم المسجد الأقصى؛ الذي يروجه اليهود، فهم يحاولون قصر المسجد الأقصى على المسجد القبلي وقبة الصخرة فقط، بينما المسجد الأقصى هو: كل السور وما في داخل السور من المسجد القبلي وقبة الصخرة والساحات المرصوفة والترابية والمصاطب والأشجار وكل الأبنية والمرافق، كل هذا هو المسجد الأقصى؛ والذي تبلغ مساحته (١٤٤) دونماً.

ثم تطورت محاولاتهم العدوانية إلى محاولة فرض إقامة صلوات يهودية في ساحات المسجد الأقصى، وهو اعتداء صارخ على حقوق المسلمين، فكل العقلاء يتفقون أن أماكن العبادات الخاصة بكل دين لا يجوز أن يفرض على أصحابها إقامة طقوس لدين آخر؛ فضلاً عن الاستيلاء عليها لغير أصحابها وأهلها.

(١) صحيفة "الغد"، (٦/١١/٢٠١٥).

ولما اعترض المسلمون ودافع الفلسطينيون عن مسجدهم ومقدساتهم بكل الوسائل والأساليب، والتي كان منها: عبادة الاعتكاف والرباط في المسجد الأقصى؛ حتى لا يترك فارغاً في الليل أو في النهار، مما يسهل لليهود التسلل إليه وإلى ساحاته وإقامة طقوسهم بحجة أنهم يفعلون ذلك في الوقت الذي لا يتواجد فيه المسلمون وبذلك لا نزعجهم!

ولو نجح اليهود في وضع موضع قدم لهم فيه، فسيصبح (مسار جحا) الذي بواسطته يستولون على الكثير الكثير من مساحة المسجد الأقصى.

فاليهود ومنذ عدة سنوات يخططون للقيام بالسماح للمستوطنين المتدينين بدخول ساحات المسجد الأقصى، تحت حماية جيش الاحتلال؛ في محاولة لتثبيت التقسيم الزماني والمكاني على الأقصى بين المسلمين واليهود، ولكن فاجأهم المسلمون بالاعتكاف والرباط في المسجد الأقصى في مصلياته ومصاطبه وساحاته، مما أحبط الكثير من مخططاتهم وأجلها.

ولكن الخبث اليهودي لم يستسلم؛ فلجأ لمحاولة إقرار قوانين تمنع الاعتكاف في المسجد الأقصى، وجعلوا ذلك تحت شعارات مخادعة - كعادتهم -، فتقدمت مجموعة من حزب الليكود بطلب منع "المبيت" في المسجد الأقصى!

وقبل مناقشة فحوى الطلب ومخالفته للشريعة الإسلامية؛ يجب أن نتساءل: بأي حق يتدخل اليهود في شؤون المسجد الأقصى؟ ومن يبقى ومن يخرج؟! ما علاقتهم بمساجدنا وعباداتنا؟ وهل يقبلون أن يتدخل المسلمون أو المسيحيون في شؤون كنس اليهود الداخلية؟

ولاحظوا المكر والخداع والخبث بمنع إقامة الشعائر التعبديّة للمسلمين باسم: "منع المبيت"، مع السماح لليهود بإقامة عبادتهم وصلواتهم في مسجد المسلمين باسم: الزيارة والسياحة!!

لم ينجح اليهود لأن في منع الاعتكاف والرباط في المسجد الأقصى، لكنهم ماضون في هذا، وقد قام اليهود باقتحام المسجد الأقصى وإخراج المعتكفين فيه بالقوة، وهذا عدوان على مقدسات المسلمين، وانتهاك لسيادة الأردن على المسجد الأقصى، وانتهاك لحقوق حرية المسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية في مساجدهم ومقدساتهم.

الاعتكاف هو إحدى العبادات الإسلامية، وعرفه الفقهاء بأنه: الإقامة في المسجد بنية التقرب إلى الله ﷻ ليلاً أو نهاراً، وقد ذكر الله ﷻ عبادة الاعتكاف في القرآن الكريم في عدد من الآيات،

منها: قوله ﷺ: ﴿ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله ﷺ: ﴿ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وأفضل الاعتكاف: ما كان في المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والأقصى؛ لقوله ﷺ: « لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة »^(١).

وبهذا يتبين لنا أن الاعتكاف بالمسجد الأقصى له فضل خاص وميزة كبرى بدون أي سبب، فكيف إذا كان مع عبادة الاعتكاف عبادة صوم، أو عبادة التعلم والتفكير؛ من خلال مصاطب العلم التي أحييت من قريب في جنبات المسجد الأقصى، أو عبادة دفاع وحماية لجناب المسجد الأقصى من عدوان اليهود وشركهم، إذا اقتحم اليهود - جيش ومستوطنون - المسجد الأقصى؛ هبوا لحمايته والدفاع عنه؟! وهذه بذاتها عبادة عظيمة شريفة جليلة، ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠]، عندها يتعاضم الفضل والبركة والأجر؛ بإذن الله الكريم الوهاب.

وقد حدث في عام (٢٠١٤م) أن منع اعتكاف ورباط المسلمين في الأقصى من اقتحام اليهود المستوطنين للأقصى تحت حماية جيش الاحتلال؛ فقد كانوا ينوون فتح أربع بوابات للمسجد أمام اليهود ليدخلوه بمئات وربما ألوف المستوطنين؛ لتثبيت ذلك كأمر واقع، لكن الله ﷻ أكرم وأصطفى ثلة من الرجال والنساء والشباب والشابات والأطفال - أيضاً - كانوا معتكفين مرابطين، فأكرم الله ﷻ هؤلاء بشرف حماية مسجده المبارك.

والاعتكاف في المسجد الأقصى أمر معروف مشهور منذ مطلع الإسلام، ولقد سجل لنا العديد من العلماء والرحالة أخبار الاعتكاف في المسجد الأقصى عبر الزمن في كتبهم ومشاهداتهم، وقد جمع طرفاً واسعاً من تلك الأخبار والرحلات الدكتور كامل العسلي في كتابه القيم «بيت المقدس في كتب الرحالة».

ومن هنا؛ فإن محاولة منع المسلمين من القيام بعباداتهم بالاعتكاف في المسجد الأقصى هي عدوان صارخ لا مبرر له بأي شكل من الأشكال! إلا نية اليهود الخبيثة بالاستيلاء والاحتلال للمسجد الأقصى، والذي يعطل الاعتكاف فيه مخططاتهم العدوانية.

(١) رواه الطحاوي، وصححه الألباني.

أكاذيب أشاعها اليهود^(١)

كعادته دوماً أهداني الصديق العزيز د. عيسى القدومي كتابه الأخير «أكاذيب أشاعها اليهود»، وهو في الأصل جزء من رسالته للدكتوراه، والكتاب صدر عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية مطلع عام (٢٠١٤)، ويقع في (٤٢٠) صفحة.

ويقوم الكتاب على حصر الشبهات والأكاذيب التي يروجها اليهود حول أحقيتهم في القدس وفلسطين، وشبهاتهم حول تدني مكانة القدس في الإسلام، ومزاعمهم أن المسجد الأقصى ليس في القدس!

لكنه قبل سرد الشبهات وتفنيدها قدم بمقدمات مهمة؛ أُلخّصها في قضيتين:
أولاً: كشف منهج التزييف الذي يمارسه اليهود؛ والذي كان من نتائجه: هذه المزاعم والأكاذيب التي فندها الكتاب!

ومنهج اليهود في التزييف يقوم على طريقتين: قلب الحقائق باختراع الأكاذيب وترويجها، والسكوت وإهمال الحقائق المتعارضة مع مصالحهم.

وقد بين الله ﷻ لنا في القرآن الكريم جريمة اليهود بتحريف التوراة؛ فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَسْنِنَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، ومن تجرأ على كلام الله ﷻ بالتحريف والتزوير فجرأته على تزوير التاريخ والواقع ستكون أكثر وأكبر!

وبخلاف الشبهات والأكاذيب التي زوروا بها التاريخ؛ فإنهم عمدوا للواقع فزوره أيضاً؛ من خلال هدم مئات القرى الفلسطينية وتسويتها بالتراب، والبناء على أنقاضها مستعمرات ومستوطنات بأسماء عبرية، ومبالغة في التزوير يقومون ببنائها بأحجار بيوت الفلسطينيين بدون استخدام الإسمنت؛ لخلق وهم وانطباع بقدوم هذه المستوطنات لدى العابرين من أمم الأرض لزيارة فلسطين!!

(١) صحيفة "الغد"، (٢٣/٨/٢٠١٤).

ثانياً: استعرض د. القدومي كتابات وجهود المشككين بمكانة المسجد الأقصى عند المسلمين، وهم أربعة أصناف:

١ - المستشرقون اليهود، وهذا جانب يغفل عنه كثير من الناس، فاليهود كان لهم منذ نشأة الإسلام جهود خبيثة لضرب الإسلام وتشويهه؛ سواء بشكل مباشر، كما يتضح ذلك حين سأل كفار قريش كعباً بن الأشرف اليهودي: من أفضل نحن أم محمد؟

فأجابهم: إنكم يا كفار قريش أفضل من محمد وأصحابه، فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

أو بشكل غير مباشر؛ كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَحَٰجَةُ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

ثم رأينا دور عبد الله بن سبأ اليهودي وأمثاله في الاندساس بين صفوف المسلمين، وتأليب الناس في مصر والعراق على الخليفة الثالث عثمان بن عفان؛ حتى قتلوه، ثم بدأ ابن سبأ بنشر بعض العقائد اليهودية بين المسلمين؛ لكنه كساها حلة إسلامية! فزعم أن النبي ﷺ أوصى لعلي بن أبي طالب بالخلافة من بعده كما أوصى موسى بن عمران ليشوع، ومن هنا نشأت وبدأت مسيرة فرقة الشيعة.

ولا يزال اليهود - لليوم - يمارسون هذا الدور المعادي للإسلام عبر جحافل المستشرقين اليهود؛ الذين يتخصصون في التراث والتاريخ الإسلامي، ويمارسون دورهم الخبيث عبر جامعات إسرائيل العبرية أو الجامعات الغربية، ولهم تحقيقات لبعض كتب التراث الإسلامي، ودراسات ومقالات، ومواقع إنترنت.

ومن أمثلة هؤلاء اليهود المستشرقين:

- د. بوهل، المتخصص في النحو العربي وتاريخ اللغة، وهو يهودي يحمل الجنسية الدنماركية، وله كتاب عن الرسول ﷺ، وترجمة معاني بعض أجزاء من القرآن الكريم للغة الدنماركية.
- د. إسحاق حسون، وهو محقق كتاب «فضائل بيت المقدس» لأبي بكر الواسطي سنة (١٩٦٩م)، وقد حصل على درجة الدكتوراه بهذا التحقيق من الجامعة العبرية.

• الباحثة حوا لاتسروس يافه، تعمل في الجامعة العبرية، وهي متخصصة في الدراسات الإسلامية، اهتمت بدراسة الخليفة الفاروق منذ الثمانينات، ولها أبحاث وكتب عدة حول الإسلام وتاريخ القدس.

وقد أورد د. عيسى أسماء أخرى للمستشرقين اليهود لا يسع المقام استعراضهم. وأغلب أبحاث هؤلاء اليهود وغيرهم تدور حول القدس؛ فلهم اهتمام كبير بدراسة التراث الإسلامي حولها، لكنه يتقصدون إخراج منتج يزعم أن المسجد الأقصى لا قيمة له في الإسلام، وأن الأمويين هم من جعل للقدس هذه المكانة لتكون بديلاً عن مكة!! وهؤلاء الباحثون لا يقتصر عملهم على الجانب الأكاديمي، بل كثير منهم ينخرط في مؤسسات الدولة السياسية والأمنية، فالمستشرق يتسحاق أوران والباحث تسفي لنير ترأس كل منهما مركز البحوث السياسية بوزارة الخارجية، أما المستشرق تسفي اليبلغ أصبح حاكماً عسكرياً خمس مرات، وشغل كل من يهوشفاط هو كابي وشلومو غازيت منصب رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، وهكذا.

وقد وضعت الدولة الإسرائيلية تحت تصرفهم إمكانات غير محدودة، مما جعلهم ينتجون دراسات وأبحاثاً كثيرة لصالح إسرائيل، وهي على نوعين: نوع لاستخدام إسرائيل، وتحتوي على حقائق وتوصيات حول كيفية التعامل مع الفلسطينيين والعرب والمسلمين بمختلف شرائحهم. والنوع الثاني: للدعاية لإسرائيل في الداخل والخارج، وهذه تحشى بالأكاذيب والافتراءات بحرفية وإتقان عالين!

٢- من المشككين في مكانة القدس والمسجد الأقصى: عدد من العلمانيين، ساهم المؤلف: "العلمانيين الجدد"، وقد كشف العدوان الإسرائيلي على غزة في (٢٠١٤) عدداً كبيراً من هؤلاء العلمانيين.

وهم في الحقيقة يرددون شبهات ومزاعم اليهود، ولعل المنطلق لهم في ذلك هو: كرههم للتيار الإسلامي، بل كرههم للإسلام نفسه! بدافع من منطلقاتهم الإلحادية؛ وخاصة الماركسيين منهم، وهؤلاء موجودون دوماً؛ لكن حين تضعف الأمة يمكنهم المجاهرة بوقاحتهم!

ويكفي أن وزارة الخارجية الإسرائيلية تحتفي بمقالاتهم، وتعيد نشرها على موقعها الإلكتروني، وهم عابرون لكل الجنسيات العربية، بل منهم فلسطينيون عملاء مثل: شاكر النابلسي؛ الذي فسر الغاية من استقبال النبي ﷺ لبيت المقدس في الصلاة بزعزعة مكانة مكة الاقتصادية بتحويل العرب عنها!! في استخفاف بمكانة بيت المقدس الدينية عبر تاريخ البشرية كله من لدن آدم مروراً بعشرات الأنبياء ﷺ.

٣- ومن المشككين بمكانة الأقصى والقدس عند المسلمين: الماسونية والماسونيون، وقد صرح أمين القدس الأسبق السيد روجي الخطيب أنه تلقى من بعض الماسونيين الأمريكيين رسالة في ستينيات القرن الماضي يقترحون فيها شراء أرض المسجد الأقصى أو بعضه لإقامة الهيكل المزعوم. ولا تزال هناك جهود ماسونية محمومة لإعادة بناء الهيكل منها: إنشاء "غرفة القدس الماسونية" سنة (١٩٩٥) في جوار الأقصى لهذه الغاية.

٤- من المشككين في مكانة الأقصى: بعض الفرق الباطنية المنسوبة للإسلام؛ ففرقة القاديانية أو الجماعة الأحمدية - التي أصدر المؤتمر الإسلامي قراراً بخروجها عن ملة الإسلام، والتي تجعل من مؤسسها ميرزا غلام أحمد نبياً بعد النبي محمد ﷺ، وتكفر من لم يؤمن به -، تزعم أن المسجد الأقصى ليس في القدس، بل هو مسجد الميرزا في بلدة قاديان في الهند!!

أما البهائية والتي تفوقت على القاديانية؛ حيث لم تكتفِ بنسبة النبوة لمؤسسها بل تجاوزت ذلك فجعلته الإله المعبود! وجعلوا من قبره في مدينة عكا القبلة والمسجد الأقصى!

ولذلك يحظى القاديانيون والبهائيون بدعم ورعاية دولة إسرائيل على أعلى المستويات! أما الدرروز؛ فمشاركتهم في الجيش اليهودي قضية معروفة، بل تعد الكتيبة الدرزية من أشرس كتائب الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، وقد كان مرافقو شارون في اقتحام الأقصى من الدرروز، كما كان قائد اقتحام حي الشجاعية في غزة قبل أسابيع درزياً أيضاً، لكن هناك من الدرروز من يدعو لرفض الدخول في الجيش الإسرائيلي.

ويبقى عندنا الشيعة؛ الذين يجعلون المسجد الأقصى في السماء وليس في القدس في الأرض، بناء على روايات شيعية في كتبهم، ولا تزال هذه الروايات متداولة في كتبهم الحديثة، بل إن أحد هذه الكتب نال جائزة الدولة الإيرانية التقديرية، وسلم الرئيس الإيراني الأسبق أحمدني نجاد بنفسه المؤلف الجائزة!!

أما الشبهات التي رصدتها د. عيسى في أطروحته؛ والتي استغرقت نصف الكتاب -تقريباً-، فقد قسمها لثلاثة أقسام:

١ - شبهات ومزاعم اليهود الدينية في القدس والمسجد الأقصى:
وتتمثل في الزعم أن المسلمين بنوا المسجد الأقصى على أنقاض الهيكل المزعوم، وأن حائط المبكى هو الجزء الباقي من الهيكل.

وأن لليهود حقاً دينياً في القدس والأقصى، وأن القرآن يؤكد حق اليهود بالقدس.

وأن تحويل القبلة من بيت المقدس لمكة أنهى ارتباط الإسلام والمسلمين بالقدس.

٢ - شبهات ومزاعم اليهود التاريخية في القدس والمسجد الأقصى:
وتتمثل في زعمهم أن لهم حقاً تاريخياً في القدس والأقصى، وأن لليهود تاريخاً عريقاً هناك.
وأن فلسطين كانت أرضاً بلا شعب، وأن فلسطين والقدس باعها الفلسطينيون والعرب واشتراهما اليهود.

٣ - شبهات ومزاعم اليهود حول مكانة القدس والمسجد الأقصى عند المسلمين:
وتتمثل في زعمهم أن علماء المسلمين أنكروا قداسة القدس، وحذروا من الأحاديث المكذوبة في فضل الأقصى.

وأنهما لم يكن لهما دور حضاري ثقافي في التاريخ الإسلامي، وأن الأمويين هم الذين أسبغوا القداسة على القدس.

وأن المسجد الأقصى مسجد في السماء وليس في الأرض.

وقد أطال المؤلف في الرد على هذه الشبهات والمزاعم، ويجب على كل دارس ومهتم أن يطالع الكتاب، ويدرس الردود العلمية والموضوعية على هذه المزاعم اليهودية؛ خاصة في هذه المرحلة التي اشتعل فيها الصراع مجدداً مع اليهود، مما يلزم معه حشد كل الطاقات الشعبية خلف المقاومة، وذلك بعد سنوات طويلة استطاعت إسرائيل فيها حجب الوعي بحقيقة القضية الفلسطينية عن عقول كثير من الشعوب والأجيال العربية بمن فيهم الفلسطينيون، وذلك عبر خيارات سياسية سلمية، أسقطت كل البدائل الأخرى، وعبر سياسات تعليمية وإعلامية أعلنت من شأن الترفيه والمتعة والجري خلف المظاهر الاستهلاكية والعادات الوافدة، فأفرزت جيلاً فقد بوصلة الوعي بقضية فلسطين، ولكن -والحمد لله- لم يفقد كلياً العاطفة تجاه فلسطين.

ومن هنا؛ يجب على كل المخلصين والشرفاء العمل على رفع وتوجيه العواطف الجياشة من الشباب العربي والمسلم نحو فلسطين؛ لتصبح حالة وعي وإدراك وانتماء ومشاركة إيجابية، خاصة وأنها الحالة العاطفية التي تجمع بين عواطف التضامن مع الشهداء والجرحى والمهجرين، وبين عواطف العزة والانتصار والبطولة والشرف.





**العدوان المتكرر
على غزة**

غزة.. محطة في صراع الحق والباطل^(١)

من البداية وبكل وضوح: إن موقف النظام العربي ممّا ما يجري في غزة موقف بائس ومُدان؛ وهو مسؤول عن بؤسه وهزاله! مع وجود عوامل أخرى ساعدت على بلوغه هذا المستوى المنخفض!

إن ما يجري في غزة من "محرقة" ما هو إلا جولة ومحطة من محطات الصراع بين الحق والباطل، هذا الصراع الذي هو التفسير الحقيقي لحركة التاريخ البشري، وليس ما يروجه الماديون من أن صراع الطبقات أو سواه هو محرك التاريخ! وهذا الصراع بين الحق والباطل ممتد من بداية تاريخ البشرية، وسيظل ما دامت البشرية تسكن الأرض؛ حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتتنوع مجالات ودوافع هذا الصراع بين الحق والباطل؛ من بين صراع بين الشيطان والإنسان، أو صراع بين بني الإنسان، وتارة يكون الحسد دافعه؛ كفعل أحد ابني آدم، أو يكون دافعه الكبر والطغیان؛ كحال مخالف الرسل والأنبياء في سائر الأمم، أو يكون دافعه وسوسة الشيطان وتزيينه لبعض أوليائه من أنهم فوق البشر وأفضل منهم؛ كصنيع اليهود أو النازيين والعنصريين.

و"محرقة" غزة التي نعيشها اليوم هي نموذج لهذا الصراع بين الحق المتمثل في أهلها الذين ما عرفوا وطنًا سواه، ولا يطالبون سوى بحقوقهم في العيش الكريم على ربّاهما، وبين الباطل المتمثل في كيان غريب تسلل بدعم من المحتل، ولم يترك وسيلة قذرة إلا مارسها؛ ليقدم له وجودًا على أرض لا يربطه بها سوى أساطير شيطانية! نتجت من تحريف وتزوير لرسالة نبوية كريمة!!

إن فهم حقيقة الصراع بين الحق والباطل على أرض فلسطين هو الخطوة الأولى لنصرة الحق، ولذلك من الخطورة بمكان ما يقوم به بعض الناس من محاولة تبرئة العقيدة اليهودية من أي دور في الصراع والاعتداء على فلسطين وأهلها؛ برفع شعارات براقة ومصطلحات مزخرفة مثل: "اليهود جماعة وظيفية".

فإن هذا الفهم هو فهم قاصر؛ إن لم يكن فهمًا مضللًا عمدًا وقصدًا!!

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/٦/٢٠١٤).

والخطوة الثانية في طريق نصره الحق هي: التعامل الصحيح مع الصراع بين الحق والباطل؛ باتباع الحق وعدم الاعتداء، حتى مع الباطل نفسه؛ كما في وصية أبي بكر الصديق - خليفة رسول الله ﷺ - لجنده: "لا تغرقن نخلاً، ولا تحرقنها، ولا تعقروا بهيمة ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له".

والصراع بين الحق والباطل نتيجته محسومة: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ولكن هذا مُقَيَّدٌ بمجيء الحق بالحق، فكم من حقوق ضاعت بسبب أن أصحابها ما قاموا بما يجب من الحق فيها؛ إما بتقصير أصلاً بالمطالبة بالحق، أو خلل في طريقة التوصل للحق؛ إما بالتهاون والتفريط - كحال بعض الأنظمة اليوم -، أو التهور والاندفاع - كحال بعض فصائل المقاومة -.

وكثيراً ما تضيع الحقوق بسبب عدم التعلم من دروس وعبر وتجارب الصراع السابقة بين الحق والباطل، فساحة الصراع بين الحق والباطل اليوم لا تنحصر بغزة بل لعلها تشمل كافة مناطق المسلمين؛ إما بالاحتلال والغزو المباشر؛ كفلسطين والعراق والشيشان والصومال وغيرها من الجروح النازقة، أو بالبور الملتهبة من ظلم شركاء الوطن مسلمين كانوا أو غير مسلمين؛ كحال سنة إيران أو الأكراد أو أهل باكستان وتونس وتايلند والصين وأمثالهم كثير، أو عبر صراع الأفكار والمبادئ الذي يستهدف قيم وعقيدة التوحيد الإسلامية في غالب بلاد المسلمين، والذي يقوده اليساريون المتلفعون برايات رأسمالية للتمويه!!

ومما يلفت النظر في الصراع بين الحق والباطل في غزة اليوم: أن أهل الحق منقسمون على أنفسهم! وهذا سبب مهم في عدم حصول المطلوب من نصره الحق؛ كما أن وجود فرق بين الشعارات والهتافات التي تحبها وتصدقها الجماهير وبين ممارسات القيادة العملية؛ حيث تتسم بعقلانية وحكمة أكبر من الشعارات والهتافات، مما يجعل الفجوة بين مطالب الجماهير والواقع تتسع؛ كما تتسع فجوة الخلاف بين الجماهير وقادة الطرف الآخر، رغم أن سياسات قادة الطرفين - بعيداً عن المهرجانات الخطائية - لا تختلف كثيراً في الحقيقة؛ وإن اختلفت الجهات التي تكسب منها!!

إن المساحة المسكوت عنها في ممارسة طرفي الحق من العقلانية وعدم التهور والهدنة غير المعلنة من فصائل المقاومة من جهة، والتحركات العملية - وحتى العسكرية - لقوى السلام والتفاوض؛ يجب أن تكون هي القاسم المشترك الذي تجتمع عليه جبهة الحق في صراعها مع الباطل في غزة. إن إراقة الدماء هي الطريق للنصر، لكن الجريمة الكبرى هي: تضييع هذه الدماء عن أن تعبد طريق نصره الحق لتعبر طريق نصره الذات؛ مهما تغطت بشعارات براقة وجذابة!

النصرة الحقيقية لدماء غزة هي: سلوك الطريق القويم؛ من عدم تضييع الحقوق بالتخاذل أو التهور، ولنشق لنا طريقاً آخر يجمع نقاط الخير والصدق عند كل أطراف مركب الحق - مع وجود عناصر فاسدة لا يرجى منها فائدة هنا أو هناك - .



غزة.. الفاضحة والمبشرة^(١)

العدوان الإسرائيلي الجديد على غزة في (رمضان ١٤٣٥ هـ) هو: جريمة وحشية جديدة! تضاف لسجل اليهود والإسرائيليين المعاصرين، هؤلاء الوحوش الذين يجسدون في كل يوم أبشع الأكاذيب التي حرّفوها في التوراة، وحولوه من كتاب إلهي لهداية البشر إلى وصفات إجرامية عنصرية! ويقود ذلك زعماءهم السياسيون العنصريون وحاخاماتهم وأحزابهم الدينية المتطرفة والإرهابية.

فالجريمة الوحشية والغادرة بحق الفتى المقدسي محمد أبو خضير؛ والذي أرغم على شرب البنزين، ثم صب عليه وأحرق حياً! ومن المشاركين بهذه الجريمة: أحد حاخاماتهم، بينما حاخام مستوطنة «كريات أربع» في مدينة الخليل دوف ليئور؛ والذي يعد واحداً من أهم حاخامات الصهيونية الدينية في إسرائيل؛ فقد أرسل فتوى إلى وزير الحرب الإسرائيلي تحث وتبيح لجيش الاحتلال قتل المدنيين الفلسطينيين، وتفجير المناطق المأهولة بالسكان في قطاع غزة، وتهجيرهم، كما تبيح الفتوى منع الإمدادات والمؤن والكهرباء عن غزة كلها، وحذر الحاخام من أي نزعة رحمة تجاه الفلسطينيين.

وهذا تجسيد لحقيقة العداء اليهودي لكل البشرية؛ بناء على عقائدهم الدينية العنصرية، والتي تجعل من الناس بهائم خلقت لخدمتهم، وأنهم هم شعب الله المختار، وقد بلغ من عدوان اليهود أنهم يكذبون الأنبياء ويقتلونهم؛ كما قال ﷺ: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ [آل عمران: ٢١]، وقال ﷺ: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠].

ولذلك؛ لا نتوقع من اليهود إلا العدوان والغدر والخسة، ولن يجدي معهم إلا القوة والجهاد، وعندها تنزل الرحمة عليهم؛ لأن المسلمين سيمنعونهم من أذية أنفسهم بأذية الناس، ولأن المسلمين لن يعاملوهم بالظلم برغم جرائمهم.

(١) صحيفة "الغد"، (٢٠١٤/٨/٢).

فالتاريخ يشهد أن المسلمين حين انتصروا على اليهود بعد غدرهم المتكرر لم يعاقبوا إلا المجرمين منهم، ورحموا الصغار والنساء والأطفال، ولم يكن لليهود مكان آمن في العالم إلا في بلاد المسلمين.

والتاريخ يشهد أن كل كوارث اليهود - بسبب جرائمهم وخسة طباعهم - حدثت لهم مراراً من غير المسلمين في القديم والحديث، أليست كنائس وملوك أوروبا هم الذين نصبوا لهم محاكم التفتيش، أو قياصرة روسيا، أو هتلر - زعيم ألمانيا - الذي طاردهم ونكل بهم!! وهذا العدوان الإسرائيلي الوحشي الذي لا يحترم قانوناً دولياً أو عرفاً في العلاقات الدولية! حيث تقصف مناطق المدنيين، ومدارس الأوروا، وطواقم الإسعاف والدفاع المدني، دون اعتبار لأحد! وهذا كله فضح الكثيرين في الداخل والخارج. فالدول الدول العربية؛ أحسنهم حالاً ساهم في علاج المصابين فقط، أما أن يكون هناك موقف جاد لوقف العدوان فهذا لا يبدو في أجندتهم!

أما قيادة مصر؛ فلا تزال تواصل الحصار الظالم لغزة، ولا تجد من العرب من يقول لها: كفى!! والغرب (المتحضر) - وخاصة أمريكا - يجلب لنفسه المزيد من العداء الشعبي العربي، وتأجيج نوازع الإرهاب تجاهه؛ خاصة مع تزويده لإسرائيل بالسلاح، بينما يزود العرب بأرباع وأثلاث تصريجات باردة وسمجة!

أما محور الممانعة والمقاومة المزيّف! بقيادة إيران وأذناها؛ والذي للمرة الثانية يقف متفرجاً على قصف غزة، كما سبق أن تفرج محور الممانعة على صواريخ إسرائيل تدك دمشق مراراً دون أن يرف لهم جفن! في حين أن محور الممانعة لا يكل ولا يمل من قتل الشعب السوري بالأسلحة الكيماوية والبراميل المتفجرة طيلة ثلاث سنوات! فكيف يظن عاقل أن هؤلاء سينصرون غزة من صواريخ وعدوان إسرائيل؟

إن غزة تؤكد من جديد فضح هؤلاء الطائفيين الذين لم يتفرجوا على قصف غزة مرتين فقط، بل ولغت أيديهم مراراً في الدم الفلسطيني في تل الزعتر والمخيمات الفلسطينية اللبنانية، وفي مخيم اليرموك بدمشق، وفي حي البلديات في بغداد، والسبب: أنهم فلسطينيون سُنّة فحسب! أما الخلافة المزعومة من قبل خوارج العصر؛ فقد فضحتهم غزة، وأظهرت حقيقتها لبعض المخدوعين من العاطفيين والمندفعين وراء كل شعار براق! فقد صدم الصادقون من هؤلاء حين

رأوا أنصار الخلافة يصرحون أن حرب حماس مقدمة على حرب اليهود، وأن توصيف أتباع داعش للعدوان على غزة بأنه صراع بين كفار ومرتدين!!
وهناك فريق آخر من العلمانيين ينادي بالاستسلام لليهود، وعدم التفكير في مقاومتهم، بحجة الضعف وميل موازين القوى، وهذا المنطق هو ما يسعد الطغاة، وما يجعل الظلم والعدوان يترسخان ويتوسعان بلا خوف.

إذا كانت غزة قد فضحت هؤلاء وغيرهم؛ فإن غزة -أيضاً- تقدم للأمة بشارة عظيمة بمستقبل زاهر، يحمل في طياته الكرامة والعزة، وإعلاء كلمة الحق في خطوة أو خطوات؛ لتحقيق الوعد النبوي بعلو الإسلام على كل الأرض، يحكم القرآن والسنة الأرض، فيتحقق العدل والرحمة في دنيا الناس؛ كما عاشت البشرية من قبل في ظل الإسلام.

وإذا كانت هزيمة العرب عام (١٩٦٧) قد فجرت ظهور الصحوة الإسلامية؛ والتي عمت أقطار الأرض، ورأينا من بركاتها وخيراتها الكثير الكثير، فإن صمود أهل غزة وفلسطين والشام والعراق في وجه العدوان والطغاة؛ سيفجر -إن شاء الله- نصراً وتمكيناً وفتحاً مبيناً.

فتلك الصحوة قدمت للمسلمين الكثير الكثير من الإنجازات العظيمة، ومنها:

■ النهضة العلمية الشرعية المستندة للكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، بعدما تفشى الجهل، وأظلمت المساجد من دروس العلم، وشاعت الخرافة والشرك في أوساط المسلمين.
■ الإقبال الواسع من الشباب والشابات على التزام العقيدة والشريعة الإسلامية، بعدما راجت الأفكار الإلحادية والماركسية والعلمانية.

■ التجربة الماليزية على يد مهاتير محمد؛ التي بدلت من حالها ورفعت من شأنها.

■ التجربة التركية بقيادة أردوغان؛ حيث أعاد لتركيا شيئاً من أمجادها العثمانية.

■ ثورات الربيع العربي السلمية؛ التي دكت أركان الطغيان، وأثبتت حيوية الأمة وبقظتها.

■ صمود غزة، بل إبهارها العالم في حسن إدارة مواردها الشحيحة لبناء قوة ردع وهجوم، ضد جيش من أعتى الجيوش؛ فضلاً عن بناء الشخصية الغزاوية بناءً تتحطم عليه عنجهية العدوان الإسرائيلي.

ولكن هذا لا يعني: عدم وجود ثغرات وأخطاء في مسيرة الصحوة الإسلامية، وقد كشفتها غزة، ومنها:

● انخداع بعض الجماعات الإسلامية بالثورة الخمينية وشعارات التقريب، وتهوينها من الضلالات العقديّة في أفكار الشيعة والطائفية والدموية في سياساتهم وأطماعهم! وقد فضحتهم غزة، ومن قبلها الثورة السورية والعراقية.

● عدم الجهر والعلانية من بعض العلماء والجماعات في صد الغلو بكل أشكاله ومستوياته، بحجة أنهم في معركة مع الكفار أو الأنظمة الجاهلية، حتى ابتلينا بداعش وأخواتها؛ والذين لم يسلم من شرهم أحد قريب أو بعيد!

● التسامح مع نابتة تتغذى بالعلم والمنهج السلفي، أجندها تنحصر بافتعال خلافات وصراعات في الوسط الإسلامي بكافة مستوياته، والدفاع بالحق والباطل عن الأنظمة الحاكمة، بشرط ألا يكون النظام إسلامياً!

هذه أخطاء وثرغرات وقعت فيها الصحوة الإسلامية في المرحلة الماضية، واليوم عليها تصحيح هذه الأخطاء، وعليها الاهتمام بقضايا جديدة وهامة؛ حتى نستثمر بشارة غزة للمستقبل، ومنها:

■ لا خلاف على وجود سياسة فاعلة تعمل على تجريف الوعي عند الجيل الصاعد تعليمياً وتربوياً وإعلامياً، ولذلك على الصحوة الإسلامية اليوم وضع وتفعيل إستراتيجية لبث الوعي وترسيخه وتنميته في الناس، يعوّض الفراغ الحاصل في الواقع؛ والذي يفرز العنف الجامعي، ومظاهر الاستهلاك؛ التي تستنزف اقتصاد الأسرة والدولة في كماليات ومواد مدمرة؛ كالمخدرات.

■ يجب التركيز أكثر على توسيع دائرة الاتفاق بين فصائل العمل الإسلامي ومختلف الجهات الأخرى الرسمية والمعارضة، بشرط أن يكون الاتفاق على نقطة مُحقة بذاتها، فالاتفاق لمجرد الاتفاق ما عاد مجدي! ورفض نقطة حق جزئية لرفضنا الجهة التي تتبناها -أيضاً- مسلك غير مقبول.

■ تجديد دماء قادة العمل الإسلامي بكفاءات أصبح أكثر من ضرورة، وهو البوابة للحصول على نتائج أكثر إيجابية للجهود الضخمة التي تبذلها الصحوة، والتي تضيق بسبب تكلس فكر وحركة كثير من القيادات الإسلامية، إما لجهل وضعف المواكبة العلمية، أو بسبب تقدم السن وضعف حركة البدن والعقل.

وأخيرًا؛ غزة انتصرت حتى لو نجحوا في تفريغ شروط المقاومة لوقف القتال، وهي الحقيقة التي يجب أن نطلق منها للمستقبل المشرق - يا ذن الله ﷻ .





**كيف نساهم في نصرة
فلسطين والقدس؟**

هكذا عاد الأقصى، وهكذا يعود^(١)

نشهد هذه الأيام تجدد الحملة اليهودية على اقتحام الأقصى واحتلاله من قبل جماعات دينية، في تطبيق عملي للمخططات المعلنة منذ سنوات؛ والتي منها: وثيقة يهودية نشرت بعنوان: "المخطط اليهودي لإقامة الهيكل وتهويد القدس"، في (٥٠) صفحة ملونة، تحتوي على الصور الافتراضية لمستقبل القدس والمخططات الإدارية والهندسية لهذا المشروع.

وكان فضل الكشف عنها لمؤسسة الأقصى؛ التي يديرها الشيخ رائد صلاح، ونشرت من قبل مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية في سنة (٢٠٠٨).

ولولا الثقة بالله ﷻ وبوعده للمؤمنين بعودة الأقصى لقطعنا الرجاء من عودته! لما نراه من تفريط الحكام والشعوب بحق الأقصى، ولولا هذا التفريط لما استغل اليهود هذه الفترة الحرجة لتنفيذ مخططاتهم بتقسيم الأقصى تمهيداً لابتلاعه؛ كما بلعوا فلسطين والقدس ومن قبلها.

ولذلك عودة الأقصى هي قضية محسومة بالنسبة للمسلمين، لكن التساؤل هو: هل سيكون لنا شرف المشاركة في هذه العودة؟ هل سنشهد هذا في حياتنا؟ أم سيكون ذلك من نصيب أبنائنا وأحفادنا؟

والذي يدعو لهذا التساؤل ما نراه من طاقات وأموال وأوقات عظيمة وكبيرة تصرف من ملايين الشباب العربي والمسلم في برامج المواهب التافهة!! فهل يمثل هذه المواهب سنستعيد الأقصى؟ وهل يمثل هؤلاء الشباب قامت إسرائيل؟ ألم تقم إسرائيل على أكتاف شباب لقبوا بـ "الصبار" وبالعبرية "تسباريت"، على اعتبار أنهم -كثمرة الصبار- لذيذو الطعم من الداخل، ولكنهم شائكون وخشون من الخارج، بهدف ودافع: "حماية أنفسنا من أعدائنا، أعدائنا العرب".

فهل شبابنا اليوم يصلحون للمنافسة الخشنة بهذه المواهب المائعة؟ ومن هنا؛ فإن الظن بأن عودة الأقصى سهلة ميسورة ضرب من الوهم والخيال! والاعتقاد بأن مجموعة من الأمة يمكنها بمفردها تحقيق هذه الغاية الكبرى وهم كبير!! ولنا في تجربة أسر الأقصى زمن الصليبيين عظة وعبرة، يقول الأستاذ وليد نويهض، في كتابه «صلاح الدين الأيوبي، سقوط

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/٦/٢٠١٤).

القدس وتحريرها، قراءة معاصرة»: "لم تأتِ -إذن- انتصارات صلاح الدين من فراغ، ولم تكن النتائج العسكرية التي حققها من دون مقدمات سياسية وتنظيمية وإدارية وإصلاحية وإحيائية، امتدت على أكثر من قرن إلى أن بدأ قطف ثمارها في عهدي عماد الدين زنكي ونور الدين محمود زنكي؛ الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للتحويلات الكبرى التي شهدتها بلاد الشام ثم مصر".

ويقول: "فالتحويلات الكبرى التي شهدتها المنطقة في نهاية القرن السادس الهجري سبقتها حركات إصلاحية، تمثلت في مسألتين: إحياء علوم الدين، واسترداد الدولة (الخلافة العباسية) مواقعها، ونتج عن المسألتين والجهود التأسيسية التي قام بها الجيل الإصلاحى الأول من العلماء والفقهاء: إطلاق حركة سياسية-دينية، رغم حالات الإرباك والإحباط التي واجهته لحظة بدء حملات الفرنجة الأولى، فبين مرحلة التأسيس (٤٦٠هـ) وإلغاء الدولة الفاطمية في مصر وإعادة توحيد مصر والشام (٥٦٧هـ) أكثر من قرن، شهدت خلاله المنطقة حالات من الصعود والهبوط والهجوم المضاد، إلى أن أخذت تستقر الأمور في مطلع القرن الهجري السادس.

فالجيل الأول أسس لظهور الجيل الثاني (ولد نور الدين محمود ٥١١هـ)، ومهد الجيل الثاني طريق تحرير القدس للجيل الثالث (ولد صلاح الدين ٥٣٢هـ)، واحتاجت الحركة الإصلاحية الإحيائية مئة سنة لثمر النتائج السياسية التي أدت إليها، وتصدهجمات الإفرنج وتبدأ بهزيمتهم". وهذا الجهد الإصلاحى قام على عماد نشر العلم في المجتمع، وتولية أصحاب الكفاءة في المناصب، وذلك بفضل سياسة الوزير السلجوقى نظام الملك؛ حيث أنشأ المدارس، وجعل للطلبة مرتبات، وعرفت هذه المدارس بالمدارس النظامية عام (٤٥٩هـ).

ودرس بها كبار العلماء في ذلك العصر، وألفوا كثيراً من الكتب التي عالجت أمراض المسلمين في زمانهم مثل: «أدب الدنيا والدين» للإمام الماوردي، وله كتاب «الأحكام السلطانية»، وألف الجويني «غيث الأمم في التياث الظلم»، وكان لهذه الكتب والمدارس دور كبير في إخراج المسلمين من الجهل والبعد عن الدين والفرقة والوقوع في شبهات الفرق الضالة الباطنية، ولذلك قامت الفرقة الباطنية (الحشاشون) باغتياله عام (٤٨٥هـ).

وأصبح طلبة المدارس النظامية هم قادة المقاومة للصليبيين على الصعيد الداخلى بتقوية الأمة، ونشر العلم، وإصلاح الدولة وضبط مسارها والعمل على تقويتها، وعلى الصعيد الخارجى بقيادة الجيوش والبعوث.

ولذلك من الخطأ الاعتقاد أن مآثر صلاح الدين انحصرت في الجانب العسكري فحسب، أو أن سياسته قامت فقط على الحرب، أو أن بناء جيش قوي كفيل لوحده بإرجاع الأقصى اليوم! إن مثل هذه النظرة الطائشة تعد جزءاً من المشكلة التي تطيل في عمر ضياع الأقصى اليوم.

بل لقد شمل جهد صلاح الدين ومن قبله من القادة كنور الدين زنكي وعماد الدين زنكي ما يلي:

أ- مواصلة مسيرة الوزير المخلص نظام الملك في بناء المدارس، ورعاية العلماء وطلبة العلم، ونشر حلقات التدريس؛ لبناء جيل جديد يتحمل أعباء الجهاد ومشاقه، ومحاربة الأفكار الضالة والبدع والخرافات في حياة المسلمين (الإصلاح التربوي والتعليمي).

ب- بناء المساجد والحصون والأسوار، وعمارة الأوقاف، ورعاية الأيتام والفقراء (العدالة الاجتماعية).

ج- دعم القضاء وزيادة سلطانه، وعدم التعدي عليه من قبل الأمراء والقادة (الإصلاح القضائي).

د- الاهتمام بالناحية الاقتصادية؛ فأزالوا الضرائب والتزموا الشرع فيها، فأخرج التجار أموالهم، وازدهرت الحياة، واهتموا بإعمار المدن، وصرفوا عليها الملايين، وتركوا حياة الترف، وأقاموا الفنادق وخزانات الماء والجسور (الإصلاح الاقتصادي).

هـ- اهتموا بالصناعات الحربية ودعمها، ومن ذلك: إنشاء ديوان للأسطول البحري، ودور لصناعة السفن في ثلاث مدن هي: القاهرة، الإسكندرية، دمياط (الإصلاح العسكري).

و- توحيد الأمة والقضاء على الطائفية البغيضة والحركات الباطنية؛ لما كان لها من أثر سيئ بتفتيت طاقات الأمة، والتعاون مع الأعداء.

ز- الاهتمام بإخراج القيادات ذات الكفاءة والإخلاص، ومنها - للفائدة - القائد الأمير بهاء الدين قراقوش؛ الذي كان عالماً فقيهاً؛ فقد كان والي صلاح الدين على عكا، وكانت له مآثر عظيمة منها: أنه بنى سور القاهرة وقلعة الجبل فيها، وكان له جهود مشكورة في القضاء على الدولة الفاطمية.

ولذلك كان الشيعة وراء الإشاعات والأكاذيب عليه، وألّفوا فيه كتاب «الفاشوش في أحكام قراقوش».

ح- وكان من أهم الجهود في استعادة بيت المقدس: إعداد أبناء النازحين من بيت المقدس للجهاد؛ فكانت توفر لهم الإقامة والتعليم، ثم يعودون إلى الثغور والمرابطة، وكانوا يعرفون باسم: "المقادسة".

وعليه؛ فإن العمل لنصرة الأقصى عمل ضخم، يجب أن تتضافر فيه كل الجهود الشعبية والحكومية، ويجب على العقلاء من الطرفين تنمية وتبني أي مبادرة إيجابية تصب في هذه الغاية الشريفة، فنحن بحاجة الفرد والأسرة والموظف والعامل والمسؤول الصادق في انتهائه لنصرة الأقصى.

والموفق من كان جزءاً من هذا الجهد الضخم والكبير بأي مستوى كان؛ بنشر الوعي والدعوة، أو العمل والتضحية، والمساهمة في نهضة الأمة وإصلاحها، فالأقصى فقدناه لضعفنا دينياً ودينيّاً، ولن نسترده ما لم نكن أقوىاء في الدين والدنيا، و«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله...».



كيف نخدم القدس والأقصى؟^(١)

تعرض القدس والمسجد الأقصى لموجة جديدة من الإرهاب اليهودي الذي يعمل على تغيير هوية القدس والمسجد الأقصى وجعلها هوية يهودية؛ ضمن إستراتيجية إسرائيل بإعلان دولة يهودية صرفة!

وإسرائيل والمجموعات الإرهابية اليهودية تعتمد في عدوانها على فتاوى يهودية تحث الجيش الإسرائيلي على ممارسة أقصى أنواع القتل بحق الفلسطينيين، ولم تستثن حتى الأطفال والنساء وكبار السن! وقد صدرت هذه الفتاوى من كبار الحاخامات والمرجعيات اليهودية، وبعضهم يمثل جهات رسمية؛ كما هو حال "الحاخامية الكبرى بالجيش الإسرائيلي"، هذه الفتاوى المناقضة لروح الأديان السماوية القائمة على الرحمة والعدل والصفح!

ونحن المسلمين نعتقد اعتقاداً جازماً أن الديانة اليهودية الحق (وهي رسالة موسى ﷺ) بريئة تماماً من هذا الظلم والطغيان، وإنما هذا الطغيان هو من صنع الظالمين من بني إسرائيل الذين قتلوا الأنبياء، وحرفوا التوراة، وحاولوا قتل المسيح ﷺ؛ فحماه الله منهم ورفعهم إليه.

ويمكن تسجيل ملاحظتين حول هذه الفتاوى:

الملاحظة الأولى: أن هذه الفتاوى لم تلقَ ما تستحقه من استنكار ورفض من الحكومة الإسرائيلية، ولا من المجتمع الدولي، ولا من المؤسسات الحقوقية العالمية؛ برغم أنها تُشَرِّعُ القتل الظالم والبشع لجيش معتدٍ ذي تاريخ مُعَمَّن في ارتكاب الجرائم.

الملاحظة الثانية: أن الفكر الإرهابي اليهودي يصدر حتى من جهات رسمية، ويحظى بدعم ورعاية حكومية، وعدد ضحاياه يفوق بأضعاف كثيرة جداً ضحاياه غيره من أشكال الإرهاب، فلماذا يتم فقط التركيز على الإرهاب المنسوب لجماعات إسلامية؟!؟!!

إن فهم حقيقة الصراع بين الحق والباطل على أرض فلسطين هو الخطوة الأولى لنصرة الحق، ولذلك من الخطورة بمكان ما يقوم به بعض الناس من محاولة تبرئة العقيدة اليهودية من أي دور في

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/٦/٢٠١٤).

الصراع والاعتداء على فلسطين وأهلها؛ برفع شعارات براقة ومصطلحات مزخرفة مثل: "اليهود جماعة وظيفية".

فإن هذا الفهم هو فهم قاصر؛ إن لم يكن فهمًا مضللًا عمدًا وقصدًا!!

والخطوة الثانية في طريق نصره الحق هي: التعامل الصحيح مع الصراع بين الحق والباطل؛ باتباع الحق وعدم الاعتداء حتى مع الباطل نفسه؛ كما في وصية أبي بكر الصديق - خليفة رسول الله ﷺ - لجنده: "لا تغرقن نخلاً، ولا تحرقنها، ولا تعقروا بهيمة ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له".

ومما يلفت النظر في الصراع بين الحق والباطل في القدس: أننا - أهل نصره القدس والأقصى - منقسمون على أنفسنا، في وقتٍ نحن في أمس الحاجة فيه للوحدة، كما أن وجود فجوة واسعة بين الشعارات والاهتافات التي تحبها وتصفق لها الجماهير وبين ممارسات القيادات جعل منها ثغرة يدخل منها العدو الإسرائيلي لزرع الانقسام بين صفوفنا وإشغالنا بأنفسنا وذواتنا، بدلاً من أن نشغل بعدوانه وإرهابه.

إن نصره القدس كما أنها لا تقوم إلا على الوحدة والتكاتف بين الجماهير والقيادات؛ فإنها - أيضاً - لا تتم في زمن قصير، وهي تحتاج لسياسة واعية وسديدة، وتمتلك النفس الطويل، وهذا الصبر هو الذي مكّن أجدادنا من فتح بيت المقدس على يد الفاروق عمر رضي الله عنه أول مرة، واسترداده مرة ثانية على يد البطل صلاح الدين من الصليبيين.

يقول الأستاذ وليد نويهض: "لم تأت - إذن - انتصارات صلاح الدين من فراغ، ولم تكن النتائج العسكرية التي حققها من دون مقدمات سياسية وتنظيمية وإدارية وإصلاحية وإحيائية، امتدت على أكثر من قرن إلى أن بدأ قطف ثمارها في عهدي عماد الدين زنكي ونور الدين محمود زنكي؛ الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للتحويلات الكبرى التي شهدتها بلاد الشام ثم مصر"^(١).

وهذه الإستراتيجية الطويلة في نصره القدس والدفاع عن الأقصى ليس عمادها السلاح رغم أهميته، بل عمادها الحقيقي بناء المجتمع الإسلامي القوي بدينه وأخلاقه وعلمه وعمله، ويكفي في

(١) وليد نويهض، «صلاح الدين الأيوبي.. سقوط القدس وتحريرها: قراءة معاصرة»، (ص ٧٤ و٧٨).

إثبات هذا: اعتراف البطل صلاح الدين حين أعلن لجنوده: "لا تظنوا أني فتحتُ البلاد بالسيوف! إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل"، ويقصد: القاضي الفاضل عبد الرحيم اليبساني العسقلاني؛ الذي قاد عملية بناء المجتمع ونشر الدين والعلم والأخلاق فيه، فكان للمسلمين جيشًا يمكنه هزيمة الصليبيين.

وإن ما تعانيه اليوم مجتمعاتنا من تدهور قيمي وتراجع أخلاقي وانفلات إعلامي هابط هو من أشد أسلحة إسرائيل في عدوانها على القدس والأقصى، ومقاومة هذا الانحلال الأخلاقي والقيمي هي الخطوة الأولى في سبيل حماية القدس والأقصى، وإلا هل تجرأ قطعان المستوطنين واليهود على تدنيس الأقصى لولا اطمئنانهم إلى أن مظاهرات الشباب لا تخرج اليوم في العواصم العربية إلا بسبب مسابقات سوبر ستار وكأس العالم!!

إن مراجعة تدهور سياسات التعليم والتربية والأخلاق هي حاجة ماسة، وإن دعم صمود الأهل في القدس والأقصى بإجراءات سريعة سياسية ومالية ومعنوية أولوية قصوى، ويجب الترفع الآن عن أي انقسامات أو خلافات في سبيل صد العدوان الإسرائيلي واليهودي.



تحرير الأقصى بالوحدة على كلمة التوحيد^(١)

لا تجد الداعشية اليهودية الوحشية تقتل الأبرياء في فلسطين والقدس بحرقهم في بيوتهم أحياء - كبارًا وصغارًا-، وعبر إعدامات ميدانية تحت أنظار العالم كله أيّ استنكار! ولا تلقى حوادث التشفي بتصفية دماء المصابين من الفلسطينيين من قبل طواقم الإسعاف والأمن اليهودي أيّ استنكار! ولا يكثر المجتمع الدولي لسيل القوانين والإجراءات العنصرية تجاه الفلسطينيين المقاومين للاحتلال؛ والتي تبيح لجيش اليهود وشرطته مواجهة الحجز برصاصة، في الوقت الذي يستنكر فيه مواجهة المتظاهرين بالماء في أماكن أخرى!!

وكل هذه الجرائم اليهودية الداعشية تتم بمباركة الحاخامات وفتاواهم، دون نكير أو اتهام بالإرهاب والعنف والتطرف، فهو فقط حُكْر على فتاوى علماء المسلمين التي تدين الاحتلال والعدوان؛ يهوديًا كان أو روسيًا!!

وهذه الممارسات العالمية تجاه قضية فلسطين والأقصى وبقية قضايا المسلمين لن تزيد المسلمين إلا إصراراً على الثبات والمقاومة والجهاد ضد المعتدين والغزاة، متوكلين على الله ﷻ وحده. إن تاريخ الصراع بين المسلمين والصليبيين الإفرنج واليهود على الأقصى يؤكد أن المسلمين لا يخسرون الأقصى إلا عند تقصيرهم تجاه دينهم وشريعتهم، وتفريطهم بوحدهم وائتلافهم، وتفريقهم وتنازعهم.

بل إن التنازع والتفريق كان حال العرب والمسلمين قبل بعثة النبي ﷺ؛ فقد كانت العرب في الجاهلية متنازعة متفرقة متشتتة، ولذلك تلاعب الفرس والروم ببعض قبائل المناذرة والغساسنة، وجعلوها أداة لهم في تحقيق مصالحهم وأغراضهم.

فأرسل الله ﷻ عبده ونبيه محمدًا ﷺ، فدعا قومه العرب إلى توحيد الله ﷻ؛ فتوحدت كلمتهم، واجتمع شملهم، وحسنت أحوالهم، وصلحت أخلاقهم، وعلت رأيهم؛ فنشرت الحق والنور، وأنجدت الضعيف والمظلوم، وكسرت الباغية والجاني، فعمّ ضياء القرآن الأرجاء، وخيم العدل والرحمة على البؤساء، فاخضرت الربوع، وبوركت الأقوات، وزال عنها الفقر والجوع؛

(١) صحيفة "الغد"، (١٦/١٠/٢٠١٥).

ولذلك انتشر الإسلام في الأرض انتشار النار في الهشيم، وتهدمت دولة الطغاة، وقامت دولة الإيمان.

وقد بيّن هذا رسول الله ﷺ في حديثه مع الأنصار بعد غزوة حنين؛ فقال لهم: «ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فجمعكم الله بي؟»^(١).

فلما اجتمع العرب على التصديق بنبوّة محمد ﷺ وأتباع شريعته وسنته؛ دانت لهم الجزيرة العربية، ثم هزموا إمبراطورية الظلم والعدوان في فارس والروم، وفتح الفاروق عمر ابن الخطاب بيت المقدس، وعمّ الإيمان والعدل والرحمة والخير بلاد المسلمين وبيت المقدس، حتى بدل المسلمون حالهم مع أحكام الشريعة، وتنازعوا وتفرقوا واختلفوا؛ فظهرت الفرق المنحرفة والمبتدعة، وأصبح لها شوكة وقوة عسكرية، فدب الفساد في بلاد الشام، مما سهل للغزاة من الصليبيين الإفرنج احتلال بيت المقدس لأول مرة سنة (٤٩٢هـ-١٠٩٨م).

حول مقدمات احتلال بيت المقدس يقول خليل عثمانة في كتابه «فلسطين في خمسة قرون» (ص ٢٨٧): "تعرضت فلسطين لغارات القرامطة المتتالية من جهة، وعرفت غارات مماثلة من قبل بني الجراح الطائيين من جهة أخرى، وفي خضم هذه الغارات الموسمية المدمرة جاء الاجتياح الفاطمي الشيعي... قبل أن تسقط فلسطين نهائياً في أيدي الغزاة الأوروبيين".

وبقيت فلسطين وبيت المقدس والمسجد الأقصى محتلة ضائعة مدة (٩١) سنة، حتى أثمرت جهود قادة كثر، مثل: الأمير مودود وعماد الدين زنكي، ثم ولده نور الدين زنكي، ثم أكمل المسيرة صلاح الدين، ولم تقتصر جهود هؤلاء العظماء على العمل العسكري، بل كان العمل التعليمي والديني والعمرائي هو الأساس الذي قام عليه جهدهم العسكري - لاحقاً -.

فبُنش المدارس، وعودة التدين الصحيح بين الناس، والقضاء على الفتن والفرق والطوائف المبتدعة؛ حصلت الوحدة الشعبية، ورافقتها توحيد المدن والدول في محور واحد تحت راية الخلافة العباسية، وعندها نجحت جيوش المسلمين في استعادة بيت المقدس.

وبقي بيت المقدس والمسجد الأقصى في حوزة المسلمين حوالي (٤٠) سنة، حتى دبّ الخلاف والتنازع بين أبناء صلاح الدين؛ فتفرقت بلاد الشام التي تعب في توحيدها نور الدين زنكي

(١) حديث متفق عليه.

وصلاح الدين، ثم انفصلت مصر عن الشام، في هدمٍ لكل مجهود توحيد الأمة الذي قام به القادة العظام!

وفي سنة (٦٢٦هـ-١٢٢٩م) وبعد خلافات بين الأمراء الأيوبيين سلّم الملك الكامل -ابن شقيق صلاح الدين- بيت المقدس للإفرنج بمعاودة لمدة (١٠) سنوات، يبقى المسلمون فيها ولهم المسجد الأقصى، وكان هذا ثاني احتلال صليبي لبيت المقدس. وبعد (١٠) سنوات حاول الإفرنج نقض الهدنة بإعادة إعمار قلعة في القدس، وجعلوا برج داود أحد أبراجها، وإعادة تحصين أسوارها، فتوجه الملك الناصر داود إلى بيت المقدس وحاصر القلعة، حتى نفذت مؤونتهم؛ فاستسلموا، وحرّر بيت المقدس سنة (٦٣٧هـ-١٢٣٩م)، للمرة الثانية.

ولكن للمرة الثالثة دبّ الصراع بين الأمراء الأيوبيين، فاستعان الصالح إسماعيل ومن معه من الأمراء بالإفرنج، واتفق معهم على تسليمهم بيت المقدس، وفعلاً بعد (٤) سنوات من التحرير الثاني عاد الإفرنج لبيت المقدس سنة (٦٤١هـ-١٢٤٣م) للمرة الثالثة. ولما تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب حكم مصر أدرك خطورة تحالف الصليبيين في القدس مع أمراء دمشق والكرك وحمص المسلمين ضده!! فهاجم دمشق ثم القدس، وتخلص من شرهم، واستعاد بيت المقدس سنة (٦٤٢هـ-١٢٤٤م).

وبقيت القدس في حماية الإسلام والمسلمين؛ حتى تفرقوا في دينهم وديناهم، فنجح البريطانيون في احتلال فلسطين سنة (١٩١٧م)، ثم وقعت تحت احتلال الصهاينة في سنة (١٩٦٧م).

فاحتلال بيت المقدس كان يسبقه دومًا ابتعاد عن الإسلام، واتباع للشهوات وشبهات الفرق المنحرفة، وتنازع وتفرق سياسي، وحروب داخلية.

والتحرير كان يمر عبر سلسلة من الجهود المباركة في العودة للدين، ونبذ الشهوات، وانتشار العلم والتدين الصحيح؛ مما يقوي الجبهة الداخلية، ويساهم في تقوية الجهد العسكري؛ فتتوحد الجبهة الإسلامية، ويتم إنهاء الاحتلال.

وهذه الوحدة تكون بالاجتماع على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فلا معبود ولا مطاع ولا خالق ولا ناصر بحق إلا الله ﷻ، وبهذا تسقط الوثنية والخرافة والشعوذة التي تعطل

طاقات المؤمنين وتشتت قوة قلوبهم؛ من الاعتصام بالله ﷻ إلى التعلق بأسباب ضعيفة وواهية، وقد رأينا جموع المسلمين في الشام وفلسطين تهتف بالتكبير و"ما لنا غيرك يا الله!"، وقد بارك الله في جهودهم المتواضعة؛ فعجزت أمامهم أضخم الجيوش والميليشيات المزودة بالعتاد الخاص والتدريبات الطويلة، والتي عجزت عن مقارعة الإيمان في قلوبهم وتوحيد رب العالمين الذي رسخ في وجدانهم.

ولا يمكن الوصول لتوحيد الله ﷻ الصحيح الذي يكسر هام الطغاة - كما كسرها الصحابة الكرام - إلا بتوحيد الاتباع للرسول ﷺ.

فلا سبيل لمعرفة حقيقة الإيمان والتوحيد والعقيدة إلا بالتقيد بسنة النبي ﷺ، هذا التوحيد والإيمان والعقيدة التي لما سكنت في قلوب سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، أشرقت الأرض بنور القرآن، وعمت الشعوب والأجناس والأعراق السعادة بالإيمان، ولليوم تتمسك هذه الشعوب والأعراق والأجناس بالإسلام؛ برغم ما يعانونه بسبب إسلامهم من قتل وتشريد وعدوان في أرجاء العالم، لكنها بشاشة الإيمان حين تخالط القلوب الطاهرة.

ولا سبيل لمعرفة شعائر الإسلام وتعاليمه وعباداته ومعاملاته وأخلاقه إلا بتوحيد مصدر التلقي عن الرسول ﷺ؛ الذي جاءنا بالقرآن الكريم والسنة النبوية من عند الله ﷻ، وهذا هو معنى قولنا: (محمد رسول الله)، أي: هو حامل رسالة الله لنا، فلا طريق لمعرفة مراد الله لنا إلا باتباع رسالة الله لنا التي أرسلها مع محمد ﷺ، وهي القرآن والسنة.

وختاماً؛ فإن أي طريق لتحرير المسجد الأقصى لا تقوم على توحيد الله ﷻ بعبادته وحده، والتزام أمره ونهيه، وذلك بتوحيد مصدر التلقي عن رسول الله ﷺ، هي محاولة فاشلة لن تنجح! فتوحيد العبادة لله واتباع رسول الله هما الكفيلان بتوحيد المسلمين شعوباً ودولاً، وهما الكفيلان بتحرير الأقصى وسائر ما احتل من بلاد الإسلام.

فالدعوات الهدامة لتفريق المسلمين عبر نشر العنصرية والإقليمية والقطرية والتطرف أو الطائفية أو المناهج الضالة؛ سواء كانت مناهج بدعية أو مناهج علمانية حدثية تصادم اتباع الرسول ﷺ؛ هي دعوات باطلة تخدم أعداءنا، وتزيد في احتلال الأقصى وتبعد التحرير عنه!



للأقصى رب يحميه، ورجال ونساء يقدونه^(١)

في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ المسلمين يتصاعد العدوان اليهودي والصهيوني على المسجد الأقصى المبارك خاصة، وفلسطين عامة، فأصبحت الاقتحامات اليهودية المدنسة لطهره متعددة ومتكررة بشكل متسارع، ولم تعد تقتصر على الباحات الخارجية وحفر الأنفاق، بل أصبح هناك إقامة للطقوس اليهودية في حالة من فرض التقسيم الزماني على المسجد الأقصى، في تمهيد لفرض التقسيم المكاني - لا قدر الله ﷻ ذلك - .

لا بد - لفهم أبعاد تضخم العدوان اليهودي الصهيوني على المسجد الأقصى - من فهم واقع اليهود وواقع المسلمين اليوم؛ لفهم إلى أين تتجه حركة التاريخ والمستقبل؟!
بالنسبة لليهود؛ هم اليوم يعانون من الاصطدام بجدار الحقيقة والواقع؛ من أنهم أقلية منبوذة في المنطقة، مهما عملوا وحصلوا من قوة! وأن ما تواجهه إسرائيل من مقاومة فلسطينية في الداخل وما تم عقده من اتفاقيات السلام مع الدول العربية - برغم سلبياتها الكثيرة، وعدم التزام اليهود بها - نتج عنها: هدم حلم إسرائيل الكبرى الجغرافية!
ومن هنا حاول بيريز اختراع فكرة إسرائيل الكبرى اقتصادياً، ولكن - أيضاً - لم تنجح كما يملكون!

وهذا كان له انعكاسات كثيرة على واقع اليهود والصهاينة، من أهمها: ازدياد الهجرة اليهودية من إسرائيل بنسبة تفوق الهجرة القادمة إليها، وهو مؤشر خطير بالنسبة لليهود تجاه مستقبلهم.
ومن هنا: زيادة نسبة اليهود المتدينين، وتضاعف وجودهم في مؤسسات الجيش والدولة، فبحسب صحيفة "إسرائيل اليوم" (٢٠١٣/١١/١٥) فإن نسبة اليهود المتدينين في الجيش ارتفعت من (٢%) إلى (٣٥-٤٠%)، وقد تزيد عن ذلك في بعض الألوية والوحدات.
وأيضاً في جهاز المخابرات أصبح حضورهم يفوق نسبتهم بكثير، ويحتلون مناصب رفيعة فيه، وقد نشر د. مهند مصطفى - من جامعة حيفا - ورقة عن تأثير ذلك على مجريات العدوان على غزة بعنوان: "حضور الدين في الحرب على غزة، من تدين الصهيونية إلى تدين الصراع".

(١) صحيفة "الغد"، (٢٠١٥/٩/٥).

ورافق هذا التمدد اليهودي المتدين في المجتمع والجيش تطويراً في الفتاوى اليهودية نحو اقتحام الأقصى والعدوان عليه، فبعد أن كانت فتاوى الحاخامات منذ عام (١٩٦٨م) تمنع اليهود من دخول المسجد الأقصى والصلاة فيه، لأنهم يعتقدون أن تراب المسجد الأقصى وساحاته اختلطت برفات الحاخامات واليهود لما دمر الهيكل المزعوم، وأنه عند إعادة بنائه يجب مراعاة دفن تلك الرمم قبل الصلاة في الهيكل!!

لكن هذه الفتوى نُقضت في عام (٢٠٠٨م) دون مبرر واضح! وأصبح الحث على الصلاة في الأقصى هو الأصل عندهم، وقد يكون هذا نوعاً من التعويض عن فقدان حلم إسرائيل الكبرى - كما يقول بعض الباحثين -، فتعويضاً عن التمدد الخارجي تمددوا نحو المسجد الأقصى، ولذلك نجد نوعاً من التنافس بين المجموعات والأحزاب اليهودية المتديّنة على من يدنس الأقصى أكثر، ومن يعتدي بصورة أوقح وأبشع!

أما بالنسبة للمسلمين؛ فهم - مع ما يتعرضون له في فلسطين خاصة؛ من حصار وقتل وعدوان، وفي بقية البلدان؛ من اضطرابات أو احتلال أو استبداد للطغاة أو حروب طائفية أو ضوابط مالية أو سواها -، فإنهم جميعهم مرتبّون بالأقصى، ويفدون به بأموالهم وأرواحهم. ويجب أن نثق بأن حالنا هذا - على سلبياته - يفرغ الكثيرين الكثيرين من أعداء الإسلام في الداخل والخارج، وهم يقدروننا أكثر مما نقدّر أنفسنا، ويعرفون نقاط قوتنا التي لا نكتث بها ونفرط بها؛ جهلاً وغباءً - مع الأسف! -.

حين سقطت الدولة العثمانية وقسمت أراضيها، واتفق سايكس وبيكو على دُولنا الحالية؛ كان سبب ذلك: أن هذا التمزيق كاف في قتل قوتنا ومنع وحدتنا وإضعاف مستقبلنا.

لكن أقدار الله ﷻ وهمم وجهود المخلصين من القادة والعلماء والمفكرين والساسة والمثقفين والعامّة حولت ذلك الواقع البائس إلى واقع أفضل، ففي حين كانت الأمية هي الأساس في الجماهير العربية تناقصت لأكثر من النصف، وقطعنا نصف الطريق، وأصبح العلم موجوداً في شعوبنا التي أثبتت كفاءتها في الاكتشاف والاختراع؛ فتسابق العالم على سرقة عقولهم بالهجرة، أو التصفية والاعتقال، وكان الفقر هو السائد في بلادنا؛ فأصبح الحال مختلفاً مع نعمة البترول والغاز؛ التي عمّ خيرها البلاد التي وجد فيها ومن حولها؛ إما بالعمل فيها أو بالدعم والإعانة - برغم ما يوجد من

التقصير أو سوء الإدارة-، وكنا دولاً متصارعة؛ فهدى الله بعض العقلاء من السياسة للتعاون والتنسيق؛ فظهرت تجمعات ومجموعات عربية مختلفة، تباينت في نجاحها وإنجازاتها. وأهم من هذا كله: تحول الشعور العام في شعوبنا ودولنا تجاه الإسلام والتزام عقائده ومفاهيمه وأحكامه وأخلاقه، بعد أن كان الجهل بالدين هو السائد، مما ساعد على انتشار موجة الإلحاد والشيوعية في مرحلة مظلمة من تاريخ أمتنا في الخمسينيات والستينيات. فبعد أن كانت المساجد مقفرة من المصلين لا يعرف طريقها إلا بعض المسنين؛ أصبحت تغص بالمصلين من كافة الأعمار والمهن والثقافات، وبعد أن كانت أركان الإسلام مهجورة مثل: الصيام والزكاة والحج؛ أصبح من النادر والشاذ أن تجد من يفرط فيها -والحمد لله رب العالمين-. من يستحضر حال المسلمين هذا، وكيف تحول واقعهم من جهل إلى علم، ومن فقر إلى غنى، ومن فرقة لنوع تعاون، ومن بُعد عن طاعة الله ﷻ إلى إقبال؛ يفهم ويدرك الحرص الكبير من أعداء المسلمين على تفتيت المفتت من الدولة العثمانية، وتجزئة المجزأ من أمة الإسلام، هم لم يعمدوا إلى ذلك إلا لأنهم أدركوا أن المسلمين في طريقهم للقوة والوحدة والإيمان؛ فأرادوا قطع الطريق عليهم.

عقلاء اليهود وأذكياءهم هم أعظم الناس إدراكاً لذلك؛ لأن المسلمين أمة حية تنام وتضعف وتنسى، ولكن لا تموت.

الجنرال شلومو باوم -الذي يعد أسطورة الجيش الإسرائيلي زمن تأسيس كيانهم الغاصب- كان يدرك هذه الحقيقة بكل وضوح، ولذلك لما استنكر عليه بعض أصدقائه لماذا هو قلق على مستقبل إسرائيل؟! قال لهم: هل سمعتم بمعركة حطين وصلاح الدين؟ فقالوا له: لكن العالم العربي في غاية الضعف الآن.

فضحك باوم وقال لهم: لقد كانت أوضاع المسلمين قبل حطين كذلك، ولكن صلاح الدين استطاع بعث المسلمين وتحقيق الانتصار على الصليبيين، وهذا ما أخشاه على مستقبل إسرائيل! وفعلاً كان شلومو باوم محقاً في خوفه على مستقبل إسرائيل؛ فهي إلى زوال! ويكفي أن نتفحص الخوف والقلق في عيون جنود اليهود وقادتهم من كل فلسطيني أعزل في القدس يمكن أن يكون مشروع شهيد فدى الأقصى والمسرى.

هكذا جاهد أهل فلسطين دفاعاً عنها وعن الأقصى^(١)

لم تمر مخططات اليهود وسياساتهم العدوانية والإجرامية طويلة الأمد لاحتلال فلسطين والمسجد الأقصى دون مقاومةٍ وجهادٍ من أهل فلسطين؛ الذين بذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس، وأرواحهم ودماءهم، ولا يزالون يواصلون مسيرة الجهاد والمقاومة منذ (١٣٠) عامًا.

إن الشعب الفلسطيني يعرف عظم الأمانة التي يجب أن يحافظ عليها؛ سواء أرضه المباركة وحقه في البقاء فيها والتمتع بخيراتها في وجه الغزاة المحتلين، أو أمانة الحفاظ على المسجد الأقصى المبارك -أولى القبلتين، وثالث المساجد المعظمة في الإسلام، ومسرى الرسول ﷺ-، في وجه الحقد اليهودي الرامي لهدم المسجد وإقامة الهيكل المزعوم.

وللأسف! فإن كثيرًا من أجيالنا الفلسطينية والعربية والإسلامية أصبحت اليوم تجهل هذه الجهود العظيمة التي بذلها الشرفاء والأبطال طيلة هذه العقود، بسبب سياسات التعليم والإعلام التي تتجاهل هذا الجهاد العظيم، بل وتشوّهه في بعض الأحيان! فضلًا عن الركون لمسار التفاوض السياسي العثبي مع اليهود طيلة العقود الثلاثة الأخيرة.

وهذه إشارات سريعة لمجمل جهاد الشعب الفلسطيني تجاه العدوان اليهودي عليه؛ والذي ساندته القوى الرأسمالية بالمال والسلاح والدعم المعنوي، والقوى الشيوعية الماركسية؛ التي دعمته بالرجال والسلاح والدعم المعنوي والاعتراف الرسمي؛ فضلًا عن الخيانات العسكرية في مقاومته:

■ ظهرت المقاومة المسلحة العفوية للعدوان اليهودي منذ عام (١٨٨٦م) حين هاجم الفلسطينيون المطرودون من قراهم في الخضيرة وملبس -قرب يافا- مستوطنة (بتاح تكفا)؛ التي أقيمت على أراضيهم، وقد دعا هذا السلطات العثمانية للتشدد في منع هجرة وتملك اليهود للأرض في فلسطين.

وقد احتج أهل فلسطين على تساهل ومحاباة الوالي العثماني رشيد باشا في تطبيق قوانين منع تملك اليهود لأرض فلسطين، واشتكوه لرئيس الحكومة العثمانية، وكان هذا بداية تبلور المقاومة

(١) صحيفة "الغد"، (٤/١٢/٢٠١٥).

السياسية ضد الغزو اليهودي على مدار عمر هذا الصراع، والذي تعامل عبر تاريخه مع السلطات العثمانية ثم الانتداب البريطاني ثم عصبة الأمم ثم الدول العربية ثم الأمم المتحدة ثم التفاوض المباشر مع اليهود؛ ليصل للحائط المسدود مع تنصل اليهود من كل استحقاقات اتفاقية "أوسلو"!

■ بدأت تظهر وتكشف الأطماع اليهودية والصهيونية بفلسطين مع عقد مؤتمر "بال" الصهيوني عام (١٨٩٧م)، وكان لمقالات العلامة رشيد رضا في مجلة "المنار" فضل السبق في تحذير المسلمين من الخطر الصهيوني الزاحف إلى فلسطين والقدس، والتي كان يطالعها نخبة فلسطين.

وبدأ هنا دور المقاومة الثقافية ضد الغزو اليهودي؛ بتوعية أهل فلسطين البسطاء بالمخططات العالمية واليهودية الصهيونية الرامية لاحتلال فلسطين وتهجير شعبها؛ من خلال تأسيس عدد من الصحف الفلسطينية مثل: "الكرمل والأصمعي والمنادي وفلسطين".

■ في مرحلة الانتداب البريطاني، وحين زادت الهجرة اليهودية وظهرت خيانة بريطانيا للعرب بإطلاق وعد بلفور؛ تصاعدت المعارضة الفلسطينية السياسية للسياسات البريطانية العدوانية، وبدأ التأسيس لعمل عسكري مقاوم؛ فظهرت سنة (١٩١٩م) جمعية "الفدائية" في غالب المدن والمناطق الفلسطينية، وكان لها الكثير من العمليات العسكرية، وكان كوادرها هم من أدار انتفاضة موسم النبي موسى عام (١٩٢٠م)، وبقيت نشطة حتى عام (١٩٢٣م)، وكان يوجهها علماء فلسطين من أمثال: الشيخ سعيد الخطيب والحاج أمين الحسيني والشيخ محمد يوسف العلمي.

وشهدت هذه الفترة تدمير عدد من المستوطنات اليهودية، وهرب اليهود في الجليل الأعلى. وقد تصاعدت المقاومة الفلسطينية المسلحة بعد ذلك، في مسيرة طويلة، مرت بتنظيم الشيخ عز الدين القسام، ثم المقاومة الفلسطينية بقيادة عدد من الأبطال منهم: عبد القادر الحسيني، ثم ظهور حركة فتح وما تلاها من فصائل عسكرية، ثم جاءت حركة الجهاد، وأخيراً حركة حماس وكتائب القسام.

وحالياً نشهد مرحلة الخلايا المنفردة، كاستجابة فلسطينية خلاقاً دوماً للتحديات والظروف الصعبة!

وشهدت سنة (١٩٢١م) مظاهرة في يافا احتجاجاً على تصريحات تشرشل المؤيدة للاستيطان اليهودي في زيارته لفلسطين، وشهدت بعد شهرين انتفاضة بسبب اعتداءات الشيوعيين اليهود وتطاوهم على المقدسات الإسلامية، ثم قامت الكتيبة اليهودية في الجيش البريطاني بفتح النار في

أسواق يافا، وتصاعدت الانتفاضة لخارج يافا؛ فهاجم آلاف الفلسطينيين بعض المستعمرات وكادت تسقط؛ لولا تدخل الجيش البريطاني ونصرته لليهود.

وفي عام (١٩٢٩م) قامت ثورة البراق ردًا على محاولة اليهود السيطرة على حائط البراق، فتصدى لها المقدسيون وأهل فلسطين، مما استدعى تكوين لجنة دولية، أقرت حق المسلمين بحائط البراق وما حوله؛ باعتباره وقفًا إسلاميًا.

لقد قاوم الشعب الفلسطيني وجاهد بكل وسيلة أتاحت له؛ حيث عقد العديد من المؤتمرات لتوعية الشعب الفلسطيني والعربي بالخطر اليهودي الزاحف، وطلب الدعم والمعونة من علماء الأمة وقادتها، وتعددت المظاهرات والانتفاضات الراضية للسياسات البريطانية بتمكين اليهود من فلسطين، وتم تأسيس بعض المؤسسات الاقتصادية لمقاومة التمدد اليهودي فيها.

وفي سنة (١٩٣٦م) أُعلن عن الإضراب العام؛ عقب تفجر الثورة بقيادة الشيخ عز الدين القسام؛ لعدم استجابة بريطانيا للمطالب الفلسطينية، لكن تدخل الزعماء العرب لفك الإضراب والتعويل على المفاوضات مع بريطانيا فرّج عن بريطانيا، ولم يكسب الفلسطينيون منه شيء!

ولعل هذا المشهد قريب جدًا مما يجري اليوم من مفاوضات في قضايا سوريا واليمن وليبيا؛ حيث يساوم على توضيحات هذه الشعوب في فيينا وجنيف وغيرهما، بما يحفظ مصالح القوى الدولية والإقليمية، لا تحقيق رغبة هذه الشعوب بالحرية والكرامة!

■ ومع انسحاب بريطانيا من فلسطين كان هناك حوالي (٦٠) ألف فلسطيني مقاوم؛ سواء كان عسكريًا تابعًا للهيئة العربية العليا أو متطوعًا، لكن للأسف كان غالبهم غير مدرب ولا مؤهل؛ فضلًا عن عدم توفر السلاح والذخائر لغالب هؤلاء المقاومين، والذي نتج عنه: ضياع عدة مدن لصالح اليهود منها: القدس الغربية، وقيام دولة اليهود عام (١٩٤٨م).

ومع هزيمة الجيوش العربية والفلسطينيين أمام اليهود -المدرين والمدججين بالرجال والسلاح من روسيا وبريطانيا- لم يستسلم أهل فلسطين؛ من خلال مقاومة غير منظمة، بل واصلوا القيام بعمليات عسكرية ضد الاحتلال اليهودي، ويعترف اليهود بوقوع (٧٨٥٠) عملية عسكرية من جهة الأردن، و(٣٠٠٠) عملية من جهة غزة ومصر، و(٦٠٠) عملية عسكرية من جهة لبنان، وذلك بين سنتي (١٩٤٩-١٩٥٦م).

■ ثم بعد عام (١٩٦٥م) بدأ تكون الفصائل الفلسطينية الفدائية بدايةً بحركة فتح، ثم توالى بقية الفصائل، وقد قادت هذه الفصائل المقاومة المسلحة في داخل فلسطين بدايةً، وعقب هزيمة (١٩٦٧م) واصلت العمليات العسكرية من خارج الحدود الفلسطينية. وقد مرت هذه الفصائل بكثير من المحطات والانتكاسات التي أضرت بالمصالح الفلسطينية، حتى انصهرت أخيرًا في المسار السياسي التفاوضي، ونبذت المقاومة العسكرية. مع ذلك صمد الشعب الفلسطيني على أرضه، وأفشل كثيرًا من المخططات لتدوينه في دولة اليهود؛ كمنحط روابط القرى وغيرها، في الضفة الغربية.

■ أما الفلسطينيون في مناطق ال (٤٨)؛ فقد ظهرت بينهم سنة (١٩٧١م) الحركة الإسلامية؛ التي تطورت مع الأيام وأصبح لها دور بارز في مقاومة الاحتلال اليهودي لفلسطين والمسجد الأقصى، حيث عملت على حماية هوية الفلسطينيين من الذوبان في الهوية الإسرائيلية، وحثت البدو على رفض الخدمة العسكرية اليهودية، وقامت بجهود كبيرة في حماية الأقصى؛ من خلال مهرجانات (الأقصى في خطر)، وتسيير رحلات لزيارة الأقصى باسم: (مسيرة البيارق)؛ لحماية الأقصى من انتهاكات المستوطنين اليهود، والمشاركة في رعاية وترميم الأقصى مع المؤسسات الرسمية الخاصة بذلك.

ومن أجل هذا الدور المحوري في مقاومة الاحتلال اليهودي تعرضت الحركة الإسلامية للحلّ من قبل حكومة اليهود في (١٧/١١/٢٠١٥).

■ ثم جاءت الانتفاضة الفلسطينية الأولى سنة (١٩٨٧م)؛ والتي كشفت عن حيوية الشعب الفلسطيني، ورفضه للاحتلال اليهودي وعدوانه الظالم، وظهرت حركة حماس للوجود، وضخت دماء جديدة في مقاومة وجهاد الشعب الفلسطيني، وتنامت حركة حماس وكوّنت ذراعها العسكري (كتائب القسام)؛ التي قادت الجهاد ضد اليهود في الضفة وغزة.

ثم جاءت الانتفاضة الثانية سنة (٢٠٠٠م) ردًا على تدنيس المجرم شارون للمسجد الأقصى، وانخرط فيها جميع الفلسطينيين، ولذلك اغتال اليهود عددًا من قادة الفلسطينيين من مختلف الفصائل والتيارات على رأسهم: ياسر عرفات وأحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي وأبو علي مصطفى.

وتصاعدت المقاومة والجهاد ضد الاحتلال اليهودي مما استدعى انسحاب اليهود سنة (٢٠٠٥م) من قطاع غزة بسبب المقاومة العسكرية فيه.

❑ وبقي الفلسطينيون يقاومون العدوان اليهودي المتواصل؛ سواء بتوسعة الاستيطان في الضفة والقدس؛ من خلال لجان المقاومة الشعبية، وحراس القرى، ودعوات المقاطعة، والمظاهرات، وغيرها من الأساليب التي استخدمت في الضفة، أو من خلال التصدي العسكري للعدوان الإسرائيلي الهمجي في عدة حروب تعرضت لها غزة في سنوات (٢٠٠٨، ٢٠١٢، ٢٠١٤)، وقد سطر فيها المجاهدون أروع البطولات، وصمدوا برغم ضعف الإمكانيات صمودًا أسطوريًا، وبدأ هناك تحول في منهج المقاومة من الدفاع إلى الهجوم والمبادرة بضرب العدو.

❑ وفي هذه الأيام نشهد تواصل بطولات الشباب الفلسطيني الأعزل في مقاومة العدوان اليهودي المتزايد على الفلسطينيين بمصادرة أرضهم وقتل الأبرياء؛ كحادثة عائلة الدوابشة، والاستهانة بمسجدهم الأقصى المبارك.

الخلاصة: برغم كل المخططات اليهودية الخبيثة والطويلة الأمد؛ إلا أن الشعب الفلسطيني لم يقف متفرجًا ومستسلمًا، بل هبَّ يجاهد ويقاوم بكل سبيل ووسيلة، ولم يفتر عن ذلك طيلة (١٣٠) عامًا؛ برغم كل الخيانات وكل المكائد التي هدفت لترويض هذا الشعب المجاهد والمقاوم، لكنها فشلت؛ لأن فلسطين أرض مباركة، ومبارك ما حولها وفيها، وقد أثبت التاريخ أنهم قد يضعفون لكنهم لا ينهزمون ويتهون، وبقاء احتلال وظلم اليهود لن يطول، ولن تطيب لهم فيها الحياة حتى ذلك الحين.



الوجه المشرق في معركة القدس وفلسطين^(١)

فجرّ عدوان وتهوّر ترامب بإعلان القدس عاصمة لليهود براكين الغضب في شرايين الأمة الإسلامية؛ فهاجت الشوارع والميادين بالمظاهرات والاعتصامات الراضية والمنددة بهذا الظلم والعدوان، وتداعى الساسة والزعماء والقادة للاجتماع والالتقاء وعقد قمم عربية وإسلامية؛ لمواجهة تبعات هذه الحرب على مقدسات المسلمين، والاستهتار بكرامتهم وحقوقهم. ورافق ذلك انتفاض وسائل التواصل الاجتماعي بالرسائل والمقاطع المؤيدة للقدس، وحقّق المسلمون بها، وخطب الخطباء عن فضائل القدس والمسجد الأقصى، وفضح المؤامرات التي تستهدفها.

ولكن بعض الناس أصبح من عادته جلد الذات، وتضخيم الهزيمة والنوح واللطم، وإشاعة روح الخسارة والسلبية المعرّقة! ولا يدركون أن الحرب والصراع جولات وصولات، وأن أمتنا مرّت بنكبات وكوارث أكثر من هذه، وأنها تجاوزتها وأكملت مسيرة عزتها وكرامتها.

وهؤلاء يجهلون الكثير من تاريخ صراع فلسطين والقدس والأقصى مع اليهود والمشروع الصهيوني، نعم؛ هذا العدوان من ترامب يعتبر عملاً باطلاً واستهتاراً بالمسلمين عموماً، لكنه يجب أن يُقرأ في سياقه الصحيح، فليست هذه الضربة القاضية، وليست هذه النهاية والخسارة التامة، وليس اليهود هم المنتصرين الفائزين، ونحن المهزومين الخاسرين.

وليس صحيحاً أن علينا الاستسلام والرضوخ لأطماع اليهود؛ لأننا عاجزون عن خوض معركة القوة معهم ومع من يقف خلفهم، وأنا - لأننا متفرقون متشاكسون - لن نتمكن من التصدي لهم وإرغام ترامب وغيره على سحب اعترافهم بالقدس عاصمةً لليهود.

نعم؛ نحن خسرنا جولة وجولة مهمة، ولكن كسبنا جولات عديدة وكبيرة ومهمة، ولكن قد لا ندرك ذلك أو نستشعره، ربما لأننا نريد نصرًا كاملاً يعيد القدس والأقصى وفلسطين تامة لنا، وهذا لم يكتمل بعد.

(١) صحيفة "الغد"، (١٤/١٢/٢٠١٧).

لكن دعونا نراقب ونفحص مسيرة الصراع على فلسطين والقدس والأقصى مع اليهود منذ مطلع القرن الماضي؛ حتى ندرك الصورة الكاملة على حقيقتها، ونرى موازين القوى في هذا الصراع عبر المحطات التالية:

■ كانت أحوال الأمة المسلمة منذ نهاية الخلافة العثمانية عمومًا، وبلاد العرب خصوصًا: يعمّها الجهل وقلة التدين، والفقر والضعف، وغالبها محتل من الأوربيين.

■ ومنذ مطلع القرن الماضي قام المشروع اليهودي والصهيوني لتحقيق غاية قيام دولة يهودية في فلسطين، يعيش اليهود فيها بأمن وسلام، واعتمد المشروع - لتنفيذ غايته - على احتلال الأرض، وتهجير الفلسطينيين، واستقبال المهجرات اليهودية من مختلف أنحاء العالم.

وفعلاً؛ منذ نهاية الخلافة العثمانية تزايد توافد اليهود على فلسطين بالتحايل والتهرب، وبعد احتلالها من قبل الإنجليز تعاضمت الهجرة اليهودية، وتأسست مليشياتهم الإرهابية (البلماخ، والإرجون، والهاجاناه، والشتيرن)، ومع انسحاب بريطانيا عام (١٩٤٨ م) وإنهاء انتدابها على فلسطين وقعت حرب (١٩٤٨)؛ والتي تمكن اليهود فيها من احتلال مناطق من فلسطين، وأقاموا عليها دولتهم المزعومة، ومن خلال المجازر والعمليات الإرهابية نزع وهاجر غالبية الفلسطينيين في مناطق ال (٤٨).

وتكرر هذا النزوح والهجرة للفلسطينيين عام (١٩٦٧) بعد احتلال القدس وسيطرة اليهود عليها؛ وبذلك تم احتلال كامل فلسطين وتمدد دولتهم؛ حتى ضمت سيناء والجولان؛ ووصلت نسبة الفلسطينيين فيها إلى أقل درجاتها، فقط (١١%)، بسبب النزوح والتهجير واستجلاب اليهود، وكادت فلسطين تخلو لليهود ويتحقق لهم حلمهم بدولة يهودية خالصة، مما يحقق شعار المشروع الصهيوني: (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، فاليهود كانوا ينكرون وجود شعب فلسطيني!!

■ ولكن كارثة حرب (١٩٦٧) أيقظت في الأمة روح التدين، فكانت البداية في مصر على يد العلماء المستقلين وبعض الجمعيات الخيرية؛ كجماعة أنصار السنة، والجمعية الشرعية؛ التي استقطبت الشباب الحائر والتائه، ولما تولى السادات الحكم في مصر أفرج عن قادة الإخوان المسلمين؛ الذين خرجوا فوجدوا الشباب في المساجد؛ فاستقطبهم، وواصلوا مسيرتهم بهؤلاء الشباب.

ووصلت اليقظة الدينية والصحوّة الإسلامية إلى فلسطين أيضًا؛ فظهرت الانتفاضة الأولى في (١٩٨٧) بصبغة وروح إسلامية - غالبًا - .

■ هنا توقف مسلسل النزوح والهجرة الفلسطينية منذ ذلك الوقت، بل أصبحت العودة لفلسطين هي هاجس الكثير ممن تهجر للشّتات، ثم كانت الزيادة السكانية للفلسطينيين لتتفوق على تدفقات المهاجرين اليهود، مما هدّد هوية دولتهم المزعومة، والتي جعلت نتيا هو والمتطرفين حوله يصرون على اعتراف الفلسطينيين والعالم بيهودية دولة إسرائيل؛ لأنهم بالمعايير الديمقراطية التي يدعيها اليهود هم اليوم الأقلية!

فالإحصائيات تقول: إنه في عام (٢٠٢٠) من المتوقع أن تكون نسبة اليهود (٤٨.٢%) من عدد السكان في فلسطين؛ حيث سيصل العدد إلى نحو (٦.٧) ملايين يهودي، مقابل (٧.٢) ملايين فلسطيني، وبذلك يصبح اليهود أقلية، حيث يمتاز المجتمع الفلسطيني بنسبة شباب أفرادها العالية؛ والتي تصل لحوالي (٣٥%)، بينما تنخفض نسبة الشيخوخة فيه لنسبة (٣.٥%)، بخلاف المجتمع اليهودي الذي نسبة شيخوخته عالية!

هذا التزايد الفلسطيني على أرض فلسطين يشكل قبلة في وجه اليهود؛ بحيث لن يستطيعوا التحكم فيها للأبد، ولذلك تجري اليوم محاولات يهودية محمومة لإجبار فلسطيني الـ (٤٨) على دخول الجيش والاعتراف بيهودية الدولة، في محاولة لطمس هويتهم، والبحث عن ذريعة لتهجيرهم وطردهم.

■ وفي القدس اليوم هناك (معركة أرحام) بين اليهود والمسلمين؛ حيث يلجأ اليهود لطردهم الفلسطينيين من القدس بأي ذريعة، والتضييق على أرزاقهم، ومنع توسعهم في البناء؛ مما يجبرهم على تقليل النسل؛ لضيق المنازل، وإجبار العرسان الجدد على مغادرة القدس والسكن خارجها! بينما يشجع اليهود الشرقيون والمتدينون على الاستيلاء على منازل الفلسطينيين وزيادة الإنجاب في مستوطنات القدس؛ خاصة على زيادة النسل حتى صارت نسبتهم في الإنجاب الأعلى عالميًا سنة (٢٠١٤)؛ لفرض واقع ديمغرافي يهودي على القدس.

ومعركة الأرحام هذه تكشف عن مدى عمق الوصية النبوية في الحديث الصحيح: «تزوجوا الودود الولود، فإني مُكاثر بكم الأمم يوم القيامة»، مما يكشف حقيقة دعوات تحديد النسل في البلاد الإسلامية عمومًا، وفلسطين خصوصًا!

■ رافق هذا التزايد السكاني الفلسطيني على أرض فلسطين في وجه المشروع الصهيوني تصاعد الانتفاء الديني الإسلامي في عموم فلسطين؛ مما كان دافعاً لمزيد من المقاومة والجهاد والصمود والمرابطة في عموم فلسطين، والقدس تحديداً، وجهود الشيخ رائد صلاح المباركة للمرابطة في الأقصى نموذج بارز على ذلك، كما أن انتفاضة الأقصى الأخيرة قبل بضعة أشهر كانت صفة مدوية على وجه اليهود، والتي توحد فيها الفلسطينيون بمختلف توجهاتهم، وساندتهم فيها الشعوب المسلمة في كل مكان؛ لرفض فرض بوابات وكاميرات على مداخل الأقصى تتبع اليهود.

■ وقد ساهم جهاد ومقاومة الشعب الفلسطيني على أرضه بحدوث هجرة عكسية لليهود من فلسطين للغرب، والأرقام الرسمية لليهود تتحدث أن عدد اليهود الذين يغادرون فلسطين يفوق عدد المهاجرين الجدد إليها، وهذا مؤشر خطير بالنسبة لهم؛ لأن ذلك يدل على انعدام الأمن والمستقبل لليهود في فلسطين، إذ تكشف بعض الدراسات اليهودية أن (٤٠%) من اليهود في فلسطين يفكرون بالهجرة منها، فيما الغالبية العظمى من المهاجرين اليهود الروس يمرون بفلسطين كمحطة انتقال لأمريكا وكندا وأستراليا.

ومن أجل ذلك هناك تصاعد ضخم في نسبة اليهود الحاصلين على جوازات سفر من دول غربية؛ ليكونوا على أهبة الاستعداد للرحيل عن فلسطين عند أي طارئ.

■ أيضاً؛ انعكس تصاعد القوة الفلسطينية الناعمة والخشنة في فلسطين على عزوف اليهود - خاصة العلمانيين منهم - عن السكن والبقاء في القدس، بسبب الخوف وعدم الأمن من عمليات المقاومة، وبسبب السلوك المتطرف ضدهم من اليهود المتشدين دينياً؛ ولذلك تنخفض نسبة اليهود في القدس برغم كل جرائمهم بحق المقدسين؛ حيث وصلت لـ (٥٩%) على أعلى تقدير.

■ تصاعد القوة الفلسطينية في وجه المشروع اليهودي والصهيوني تسببت بحسب "تقرير مدار الاستراتيجي ٢٠١٦"، والصادر عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) في خلخلة البنية الاجتماعية اليهودية؛ فهناك تقييدات على الحريات والحقوق الأساسية لليهود أنفسهم، بحجة قمع المقاومة الفلسطينية، كما تصاعد وهيمن الخطاب التحريضي والعنصري ضد الفلسطينيين؛ مما أدخلهم في تناقض مع دعواهم بأنهم مجتمع ديمقراطي!

كما أن المقاومة أربكت كل محاولات تجاوز اليهود لمرحلة مجتمع المهاجرين لمجتمع عادي متجانس وحدائي، وفرضت عليه البقاء على صورة مجتمع استعماري مسلح وغير آمن!

■ لذلك يعاني المجتمع اليهودي من صراع عرقية وإثنيات قومية من جهة يهود أوروبيين، ويهود آسيويين وأفارقة، ومن جهة ثانية هناك صراع ديني على اليهودية؛ حيث لا يُعترف بيهودية بعض المجموعات؛ كالأثيوبيين -مثلاً-، ويفرض عليهم إعادة التهود من جديد!

وقد تسبب ذلك والتشدد الديني عند تجمعات الحريديين بتمرد الكثير من الشباب على التدين اليهودي واللجوء إلى التعلم، مما يدخلهم في صراعات مع أسرهم ومجتمعهم، تدعوهم للانفصال عنهم وتبرؤ الأهل منهم، ليواجهوا طاحونة الحياة المادية؛ حيث غالبهم لم يتلق تعليماً يؤهله للانخراط في المجتمع اليهودي العلماني، فيلجأ عدد متزايد منهم للانتحار.

كما أن هناك العديد من اليهود الذين يتحولون إلى ديانات أخرى في فلسطين وخارجها.

■ هذا الواقع اليهودي المتخبط من الطبيعي أن ينخر الفساد فيه؛ حتى يصل لجهاز الشرطة والأمن وقياداته العليا، مما يجعله عرضة للانهار -قريباً-، ولذلك تحتل دولة اليهود الدرجة (٢٤) في الفساد من (٣٤) ضمن منظمة الدول المتقدمة (OECD).

■ هذا الواقع اليهودي الاستعماري والعدواني أضعف -أيضاً- ولاء غالب اليهود خارج فلسطين لهذه الدولة اليهودية؛ فهناك تراجع كبير في الانتماء لها بين اليهود في أمريكا، فبحسب بحث لمعهد "هيبرو يونيون كولج" وجامعة كاليفورنيا فإن (٢٠%) من الأمريكيين اليهود دون سن (٣٥) سنة يشعرون بانتماء قوي لدولة اليهود، و(٧٠%) منهم لم يزرها إطلاقاً، بل هناك معارضة شديدة من اليهود الأمريكيين لسياسة دولة اليهود، ولعل من أبرز الأمثلة تشكل منظمة "جي ستريت" اليهودية المناهضة للاحتلال اليهودي.

■ وهذا التصاعد بالانتصار المعنوي للحق الفلسطيني جعل الكثير من شرفاء العالم يؤيدون حركة المقاطعة لدولة اليهود على كافة المستويات والمعروفة بـ (BDS)؛ والتي تأسست عام (٢٠٠٥)؛ وتقوم على المقاطعة، وسحب الاستثمارات، والعقوبات لدولة اليهود، وقد حققت نجاحاً كبيراً دعت اليهود لمقاومتها ومحاوله سن تشريعات دولية تحظرها!

■ وهذا كله جعل اليهود في حالة مستمرة من التهديد، والشعور بعدم الشرعية والمحاصرة، وقد تصاعد هذا الشعور اليوم مع قرار ترامب العدواني، فقد تنصّلت منه غالب الدول الأوروبية، وتداعت دول العالم الإسلامي للرد عليه وإنكاره.

في الختام؛ إن تصاعد القوة الفلسطينية في وجه المشروع اليهودي الصهيوني قد لا يكون ملموساً للكثير من الناس، لكن اليهود يدركون خطورة ذلك بكل تفاصيله، ويدركون أن الفجوة بينهم وبين الفلسطينيين تقل بل تكاد تنعدم.

والمطلوب اليوم هو: زيادة دعم صمود وجهاد ومقاومة الشعب الفلسطيني، والوقوف بوجه العدوان اليهودي؛ ولو بمنع تمدده وتطبيع العلاقات معه، هذا على صعيد الحكومات.

أما الشعوب المسلمة؛ فعليها -أيضاً- دعم صمود الشعب الفلسطيني؛ عبر المساعدات الشعبية، والضغط على الحكومات لاتخاذ المواقف السياسية في هذا الاتجاه.

وكلما كانت الشعوب المسلمة أكثر وعياً بقضية فلسطين والقدس كانت تحركاتها واعية تخدم القضية في الحقيقة، فالمطلوب أن تصب مظاهرات الغضب الإسلامية في العالم في طاحونة الدعم الحقيقي لقضية فلسطين والقدس، ولا تذهب كصرخات عالية في الفراغ!!



توأمة مع تجار القدس لنعمل على نصرة الأقصى والقدس والمقدسين^(١)

في هذه الأيام التي يئن فيها محراب الأقصى ومآذنه، وقلوب المقدسيين والمسلمين في كل مكان بسبب ظلم وطغيان اليهود على الأقصى خاصة، وفلسطين عامة! فإن التفكير في نصرة الأقصى والقدس والمقدسيين بالأعمال والأفعال هو واجب الوقت الأول؛ ذلك أن هذا العدوان اليهودي المتجدد والمتعظم يحاول أن يكرر ما سبق من ظلم وعدوان وإجرام ضد الإسلام والمسلمين والقدس والأقصى؛ حين تمكنوا من ذلك.

فحين احتل الصليبيون بيت المقدس سنة (٤٩٢هـ) ارتكبوا المجازر الرهيبة بحق المسلمين فيه، لخصها مؤرخ الحملة الصليبية ريموند بقوله: "لقد كان الذبح مهولاً! لدرجة أن الدماء كان تُغطي أرجلنا حتى الركب، ولم نستطع السير في الطريق؛ بسبب أشلاء قتلى المسلمين!"، ويقال: إن هذا هو سبب المثل الشعبي السائر عن حالة الفوضى: "الدم للركب!"

أما المؤرخ ابن العبري؛ فسجل لنا مدة المذبحة وضخامة ضحاياها من الأبرياء في كتابه «مختصر الدول»؛ فقال: "لبث الفرنج في البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، وقُتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً!"

ولأخذ صورة أشمل عن الجريمة التي ارتكبت في بيت المقدس قديماً، وما يتمنى مجرمو اليهود تكراره اليوم؛ لنستمع للمؤرخ الصليبي فوشيه الشارترى^(٢)، وهو يصف جريمة أهله: "وهرب بعض هؤلاء العرب إلى برج داود، وأغلق آخرون على أنفسهم معبد الرب ومعبد سليمان، وتمَّ شنُّ هجوم وحشي على المسلمين في فناء هذين المعبدين، ولم يكن هناك مكان يمكن أن ينجيهم من سيوف رجالنا، ولو أنك كنت موجوداً هناك لغاصت قدمك حتى العقين في دماء المذبوحين!"

ترى ماذا أقول؟

لم نترك منهم أحداً على قيد الحياة، ولم ينج حتى النساء والأطفال!

(١) صحيفة "الغد"، (٢٣/٧/٢٠١٧).

(٢) في كتابه «أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس».

كم سيكون مُدهشاً لو أنك رأيت فرساننا ومشاتنا بعد أن اكتشفوا خداع المسلمين؛ فشقوا بطون الذين ذبحوهم؛ لكي يستخرجوا من المعدة والأمعاء العُمَلات الذهبية التي كان المسلمون قد ابتلعوها وهم أحياء!! ولنفس السبب قام رجالنا بعد أيام قلائل بجمع كومة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رماداً؛ حتى يمكنهم أن يجدوا بسهولة الذهب الذي ذكرنا خبره.

عندما جرى رجالنا وسيوفهم مشرعة عبر أرجاء المدينة، ولم يُبقوا على أحد حتى أولئك الذين يرجون الرحمة؛ سقط الجميع كما تسقط التفاحات العفنة جميعاً من الأغصان المهزوزة!

وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخلوا بيوت السكان، واستولوا على كل ما وجدوه فيها، وتم هذا بطريقة جعلت كل من كان يدخل أولاً - سواء كان فقيراً أم غنياً - لا يجد من يُنازعه من الفرنج الآخرين، وكان له أن يحتل المنزل أو القصر ويمتلكه بكل ما فيه؛ كما لو كان ملكية خالصة له! وهكذا اتفقوا جميعاً على هذا النمط من الملكية، وبهذه الطريقة صار كثيرون من الفقراء أثرياء".

وهذا النص التاريخي يكشف لنا أن الداعشية لها جذور عريقة عند خصوم الإسلام، وأن المسلمين هم دوماً ضحايا هذه الداعشية!

وكانت نتيجة هذه الوحشية: أن خلت القدس من المسلمين، وتم تحويل المسجد القبلي لإسطبل للخيول وحظيرة للخنازير! وهذا ما يسعى له اليهود اليوم بتهجير المقدسين من القدس؛ عبر التضييق عليهم في شؤون حياتهم، وفرض الضرائب والرسوم الباهظة، وتشجيع تداول المخدرات والتسرب من التعليم، وحماية الاستيطان اليهودي حول القدس وفي داخلها؛ ولو بالغضب والتزوير.

كما أنهم يسعون للسيطرة على المسجد الأقصى - وهو كل ما في داخل السور والسور نفسه - عبر الحفريات تحته، أو الاستيلاء على بعض أجزاء السور؛ كحائط البراق، وبعض الغرف والمدارس في السور، وعبر محاولة فرض التقسيم الزماني على الأقصى، وعبر جولات السياحة لليهود في ساحات الأقصى.

وهذه الأطماع لا يجب أن تواجه بدعوات الشجب والاستنكار والمظاهرات والمسيرات والبيانات لوحدها؛ مع ضرورتها، بل نحتاج إلى أعمال وأفعال إيجابية تساهم بسرعة في دعم المقدسين في القدس، وعدم تفرغ القدس من أهلها، وهو ما تحقق للأعداء أيام الصليبيين، وما يكاد يحصل عليه اليهود في هذه المرحلة.

ومن الأفكار التي لها دور كبير في تثبيت أهل القدس في قلوبهم: دعم المحلات والشركات والحرفيين في القدس، لأن بقاء هؤلاء في متاجرهم ومحالهم يحفظ الوجود المسلم والعربي في القدس ووجود عائلاتهم، ويحمي المسجد الأقصى ببقاء المرابطين والمرابطات فيه، كما أنه يُظهر هوية القدس الحقيقية لزائريها من الفلسطينيين والعرب والمسلمين وغير المسلمين.

وهذا الدعم من الممكن أن يكون عبر قيام مبادرة توأمة بين محال ومتاجر وشركات القدس مع محال ومتاجر وشركات العرب والمسلمين في العالم؛ حيث يقوم أصحاب المهن المتشابهة في القدس وخارج القدس بعمل توأمة فيما بينهم، ويمكن أن تتعدد التوأمة مع المتجر الواحد في القدس مع عدة أطراف من الخارج؛ مما يفتح المجال لأكثر عدد ممكن من الناس للمساهمة فيها، فقد يعجز البعض عن توفير كل الرسوم أو الإيجار لمتجر في القدس - مثلاً -، فليكن هناك مساهمات متعددة كأسهم من عدة محلات خارجية.

وهدف التوأمة هو: مساندة محلات ومتاجر وشركات القدس في توفير رسوم البلدية المرتفعة، وتغطية الإيجار السنوي ومصاريف الماء والكهرباء على الأقل، مما يحفز هذه المتاجر على البقاء والصمود، ومما يوفر لعائلات المقدسيين الحياة الكريمة التي تدفعهم لمزيد من حماية قبلة المسلمين الأولى، والتضحية لصد العدوان والإجرام اليهودي.

ومما يساعد على التوأمة: قيام جهة مقدسية موثوقة بالإشراف على ذلك؛ كلجنة زكاة القدس، فتطلق موقعاً إلكترونياً بمحال ومتاجر القدس ومصاريفها، ويتم الإعلان بشفافية عن الشركات والتوأمة التي تمت، وبذلك نقدم خدمة حقيقية وسريعة لأهل القدس وحماة الأقصى.

ويمكن لغرف التجارة والصناعة في بلاد العرب والمسلمين المساهمة في ذلك، وحث مشركيها للمساهمة والمبادرة في نصره الأقصى.

هذه فكرة يمكن تطويرها وتحويرها لما يحقق المصلحة الكبرى للقدس وأهلها، وآمل ممن لهم القدرة والعلاقات على تبنيها وتفعيلها بأسرع ما يمكن؛ حتى نوجه مشاعر الغضب ضد عدوان اليهود، ومشاعر ونوايا نصره الأقصى والمرابطين والمرابطات لعمل بناء منتج ومثمر وفي الوجهة الصحيحة؛ بتثبيت المقدسيين في وطنهم المبارك.



أفكار لنصرة الأقصى والقدس والمقدسين^(١)

لا تزال إقامة الصلوات والاعتصامات أمام أبواب المسجد الأقصى مستمرة؛ رغم بدء اليهود بإزالة البوابات الإلكترونية، ومع ذلك - وكعادة اليهود - رفعوا البوابات الإلكترونية، ولكن نصبوا كاميرات حرارية!

ولما أزالوا الكاميرات تحرشوا بالمقدسين الداخلين للمسجد؛ بإغلاق باب حطة، ثم فتحوه وأطلقوا قنابل الصوت، ثم هاجموا المقدسين؛ حتى أصيب منهم أكثر من (٩٠) شخصاً!

فمن صفات اليهود: التحايل والخداع والتلاعب، وقد بين لنا الله ﷻ حقيقة صفات اليهود؛ فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩].

هذه هي طريقتهم في التعامل مع أوامر الله ﷻ؛ بالاستكبار والإعراض عن طاعته واتباع أمره في قول كلمة (حِطَّة) أي: حطّ عنا ذنوبنا، فحرفوها إلى (حنطة)؛ وبدلاً من الدخول ساجدين، أي:

خاضعين، دخلوا بأدبارهم! مما يكشف عن ماديتهم وجشعهم، وسوء أديهم وخلقهم! ومن كانت هذه طريقتهم مع ربّه وخالقه! فلن نستغرب منه قلة الأدب والوقاحة مع عباد الله، والتلاعب والتحايل في أي اتفاق أو صفقة معهم! ولذلك فإن التعامل الراقى والمحترم مع هؤلاء الشرذمة لا يفيد ولا ينفع، بل لا يصلح معهم إلا القوة والحزم، والمكاشفة للجمهور بما تم التوصل إليه من اتفاق معهم؛ لقطع الطريق على تحايلهم وخداعهم وبثهم للشائعات والأكاذيب.

وعند ممارستهم للتزوير والخداع يلزم عاجلاً فضح أكاذيبهم، والردّ عليهم بكل جدية، وتعريّة أخلاقهم، وللأسف فإن هزال الإعلام الرسمي العربي يشكل مورد قوة يهودية كبيرة!

وكنّا في مقال الأسبوع الماضي قد طرحنا فكرة عملية لنصرة الأقصى والقدس والمقدسين، تتمحور حول إقامة توأمة بين تجار القدس ونظرائهم في العالم الإسلامي، وفي هذا المقال أفكار جديدة للأفراد والهيئات الشعبية للوقوف في وجه عدوان اليهود وتحايلهم وخداعهم.

(١) صحيفة "الغد"، (٢٧/٧/٢٠١٧).

وفي ظني أن نصرّة القدس وأهلها بالخصوص، وفلسطين وأهلها بالعموم، تقوم على المحاور التالية:

١- تثبيت أهل القدس وأهل فلسطين في أرضهم، ودعم صمودهم في وجه مؤامرات التهجير والترحيل.

٢- توعية عموم الأمة الإسلامية بمكانة الأقصى والقدس وفلسطين، وتبعضها العقائدي والإيماني، والواجب الشرعي تجاهها.

٣- فضح الجرائم الإرهابية اليهودية ضد الأقصى والفلسطينيين؛ بكل لغات العالم، وعلى كافة المستويات.

٤- تحييش كل الشرفاء في العالم ضد إرهاب اليهود وعدوانهم؛ خاصة ضد الأقصى، على غرار حملة (BDS) العالمية؛ التي أقلقت اليهود.

ولخدمة هذه المحاور أقدم هذه المقترحات؛ لنخطو بإيجابية في نصرّة الأقصى والمقدسيين:

استثمار السياحة الإسلامية والعالمية للقدس:

لقد استخدم اليهود وأنصارهم من الإنجيليين المتعصبين السياحة إلى فلسطين؛ لترويج دعايتهم الصهيونية بحقهم المزعوم فيها، وشحنوا عبر هذه الرحلات السياحية مئات الألوف

في الغرب من السياسة والإعلاميين والشباب خلف دعم دولة اليهود وبقائها.

واليوم علينا نحن أن نوظف السياحة الإسلامية من بعض الدول؛ كتركيا، والمسلمين من حملة الجنسيات الغربية والفلسطينيين في المهاجر؛ لدعم صمود أهل القدس وفلسطين.

كما علينا أن نجتهد على السياح غير المسلمين القادمين للقدس؛ ليتعرفوا على حقيقة العدوان والإرهاب اليهودي على الأقصى والمقدسيين.

ويمكن فعل ذلك من خلال:

• حملات دعائية وتوعية بلغات ووسائل متعددة لدور وأهمية السياحة في القدس؛ بغرض دعم أهلها، والتعرف على قضيتها، وأن ما تنفقه هناك في سياحتك هو مساهمة فاعلة في صدّ مؤامرات اليهود على الأقصى والقدس والمقدسيين.

- إعداد برامج سياحية وخرائط سياحية بعدة لغات؛ للتعرف على القدس الحقيقية، وكنوزها التاريخية، وحياتها الحقيقية، تشمل: المواقع التاريخية الصحيحة، وعادات وكنوز وفلكلور القدس في الطعام والحرف والملابس، والفنادق والمطاعم العربية.
 - تنفيذ لوحات تعريفية مصورة ومكتوبة وناطقة بعدة لغات عند المواقع التاريخية؛ لنشر المعرفة السليمة بحقيقة القدس والأقصى والمقدسين، ونشر الرواية الفلسطينية في العالم.
 - قيام المؤسسات الفلسطينية والإسلامية في الخارج - وخاصة في أوروبا - بعمل برامج دعائية وسياحة للقدس تستهدف الجمهور الغربي؛ ليستمتع بالقدس، ويتعرف على حقيقة قضيتها.
 - إطلاق مواقع إلكترونية خاصة بالقدس بعدة لغات، تعرض قضية القدس وتاريخها والعدوان اليهودي عليها، والمضايقات التي يتعرض لها المقدسيون من الحكومة اليهودية وقطعان المستوطنين الإرهابيين، وخرابتها السياحية ومنتجاتها المتميزة.
 - تأهيل مؤسسات ومتاجر القدس العربية للتعامل الأفضل مع السياح من قبل جهات داخلية وخارجية؛ بتطوير المنتجات المقدسية التذكارية، وتطوير الخدمات الفندقية وقطاع الطعام؛ لتصبح سياحة ممتعة وجذابة وتنافس السياحة اليهودية.
 - قيام بعض الدول أو الجهات التي لها تعامل مع دولة اليهود باستيراد منتجات مقدسية وعرضها للجمهور في بلادهم؛ كنوع من الدعم للاقتصاد المقدسي، ليبقى المقدسيون صامدين في حماية القبلة الأولى للمسلمين.
 - تشجيع الشبان على لبس ملابس تحمل شعارات وصورًا مقدسية؛ كالمسجد الأقصى؛ ليبقى حاضرًا في القلوب، وتراه العيون في كل مكان.
- إن حسن استغلال أداة السياحة للقدس سيكون له آثار إيجابية عديدة، منها:
- دعم اقتصاد المقدسين وتطوير مؤسساتهم وترسيخ بقائهم وصمودهم، فلو صرف كل سائح للقدس (١٠٠) دولار فيها على الأقل لكان لذلك أثر كبير على ازدهار حياة المقدسين، مما يثبتهم في القدس كطليعة الحراسة والدفاع عن المقدسات في وجه إرهاب اليهود الدواعش.
 - إذا توفرت في القدس مؤسسات ومنتجات ووسائل ثقافية تشرح تاريخ القدس والأقصى، وتفصح إرهاب وجرائم اليهود بمختلف الوسائل واللغات وبطرق إبداعية؛ لتمكّننا من نشر ثقافة

مقدسية مقاومة في كل أنحاء العالم عبر السياح للقدس، وسيكون لنا سفراء شعبيون يحملون همّنا، وهذا سيشكل ضغطاً كبيراً على اليهود المعتدين؛ على غرار تأثير حملة (BDS) العالمية.

■ إن قدوم السياح إلى القدس من جنسيات مختلفة وبأعداد كبيرة سيحدّ من عدوان اليهود على المقدسيين على المدى البعيد، وسيكون لتواجد الكثير منهم في المسجد للصلاة عامل حماية له، كما أن الاعتداء عليهم سيُخرج اليهود مع دولهم؛ خاصة الغربية منها.



نصرة الأقصى شرف وبركة؛ لا تدعوها تفوتكم!^(١)

المسجد الأقصى أحد ثلاثة مساجد في الأرض يجوز السفر من أجل الصلاة فيها؛ لما لهذه المساجد الثلاثة من البركة والتعظيم، وهي التي أخبر عنها النبي ﷺ في قوله: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الأقصى»^(٢).

وذلك أن المسجد الحرام هو: أول مسجد وضع في الأرض، وهو قبلة الصلاة وموضع الحج، والمسجد النبوي: أخبرنا الله ﷻ أنه أسس على التقوى، والمسجد الأقصى هو: ثاني مسجد بُني في الأرض، وكان قبلة للأمم السابقة، وبداية القبلة في الإسلام، وقد بين لنا النبي ﷺ شرف وفضيلة الصلاة في هذه المساجد؛ فقال ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه؛ إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»^(٣).

وقال ﷺ حين سئل عن المسجد الأقصى: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى، وليوشكن أن لا يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً - أو قال - خير من الدنيا وما فيها»^(٤).

من هنا؛ فإن نصرة هذه المساجد وتعظيمها ورعايتها هي قمة الشرف والبركة، وإن نصرة الأقصى للتخلص من الاحتلال الصهيوني هو من أعظم الواجبات على أمة الإسلام.

لما احتل الصليبيون الأقصى أرسل أحد الأسرى لصاح الدين رسالة - على لسان المسجد الأقصى - كتب فيها:

لمعالم الصُّلبان نَكَّس
تسعى من البيت المُقدَّس
وأنا على شرفي أُدنَّس!

يا أيها الملك الذي
جاءت إليك ظلامه
كل المساجد طُهرت

(١) صحيفة "الغد"، (٢١/١٢/٢٠١٧).

(٢) حديث متفق عليه.

(٣) رواه ابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

(٤) رواه الحاكم، وصحَّحه الألباني.

ويقال: إنَّ هذه الأبيات كانت سبباً في سرعة حسم صلاح الدين لاحتلال الصليبيين للقدس، فخاض معركة حطين، واستعاد بيت المقدس بعد مقتلة عظيمة، ودخل مسجد الصخرة، وبدأ بتنظيفه من القاذورات؛ فغسله بالماء وبهاء الورد والمسك الفاخر، وكذلك فعل بالمسجد الأقصى؛ حيث كان الصليبيون حولوه إلى زريبة للخيل، وخطب الشيخ محيي الدين محمد بن زكي الدين علي القرشي أول خطبة بعد تحريره، قال فيها:

"يا أيها الناس!

أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا، لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، وردّها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، وإمطة الشرك عن طرقة بعد أن امتد عليها رواقه، واستقر فيها رسمه، ورفع قواعده بالتوحيد، فإنه بُني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد، فإنه أسس على التقوى من بين يديه ومن خلفه.

فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم ﷺ، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء، ومدفن الرسل ومهبط الوحي، ومنزل ينزل به الأمر والنهي، وهو أرض المحشر وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة؛ التي ذكرها الله في كتابه المبين. وهو المسجد الأقصى الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ بالملائكة المقربين، وهو البلد الذي بعث إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه عيسى؛ الذي أكرمه برسالته وشرفه بنبوته، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته".

واليوم في عصرنا تم احتلال القدس وفلسطين على يد الاحتلال البريطاني؛ الذي سلّمها لليهود؛ حتى عادت القدس سليمة، وفي يد الأعداء مرتنة.

أسرّح طرّفي صوب مسرى نبيكم	فأُفِيه في طوق من الجند مُحكّم
تروّج وتغدو الغانيات بصحنه	وقد كان قبل اليوم صعب التّقحّم
كأنّي بأقصاكم يُث لربّه	شكاة تُذيب القلب من كل مسلم
يئن ويكي تحت ظل حراهم	ألا فاجمعوني بالخطيم وزمزم

ولن يعود المسجد الأقصى والقدس وفلسطين إلا بجهاد وجماد وعمل دائم بالليل والنهار، فلا تستصغروا أي جهاد في هذا الباب، فتوعية الناس والأبناء والطلاب بقضية الأقصى والقدس وفلسطين وأنها جزء من عقيدة الإسلام أمر واجب ومطلوب من الجميع، والعمل على دعم صمود المقدسيين والفلسطينيين على أرضهم بشتى الوسائل والأساليب من أفضل مجالات نصره الأقصى وفلسطين، ورفض واستنكار محاولات شرعة احتلال اليهود من الواجبات الدائمة.

وعلى الساسة والإعلاميين والعلماء بذل كل ما يستطيعون للإعداد السليم والصحيح لإنهاء هذا العدوان والاحتلال، واستعادة الحق ومحق الظلم، وهذا هو ميدان الشرف الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يتسابقوا فيه؛ ليحوزوا رضا الله ﷻ أولاً، والثناء الجميل في الدنيا ثانياً.

ولنحذر جميعاً من محاولات خبيثة خفية تصدّ عن نصره الأقصى والسعي في إبطال المشروع الصهيوني، بدعوى أن هذا من قضاء الله وقدره والواجب علينا الرضا به ومحبه!

وللأسف يروج لهذا الخطاب (عمائم) لا زالوا لا يملكون جرأة التصريح به علناً، ولكنهم يمهدون له سراً بتحريف بعض الآيات والأحاديث عن معناها الصحيح.

نعم؛ القضاء والقدر من أركان الإيمان التي يجب على كل مسلم أن يؤمن بها، لكن الإيمان بالقضاء والقدر ليس اعتقاداً سلبياً وتواكلاً واستسلاماً ورضاً بالهزيمة والخذلان! كلا؛ ليس هذا هو مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر!

لو كان هذا هو مفهوم الرضا بالقضاء والقدر فلم هاجر النبي ﷺ من مكة، ولم يستسلم لقوة وبطش كفار قريش؟! لم حفر النبي ﷺ الخندق لمواجهة وصدّ الأحزاب عن غزو المدينة، ولم يستسلم لهم؟! ولم أمر النبي ﷺ أصحابه - حتى الجرحى - بالخروج في اليوم التالي لغزوة أحد لملاحقة كفار قريش؟ والأمثلة كثيرة، الرضا بالقضاء والقدر لا يعني: الاستسلام للأعداء، لأنه بهذا الميزان يصبح صلاح الدين - البطل الهمام - جانياً معتدياً ساخطاً على قضاء الله وقدره!

هل أدركتم خطورة هذا الطرح المضلل من بعض حملة (العمائم)؛ والذين يسعون للصدارة وقيادة المسلمين باسم: العلم والإسلام!!

الرضا بالقضاء والقدر يعني: الرضا بما وقع ولا يمكن تعديله، وتعديل ما يمكن تعديله، فيوم أحد رضي النبي ﷺ بما حدث من خسارة، ولكن في اليوم التالي قام بملاحقة الأعداء؛ ليبرهن لهم على أن الخسارة جزئية.

ومن هنا؛ فالإسلام يأمر بالعلاج والتطبُّب من الأمراض بالأسباب الصحية والعلاجية مع الرضا بالقضاء والقدر، وكذلك في حالة وقوع زلزال أو تصادم أو خسارة تجارية يجمع الإسلام بين علاج التبعات بالأسباب الصحيحة مع الرضا بما قضى الله ﷻ وقدر، وهذا سبب فعالية هذه الأمة عبر التاريخ.

لكن الفهم المنحرف للقضاء والقدر وتحويله لأداة استسلام وخنوع هو أكبر أسباب تخلف المسلمين عن قيادة العالم، وتمكُّن الأعداء من احتلال بلادهم!

ولنا في نموذج الأمير عبد القادر الجزائري أكبر عبرة من خطورة هذا الفهم المنحرف! فلقد قاوم الأمير عبد القادر الجزائري المحتلين الفرنسيين للجزائر، ولم يقبل بدعايات رؤساء الطرق الصوفية العميلة لفرنسا؛ التي تروج للرضا بالاحتلال، وأنه مراد الله ﷻ، حتى هُزم بعد (١٧) سنة، عندها تغير فكر الأمير، وقيل طرح ومفهوم هذه الطرق الصوفية العميلة، وأخذ يمجِّد فرنسا ويمنع من مقاومتها! بل لما قام ابنه بجمع بعض القبائل لمحاربة فرنسا عارضه وتبرأ منه، وخدَّل عنه القبائل حتى خسر! ولما هُزمت فرنسا سنة (١٨٧٠م) حزن لذلك وتزين بنيشانها الأكبر؛ إظهاراً لصداقته لها!

لعل في هذا النموذج العجيب! بياناً للخطورة الكبيرة لانحراف مفهوم القضاء والقدر في مواقف الإنسان تجاه الحق والتخلي عن نصرته، كما أن فيه تفریطاً بالأوطان والمقدسات، فهذا المفهوم في مآله يعني: تسليم القدس وفلسطين لليهود من جهة، وشكر الله على هذه النعمة! واعتبار الأعداء اليهود والصهاينة المحتلين إخوة لنا، نجتمع معهم في (وحدة الوجود)! وهو قبول واستسلام بمطامع اليمين اليهودي والصهيوني؛ باعتبار الأردن هي فلسطين والوطن البديل! هذه هي حقيقة هذا الفكر المنحرف الذي تبثّه (عمائم) في بلادنا، يُراد لها أن تقود الحالة الإسلامية في المستقبل القريب!

فاحذر أن تتورط بهذا الفكر المنحرف عن نصره الأقصى، ويفوتك الشرف الرفيع والبركة العالية!



**تلاعب
ملالي إيران والشيعة
بالقضية الفلسطينية**

تلاعب إيران بالقضية الفلسطينية^(١)

من المتفق عليه: أن القضية الفلسطينية رافعة لكل من أراد أن يشتهر ويروج بين الناس؛ من دولة أو حزب أو جماعة أو شخص، فيكفي بعض الشعارات الرنانة أو الحركات الاستعراضية التي تدغدغ العواطف! وبعدها تأخذ الشرعية والمصداقية من الجماهير الجاهلة والمندفعة، وعلى أساس هذه القاعدة تعاملت إيران الخمينية مع القضية الفلسطينية.

■ البداية:

تعود علاقة حركة الخمينية بالقضية الفلسطينية حين كانت مضطهدة ومطاردة في منتصف السبعينيات، فهربت إلى العراق ولبنان حاضنة كل الأحزاب والتنظيمات، وهناك تبنت منظمة التحرير الفلسطينية كوادر الخميني؛ فدرّبتهم على العمل السياسي والعسكري، وسلحتهم ودعمتهم من أموال الثورة الفلسطينية؛ لأنهم أعداء الشاه حليف إسرائيل القومي، في معسكراتها بالعراق ولبنان.

كما أن المنظمة عملت على فتح الأبواب أمامهم لدى الدول العربية، وحصلت لهم على مساعدات مالية منها، بعد أن سبق للمنظمة أن احتضنت موسى الصدر، وقدمت له الدعم والرعاية والسلاح والتدريب، حتى قيل: إن أبو عمار هو من اختار اسم حركة أمل لها، وبذلك كان الفلسطينيون متفضلين على شيعة لبنان وثورة الخميني، ولم يكن البعد الطائفي موجوداً في حساباتهم في لبنان.

كما أن الرئيس الإيراني السابق رفسنجاني - بمساعدة من موسى الصدر - قام بمقابلة عرفات في بيروت قبل قيام الثورة الإيرانية؛ بغية الاستفادة منها، حيث كان رفسنجاني ورفاقه معجبين بنموذج الثورة الفلسطينية^(٢).

■ بعد نجاح الثورة:

وحيث نجحت ثورة الخميني كان عرفات أول من استقبل في طهران مهنتاً بالانتصار.

(١) موقع "الراصد"، (٢٢ مارس ٢٠٠٩).

(٢) «حياتي»، رفسنجاني (ص ١٧١).

وفي خطاب لعرفات بطهران تفاخر بأنه درّب عشرة آلاف عنصر إيراني في معسكرات فتح، وأنه أعطاهم عشرة آلاف كلاشنكوف، ومن ثم قدّم عرفات مزيداً من السلاح للخميني، ودرّب الحرس الثوري، وقامت إيران بإعطاء منظمة التحرير الفلسطينية مقر السفارة الإسرائيلية في طهران؛ لتكون سفارة لها، وعيّن هاني الحسن سفيراً للمنظمة في طهران، وجمال الدين الفارسي سفيراً لإيران لدى المنظمة، ومن ثم تولى مصطفى جمران السفارة.

كما تم فتح مركز ثقافي للمنظمة في أصفهان، وتعيين مندوب عنها في كل مدن إيران، وطلبت إيران من المنظمة وعرفات الحصول على تأييد عرب الأهواز للثورة؛ فذهب عرفات وأحمد الخميني لافتتاح مكتب المنظمة بالأهواز لهذه الغاية.

وسرعان ما ظهرت محاولات ثورة الخميني لتوظيف المنظمة في أغراضها الخاصة، فبعد أشهر تم الطلب من المنظمة إقفال مكتب الأهواز، واستمرت المضايقات ليغادر هاني الحسن منصبه هناك.

ولم يتحسن الوضع مع السفير الجديد، وحين حاول وفد رفيع من المنظمة التوسط في قضية الرهائن الأميركيين رفض الخميني مقابلتهم؛ رغم أن قطب زادة -وزير الخارجية الإيراني- أرسل برقية رسمية بالموافقة على الوساطة الفلسطينية؛ وخاصة مع تصاعد سياسات تصدير الثورة، ومحاولة الزج بالمنظمة في ذلك، وبعدها جاءت الحرب مع العراق التي وقفت فيها المنظمة على الحياد، فاعتبرت إيران ذلك موقفاً عدائياً تجاهها، وبذلك انتهت العلاقة الودية ودخلت مرحلة الجمود^(١).

وعلى الجانب اللبناني لم يكن الحال بأفضل من ذلك، فرغم أن المنظمة هي من أنشأت منظمة أمل ودرّبتها وسلّحتها؛ إلا أن الغدر والخيانة كان جزاءها منها! فحين غزت إسرائيل لبنان سنة (١٩٨٢) لم تشارك "أمل" بالقتال ضد اليهود سوى بالبيانات، بل بعضهم قام بالترحيب بالجيش الإسرائيلي^(٢).

(١) «الحرب المشتركة إيران وإسرائيل»، حسين علي هاشمي (ص ٤٩).

(٢) أثبت ذلك د. مسعود أسد الله، الباحث الإيراني في رسالته للدكتوراه من جامعة الإمام الصادق بطهران، والحائزة على جائزة وزارة الإعلام الإيرانية لأحسن أطروحة دكتوراه سنة (٢٠٠٠)، والتي نشرت بالعربية بعنوان:

وقد فضح ذلك شارون في مذكراته حين قال: "لم أر يوماً في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى البعيد"، بل اقترح إهداءهم بعض الأسلحة كبادرة حسن نية!!
 وبسبب اختفاء مؤسس "أمل" موسى الصدر، وحركة الانشقاق في صفوفها، وتزايد النفوذ الإيراني في لبنان؛ أعلنت الحركة سنة (١٩٨٢) مبايعتها للخميني إماماً للمسلمين في كل مكان^(١).
 وبعد أن غادر الفدائيون الفلسطينيون بيروت عقب الغزو الإسرائيلي؛ بدأت أمل ونواة حزب الله بالتمدد على حساب السنة اللبنانيين والفلسطينيين، ولم يأت عام (١٩٨٥) إلا وقد أعدت أمل العدة لمجزرة للفلسطينيين في المخيمات الفلسطينية ببيروت، استمرت شهراً كاملاً؛ كما حدث مع غزة مؤخراً، كانت من الفظاعة والإجرام بمكان كبير! وشملت القتل والذبح والاعتصاب وغيرها^(٢).

وقد صادف وقوع هذه المجازر وجود الأستاذ فهمي هويدي في طهران؛ فكتب لنا عمّا عايشه:
 "في (يونيو ٨٥) وقاتل أمل للفلسطينيين في بيروت كان قد بلغ ذروته، وبينما تكلم مختلف رموز النظام: منتظري ورفسنجاني وخامني، فإن الإمام التزم الصمت!
 وقيل وقتئذٍ: إنه معتكف في الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان، ولما انتهى الصيام خرج الإمام من اعتكافه، وألقى خطاباً في "حسينية جهران" بعد صلاة العيد، وفيما توقع الكثيرون أن يعلن موقفاً تجاه ما يجري في لبنان؛ فإن الإمام لم يشر إلى الموضوع من قريب أو بعيد! وكان جل تركيزه في الخطاب على دلالة المظاهرات المؤيدة للحرب مع العراق؛ التي خرجت يوم القدس (آخر جمعة من رمضان).

كنتُ أحد الذين استمعوا إلى خطبة الإمام في صبيحة ذلك اليوم (٢٠ يونيو)، ولم أستطع أن أخفي دهشتي من تجاهله لما يجري في لبنان! ليس فقط لأن الفلسطينيين هم ضحيته ولكن لأن الجاني منسوب إلى الشيعة.

= «الإسلاميون في مجتمع تعددي» (ص ١٠٩، ١٣١، ١٣٨).

(١) «أمل والمخيمات الفلسطينية»، عبد الله الغريب، (ص ١٨٢).

(٢) المصدر السابق، (ص ٦٩).

ونقلت انطباعاتي إلى صديق خبير بالسياسة الإيرانية؛ فكان رده أن الإمام له حساباته وتوازناته!!^(١).

أما تصريحات رموز النظام؛ فقال عنها هويدي: "كان خامنئي يعبر بصدق عن موقف الحكومة والأجهزة الرسمية؛ التي لظمت الصمت طوال خمسة أيام بعد بدء الاعتداء على المخيمات الفلسطينية، ثم بدأت تتحدث عن "وقف القتال"، و"تجنب استمرار نزيف الدم"، وهو موقف بدأ خاضعاً "للحسابات" أكثر منه ملتزماً بالمبادئ؛ إذ كان واضحاً الدور السوري في دعم أمل؛ فضلاً عن أن تلك الأجهزة وضعت في اعتبارها أن "أمل" هي في النهاية منظمة شيعية"^(٢).

ومع استمرار اعتداء أمل على المخيمات قام الشيخ أسعد بيوض التميمي وغازي عبد القادر الحسيني بالذهاب إلى إيران في العام (١٩٨٦م)؛ للطلب من الخميني أن يتدخل لوقف المجازر التي ترتكبها حركة أمل ضد الفلسطينيين في جنوب لبنان، ولكن رفض ذلك! ثم ذهبوا بعد ذلك إلى نائبه (منتظري)؛ فأصدر فتوى تستنكر هذه المذابح، ولكن الخميني غضب على (منتظري) لأنه تجاوزه، فكان هذا أحد أسباب عزله من نيابة الخميني^(٣).

■ القدس جيش ويوم!!

وكان الخميني قد أعلن عن تأسيس جيش القدس سنة (١٩٨٠)، وأن طريقه للقدس يمر بـكربلاء، وهكذا تأخر هذا الجيش عن نصره القدس لانشغاله بحرب العراق، لكن جيش القدس تحول لفيلق القدس؛ الذي تمكن -رغم حربه للعراق- من القيام بعمليات نوعية ضد العديد من الشخصيات والأهداف الإسلامية في أنحاء متفرقة من العالم؛ فقد قام هذا الفيلق -عبر أجنحته المختلفة ومنها: أحزاب الله المنتشرة في عدة دول- بتفجيرات واغتيالات في مكة والبحرين والكويت ولبنان.

وبعد احتلال أمريكا للعراق قام فيلق القدس بالعديد من العمليات ضد السنة العراقيين والفلسطينيين بدلاً من حرب الأمريكان؛ الذين احتلوا العراق بما فيها كربلاء.

(١) «إيران من الداخل»، فهمي هويدي، (ص ٤٠٤).

(٢) المصدر السابق، (ص ٤٠٣).

(٣) «ماذا يجري في لبنان؟»، محمد أسعد بيوض، موقع "مفكرة الإسلام"، (٢٠/٩/٢٠٠٦م).

والآن بعد أن تثبتت أقدام إيران في العراق، وتقاومت النفوذ فيه مع أمريكا؛ بدلاً من العودة لمواصلة الطريق للقدس يبدو أن هناك أوضاعاً طارئة تستدعي تغيير وجهته عن القدس للجزر الإماراتية، والقدس لن تضيع، وبإمكانها الصبر قليلاً!!

وأعلن الخميني عن يوم عالمي للقدس؛ ليدغدغ عواطف الفلسطينيين والمسلمين بذلك! عبر ترديد شعارات: (الموت لأمريكا وإسرائيل)، لكن من يموت هم دومًا أعداء الخميني من

أهل السنة وأعداء إسرائيل من المجاهدين فقط!!

■ حركة الجهاد الفلسطينية:

وفي الثمانينات تواصلت إيران مع حركة الجهاد الفلسطينية، المغرمة - ليلوم - بالثورة الخمينية! حتى أصبحت حركة الجهاد تحسب على إيران والتشيع^(١)، وقد قدمت لها الكثير من الوعود والآمال والقليل من الدعم^(٢)، وهو ما جعل الشقاقي يحاول فتح خطوط دعم من ليبيا بدلاً من إيران، فلقبي مصرعه في قبرص بعد مغادرة ليبيا، كما حدث من قبل لموسى الصدر؛ الذي وصل ليبيا ولم يخرج منها بعد!!

■ حماس:

ولم ترحب إيران بالعلاقة مع حماس في البداية؛ وحتى سنوات قريبة، لأنها تعلم أن "حماس" سنية تتبع لجماعة الإخوان، وأن لها خلفية سلفية نوعاً ما، وكان هذا الموقف بتحريض من حركة الجهاد ردًا على جهود الإخوان في رمي الجهاد بالعمالة لإيران^(٣). وقد حدثني د. بسام العموش - السفير الأردني الأسبق في طهران، وهو من القيادات السابقة للإخوان - عن شكوى مندوب حماس في طهران له من إهمال الإيرانيين له، بعكس مندوب الجهاد.

(١) انظر: دراسة (حركة الجهاد والهوى الشيعي الإيراني) لكاتب هذه السطور.

(٢) «موسوعة الحركات والأحزاب الإسلامية»، تحرير فيصل دراج وجمال باروت، (٢٠١١/٢).

(٣) «دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة حماس»، تحرير جواد الحمد وإياد البرغوثي، إصدار مركز الشرق الأوسط - المقرب من حماس -، (ص ٢٧٦).

■ حزب الله:

أما حزب الله الذي أنشأته إيران^(١) لمقاومة إسرائيل؛ فقد أثبتت الأيام أنه وسيلة لتنفيذ الأجندة الإيرانية ومصالحها التي لا تحتوي إزالة إسرائيل أو عداءً حقيقياً، فقد غيرَ الحزب أكثر من مرة نظرتَه لإسرائيل؛ بحسب معطيات المرحلة، ففي البداية أعلن الحرب على إسرائيل حتى يتبرأ من تقاعس وخذلان الشيعة عند غزو إسرائيل عام (٨٢)، وبعد ذلك أصبح يحصر الصراع في استعادة الأراضي المحتلة، ومن ثم جعل الصراع لبنانياً فقط ولا يتعدى الحدود اللبنانية، وقد تبدى هذا في توقفه عن نجدة غزة بالصواريخ المكدسة عنده بزعم حرب إسرائيل، وتنصله من الصواريخ التي أطلقت من الجنوب لفك الضغط عن غزة.

كما قام حزب الله بحصار المقاومة السننية والفلسطينية في الجنوب والقضاء عليها، مما دعا الأمين الأسبق للحزب صبحي الطفيلي لوصف الحزب أنه أصبح حارساً للحدود!

وقد بدا بشكل واضح في حرب (تموز ٢٠٠٦) أن الحزب لا يرغب بحرب حقيقية مع إسرائيل؛ ولذلك تجنب ضرب المصالح الحيوية لإسرائيل؛ رغم زعمه القدرة على ذلك، كما أن إيران ضبقت إيقاع الحرب من خلال إدارتها المباشرة لذلك؛ والتي نتج عنها احتلال بيروت، وتدعيم قوة الحزب في لبنان، مع إضعاف الحكومة، والسنة بالتحديد^(٢).

كما أن الفلسطينيين في المخيمات اللبنانية الذين يقاسون أنواعاً عديدةً من البؤس والعوز في ظل القوانين والقوى اللبنانية؛ التي تخشى أن يكون الفلسطينيون سنداً ووعناً لسنة لبنان، فإن إيران وأذرعها تمارس أنواعاً كثيرةً من الأذى بحقهم والتضييق عليهم. ومن أبرز هذه الأمثلة:

أن حزب الله - من أجل فصل ضابط محسوب عليه في المطار - قام باحتلال بيروت، وتحدى الجيش اللبناني ولم يحسب له حساباً! لكن مخيم نهر البارد الذي أعلن حزب الله "أنه خط أحمر"، ثبت أنه خط أخضر!! - على حد تعبير الشيخ داعي الإسلام -، فتم تدمير وإزالة مخيم نهر البارد وحزب الله يتفرج! ويعد القتلى السنة من الفلسطينيين والجيش!!

(١) يكفي لإثبات هذا الأمر: وجود إيرانيين في قيادة الحزب بشكل غير معلن، «حزب الله»، غسان عزي، (ص ٣٤).

(٢) لمزيد من التفاصيل: انظر: (حزب الله تحت المجهر) لعلي باكير، على موقع "الراصد نت".

■ جيش لبنان الجنوبي:

قد يصدّم الكثير من الناس حين يعلم أن غالبية أفراد جيش لبنان الجنوبي العميل لإسرائيل أو ما كان يعرف باسم: "جيش لحد" هم من الشيعة، ولذلك حين انسحبت إسرائيل وسيطر حزب الله على الجنوب لم يتم معاقبة أحد من أفراد الجيش العميل، بل قدم نواب حزب الله قانون عفو عنهم، حفاظاً على الوحدة الوطنية!

■ الاستعداد للاعتراف بإسرائيل:

رغم زعم قادة إيران أنهم ضد إسرائيل وأمريكا -الشیطان الأكبر- إلا أنهم وحين كان الأميركيون يغزون العراق في (٢٠٠٣)، قدمت إيران بموافقة المرشد علي خامنئي "اقتراحاً" لعقد "صفقة كبيرة" لحل النزاع الأميركي-الإيراني.

جوهر العرض الإيراني: نعتف بإسرائيل، وتتنازل عن النووي، ونوقف دعم حزب الله؛ مقابل منحنا الوصاية على الخليج، والاعتراف بنا: قوة إقليمية شرعية.

تضمّن الاقتراح عرض إيران إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة، والضغط عليها لإيقاف عملياتها العنيفة ضد المدنيين الإسرائيليين داخل حدود إسرائيل العام (١٩٦٧)، والتزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني، وقبول إيران بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمة بيروت عام (٢٠٠٢م)، أو ما يسمى: طرح الدولتين، وتنص على إقامة دولتين، والقبول بعلاقات طبيعية وسلام مع إسرائيل، مقابل انسحاب إسرائيل إلى ما بعد حدود (١٩٦٧م)^(١).

■ فلسطينيو العراق:

حين تمكنت الميلشيات الشيعية العراقية الموالية لإيران من السيطرة في بغداد؛ لم تتورع عن القيام بمجازر بحق الفلسطينيين في مجمع البلديات هناك مماثلة لمجازر أمل بالمخيمات الفلسطينية بلبنان^(٢)، دون أن تتدخل إيران لوقف هذه المجازر، بل كانت بسلاح إيراني ورضا منها! ولذلك اعترف خالد مشعل أن حماس لم تستطع مساعدة فلسطينيي العراق لدى أصدقائها^(١).

(١) القصة الكاملة للعرض الإيراني السري لعلي باكير، في مدونته على "مكتوب".

(٢) رصد تفاصيل هذه المجازر كتاب «فلسطينيو العراق».

وللأسف قام ممثل حماس في المجمع باستضافة قوة من مغاوير الداخلية العراقية، على وجبة إفطار رمضاني في مسجد القدس (٢٨/٩/٢٠٠٨)، في حين أن تلك القوة قامت في وقت سابق باعتقال إمام المسجد!!!^(٢)

ومن لم يُقتل من فلسطينيي العراق؛ إما بقي تحت سطوة الخوف وعدم الأمان، أو أصبح لاجئاً على الحدود أو المنافي البعيدة، ولم تعمل إيران على المساعدة بعودتهم لبيوتهم أسوة بمئات الألوف من الإيرانيين الذين جنّسّتهم في العراق بما تملك من نفوذ!! كما أنها لم تعمل على تحسين ظروفهم المعيشية؛ حتى ولا في المخيم على الحدود السورية التي تملك فيها حظوة كبيرة.

❑ لا يعترفون بالأقصى!!

رغم تشدق إيران بفلسطين والقدس! إلا أن رواياتهم وعقائدهم لا تعترف بالمسجد الأقصى الذي نعرفه!! ولذلك أَلَّف أحد كبار علماء الشيعة العلامة جعفر مرتضى العاملي كتاباً بعنوان: «المسجد الأقصى أين؟»، جاء فيه: "لقد تبين لنا عدة حقائق بخصوص المسجد الأقصى، والذي يحسم الأمر: أنه ليس الذي بفلسطين!!"

وقرر العاملي أن المسجد الأقصى في السماء!! كما في كتابه «سيرة الرسول الأعظم»؛ الذي لا تزال تصدر أجزاءه تباعاً منذ عشر سنوات، والذي حاز على جائزة أفضل كتاب في إيران، مما استدعى تكريم الرئيس نجاد له شخصياً!!^(٣)

❑ دعم إيران لحكومة حماس:

وحين فازت حماس بالانتخابات وشكلت الحكومة قامت إيران بلعبة ذكية، شرحها أحد الموالين لحماس بقوله: "وكان الموقف الإيراني من الذكاء بمكان؛ أن دعموا ولم يدعموا حكومة حماس!!"

فإيران أعلنت أنها ستدعم الحكومة الفلسطينية بالملايين، ولم تسلمها لا يدوياً ولا تحويلاً! وأعلنت أنها ستتبرع بآلاف السيارات للحكومة، وهي تعلم أن عصفوراً لا يدخل لفلسطين بدون

(١) مجلة "البيان"، العدد (٢٤٦)، (٢٠٠٨/٢).

(٢) (حماس والتشيع السياسي "قراءة في الخطاب")، أحمد عبد العزيز، موقع "القلم".

(٣) راجع: كتاب «الشيعة والمسجد الأقصى» لطارق حجازي، على شبكة الإنترنت.

موافقة إسرائيل، وأعلنت عن تسخير طائرتين للوزراء المسجونين في غزة والضفة الغربية؟؟ وبهذا لن يلومهم أحد بالخذلان"^(١).

والأعجب أن إيران أعلنت في شهر (٤/٢٠٠٦) أنها ستقدم لحكومة حماس (٥٠) مليون دولار، ولكن بعد أكثر من شهرين صرح منوشهر متقي - وزير الخارجية الإيراني - أن هذا المبلغ لم يوافق عليه بعد مجلس الشورى الإيراني^(٢).

وحصدت إيران الثناء العاطر من الجماهير العاطفية؛ رغم أن بعض المحللين ينبهون إلى أن: "طهران مشهورة ببخلها! فبرغم أن حزب الله اللبناني المحسوب عليها؛ والذي حقق انتصارات في السياسة الخارجية طيلة ربع القرن المنصرم، بدءاً من حرب الرهائن في الثمانينات إلى حرب تحرير الجنوب، وانتهاء الآن بدوره كحاجز صاروخي لردع أي هجوم "إسرائيلي" على منشآتها النووية؛ إلا أنها لا تقدم له سوى (٥٠ أو ٧٥) مليون دولار سنوياً"^(٣).

■ خذلان غزة:

وها هي غزة تتعرض للإبادة والقصف، والناس تترقب صواريخ إيران وحزب الله؟! فيكون الجواب على لسان سعيد جليلي وحسن نصر الله: لن نطلق صواريخ على إسرائيل!! وقد تنازعت سوريا وإيران على بطولة وشرف من الذي ضبط حزب الله حتى لا يطلق الصواريخ، وكأن حزب الله كان في وارد إطلاق صواريخ! وقد أعلن حسن نصر الله من أول يوم: لن نطلق الصواريخ؛ لأن ذلك لا يفيد غزة، ولا يضر إسرائيل!! ولكسب عواطف الجمهور قامت إيران بإرسال سفينة تحتوي على أسلحة لغزة، وتم ضبطها، وكل عاقل يدرك أن إسرائيل لا تحاصر غزة بحرًا الآن بل هي تقصفها، ولا يمكن لقارب فلسطيني الخروج للبحر، ولكن لضرورات الإعلام والدعاية لا بد من التضحية ببعض البنادق والذخائر! وبذلك تكون إيران فرضت نفسها بأنها باب للمشاكل، لكنها مستعدة لأن تكون مفتاحًا للحل أيضًا، إذا تم مراعاة مطالبها بالنفوذ والسيطرة في المنطقة، ولذلك وغزة تحت القصف

(١) مقال: (الموقف الإيراني من حزب الله وحركة حماس) لصالح الدين حميدة، على "شبكة فلسطين للحوار".

(٢) "رويترز"، (٩/٧/٢٠٠٦).

(٣) مقال: (حماس وإيران والجهاد الملالي) لسعد محيو، صحيفة "الخليج"، (٢٣/٢/٢٠٠٦).

- وإيران تطلق الشعارات والتهافتات لفلسطين، وتستقبل قادة حماس، وتشارك في قمة الدوحة لنصرة غزة- كشف النقاب عن مباحثات ولقاءات استمرت طوال سنة (٢٠٠٨) بين مستشار نجاد الخصاص مجتبي هاشمي وبين ويليام بيرى - وزير الدفاع إبان إدارة كليتون- للوصول لصفقة على غرار ما اقترحه إيران في (٢٠٠٣) من الاعتراف بإسرائيل والضغط على المقاومة الفلسطينية!!!^(١)

ولذلك جاءت نتائج الاستطلاعات في غزة متدنية بخصوص الرضا عن موقف إيران؛ حيث صوت (٥٨.٢%) أنهم غير راضين عن موقف إيران، وأعرب (٤٥.٥%) عن عدم رضاهم عن حزب الله^(٢).

■ تلاعب إيران بالقضية الفلسطينية حقيقة ثابتة:

وكون إيران تستخدم القضية الفلسطينية لمكاسب إيرانية شيعية ليس سرّاً، هذا أسامة حمدان - أحد قادة حماس - يقول في مقابلة بالهاتف مع بعض العلماء: "إننا - بإذن الله ﷻ - لا نقبل أن يغير صمود المجاهدين وصبرهم، وجهادهم وتضحيتهم في صالح راية غير الراية التي نحمل ونؤمن؛ أن الجهاد تحت لوائها، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".
ويقول - أيضاً -: "ونرجو أن تكون أمتنا معنا في ذلك، وأن تبذل الجهد في ذلك إلى جانبنا، لا نفرح بأن يقترف هذا النصر وأن يقترف هذا الجهاد وهذه التضحيات أحد لا نثق به ولا نعتمد عليه"^(٣).

أما الدكتور صالح الرقب - القيادي البارز في حماس بغزة-؛ فيعلن بكل وضوح أن دعوى الشيعة برغبتهم لتحرير القدس وفلسطين: "هذه الدعوة المزيّفة! لأن ما يجري على أرض الواقع يُكذّب هذه الشعارات التي تعد فقط مطية لكسب تأييد جماهيري، وما يطلقه الإيرانيون في يوم القدس ما هي إلا شعارات وكلمات! ثم بعد ذلك ينفض المولد"^(٤).

(١) "الوطن العربي"، (١١/٢/٢٠٠٩).

(٢) استطلاع رقم (٦٧)، (يناير ٢٠٠٩)، نفذه مركز القدس للإعلام والاتصال بالقدس.

(٣) "موقع المسلم"، (١٥/١/١٤٣٠هـ).

(٤) (حماس والتشيع السياسي "قراءة في الخطاب")، أحمد عبد العزيز، موقع "القلم".

ويؤكد على ذلك الكاتب صلاح حميدة -الحمساوي- بقوله: "السياسة الإيرانية في المنطقة في هذه الفترة تقوم على إبقاء التوتر وتصعيده في أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين؛ حتى تستنزف القوى المتضررة من التصعيد، وتمنعها من التفكير بمهاجمة إيران في هذه المرحلة. ولذلك؛ فإن إنجاح حكومة حماس ليس من ضمن الأجندة الإستراتيجية الإيرانية في المنطقة"^(١).

■ لماذا لا تنتشر هذه الرؤية؟

ولكن هذه الرؤية الصائبة لحقيقة الموقف الإيراني من قضية فلسطين تلتبس على كثير من المسلمين -الخاصة منهم والعامة-، لأسباب:

١- أن هذه الرؤية لا يفسح لها المجال للتعبير عن نفسها إلا في مجالات ضيقة ومحدودة، وبلغة غير واضحة غالباً، بل تكتفي بالتلميح؛ كما في كلام حمدان المتقدم.

٢- وأيضاً هذا الكلام يصدر فقط حين يكون المخاطب به هم معارضي مشروع إيران، أو في معرض الدفاع عن تهمة ارتباط حماس أو تعاونها مع إيران.

٣- كما أن مما يزيد الأمر لبساً: بعض التصريحات لقيادات من حماس أو جماعة الإخوان التي تضفي على إيران البطولة والمصداقية؛ كما في تصريحات المرشد العام لجماعة الإخوان، أو رئيس المكتب السياسي لحركة حماس؛ حين قال لقناة "العربية": "إيران على الدوام منذ انطلاقة الثورة الإيرانية المظفرة وهي تأخذ مواقف جادة ومواقف كبيرة ومبدئية تجاه القضية الفلسطينية وفي مواجهة المشروع الصهيوني"^(٢).

طريقة تعاطي طهران مع الحدث الفلسطيني، وقد تكونون مشاركين فيها مثلاً؟ خالد مشعل: "خطة جديدة بمعنى جديدة لا أعتقد، لكن كما قلت؛ أنا أعتبر السياسة الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية هي سياسة مستمرة، امتداد لنهج متعارف عليه معتمد رسمياً وشعبياً في إيران، ونحن نقدر هذا ونثمنه عالياً، ونحن منسجمون في تأكيدنا على الحق الفلسطيني على حق المقاومة؛ في رفض إعطاء الشرعية للكيان الصهيوني، وإذا كانت إيران تقف مع الحق الفلسطيني

(١) مقال: (الموقف الإيراني من حزب الله وحركة حماس) لصلاح الدين حميدة، على "شبكة فلسطين للحوار".

(٢) "العربية نت" برنامج «ضيف وحوار» (٢٣/١٢/٢٠٠٥).

فالفلسطينيون بكل فصائلهم يقفون مع إيران وحقها والدفاع عن نفسها، ونحن وإياهم في خندق واحد أمام المطامع الأجنبية، وأمام التهديدات والاعتداءات سواء الصهيونية أو الأميركية". رغم أن السؤال كان: هل تبلغتم عن خطة جديدة لإيران في الموضوع الفلسطيني بعد تصريحات نجاد بإزالة إسرائيل وعودتها إلى أوروبا، مما جعل المذيع يعيد السؤال؛ ليجد نفس الجواب وزيادة!

المذيع: "هذا يدفعنا إلى السؤال عما إذا كنتم قد تبلغتم خطة إيرانية جديدة في...".

٤- وتقوم إيران بإطلاق تصريحات كاذبة على لسان قادة حماس؛ لتظهر أنها المتولية لشؤون حماس! أو لنفي طائفيتها بدعم حركة سنية! حيث نشرت صحيفة "كيهان" الإيرانية^(١) أن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل قدم تقريراً حول حرب غزة لولي أمر المسلمين! مما اضطر حركة حماس لتوضيح أن ذلك دعاية خاصة بالصحف الإيرانية^(٢).

وهذا قد تكرر من قبل حين نسبت المواقع الإيرانية إلى مشعل قوله: "إن حماس هي الابن الروحي للإمام الخميني"، وهو مما يستبعد صدوره من مشعل، ولم تنفه حماس!! رغم أنه قد زل بقوله: "الشيعة والسنة في خندق واحد"، وإهداء النصر لإيران، وجعلهم شركاء في النصر!!

٥- كما أن من سياسة إيران: القيام بحملات إعلامية لزيارات قادة حماس لها، ونقل صور قادة حماس في زيارة قبر الخميني، والقيام بالصلاة معاً لترويج الوحدة المزعومة! والكسب من شعبية حماس؛ وخاصة بعد التعاطف والتضامن الإسلامي الرائع مع غزة وحماس. وبذلك تكون إيران قد حققت مطلبها من زعم دعم القضية الفلسطينية!!

■ المطلوب من حماس:

يجب الإقرار بوجود نشاط للتشيع في غزة؛ بخلاف تصريحات بعض قادة حماس مثل: الزهار وأسامة حمدان، ويكفيها كلام د. صالح الرقب حول سبب تأليفه لكتاب «الوشيع في كشف شنائع وضلالات الشيعة»، وذلك قبل سنة (٢٠٠٠م)، هو: "ما لوحظ من زيادة نشاط الدعوة للشيعة

(١) بتاريخ (٢٠٠٩/٢/٢).

(٢) "العربية نت" (٢٠٠٩/٢/٢٠).

الإثني عشرية في الآونة الأخيرة على مستوى قطاع غزة خاصة^(١)، وقوله -أيضاً-: "ومما يؤسف له أنه تولى طباعة "الصحيفة السجادية" وتوزيعها في قطاع غزة بعض الجبهة المغرر بهم! وأطلقوا عليها: "الطبعة الفلسطينية"، وكتب أحدهم مقدمة لها غالى في مدحها وتعظيمها"^(٢).

ومن الممارسات التي تجري على الأرض في غزة بالتحديد لنشر للتشيع بشكل مكثف، ما يلي:

■ نشرت صحيفة "الاستقلال" -التابعة لحركة الجهاد الإسلامي- بتاريخ (١١/١١/٢٠٠٧م) مقالاً خطيراً، فيه لمز وتعريض بالصحابي الجليل أبي سفيان، وقد تكرر منها ذلك، وما تبثه إذاعة "صوت القدس" -التابعة للجهاد- من أفكار تشجع على التشيع.

■ إرسال بعض الجرحى للعلاج في إيران، ويتم الضغط عليهم للتشيع.

■ تأسيس بعض الجمعيات التي تبشر التبشير الشيعي، مثل:

١- جمعية الإحسان الخيرية، مقرها الرئيس في مدينة غزة، ولها فروع في كافة أنحاء القطاع.

٢- جمعية غدیر، ومقرها في بيت لاهيا في شمال قطاع غزة.

٣- جمعية رياض الصالحين، مقرها في مدينة غزة.

٤- جمعية أرض الرباط، مقرها -أيضاً- في مدينة غزة.

٥- جمعية آل البيت.

ولهذه الجمعيات أنشطة بين طلبة الجامعات، وتقوم بترتيب دورات في داخل البيوت

للترويج للفكر الشيعي:

● الإعلان عن بداية تأسيس جامعة تحمل اسم: جامعة آل البيت.

● توزيع مطويات شيعية بمناسبة عاشوراء.

● أما في محافظة بيت لحم؛ فتم إنشاء اتحاد الشباب الإسلامي، وبعض المؤسسات التي تنشر

التشيع.

(١) (ص ٣).

(٢) (ص ٦٣).

هذه أبرز مظاهر التشيع في فلسطين، ولأن حماس هي المسيطرة على غزة اليوم، ولأن حماس هي الجهة التي تحاول إيران استغلال شعبيتها ومصداقيتها لخداع المسلمين؛ فإن على حماس مسؤولية وقاية المسلمين في غزة وخارجها من الانخداع بأحاييل إيران، أو الظن أن دعم إيران لحماس هو بدافع الولاء الإسلامي! من خلال ما يلي:

■ في الخارج:

١- على حماس أن تكون أكثر حرصاً في تصريحاتها وخطاباتها؛ وخاصة خالد مشعل، فلا يطلق المدح والثناء العلني لإيران!! بل ليكن في المجالس الخاصة، وليس أمام وسائل الإعلام! فحماس تتلقى الدعم من أطراف عديدة، ولم يطلب منها أحد شكرًا علنيًا، فلماذا إيران دون غيرها؟؟

كما أن هذه التصريحات والزيارات والصور التذكارية عند قبر الخميني وصلاة الجمعة؛ يتم ترويجها عند كثير من بسطاء المسلمين على أنها تركية من مجاهدي فلسطين لإيران والخميني والشيعة! وأن منهج التقارب مع الشيعة هو منهج صحيح، كما أن هذه الصور - خاصة صلاة قيادات حماس مع الشيعة - تخالف قناعات حماس بضلال الشيعة وخطأ التقارب معهم، وهذا ما كان يعلنه الشيخ أحمد ياسين والدكتور نزار ريان - رحمهما الله -.

٢- يجب على حماس تكذيب أي خبر إيراني غير صحيح حول علاقتها بإيران علنًا، والإعلان عن أن أي تصريح لا ينشر في موقع الحركة أو ما تعلنه هي غير صحيح، لنسحب البساط من أيدي الإيرانيين من استغلال اسم حماس لمصالحهم الطائفية؛ كما حدث في تصريح "مشعل يقدم تقريره لولي أمر المسلمين"، وقبله ما نسبته وكالة "مهر" الإيرانية لمشعل قوله: "حماس الابن الروحي للخميني".

٣- على حماس توضيح حقيقة "العلاقة الإستراتيجية مع إيران" بشكل معلن؛ عبر وثيقة أو حوار أو ما شابه ذلك، وليس فقط في المجالس الخاصة للمعارضين للمشروع الإيراني!!

٤- يجب على حماس تبني قضايا الفلسطينيين في الخارج بشكل قوي وصریح؛ بخلاف ما جرى في حق مجازر فلسطينيي العراق؛ من عدم تسمية المجرم باسمه!

٥- لا يجوز السكوت عمًا يجري في المخيمات الفلسطينية في الشتات؛ من تشيع أو تضيق من قبل القوى الشيعية وغيرها.

٦- يجب على حماس الشجب العلني لأي ممارسات إيرانية تمس المصالح الحيوية للدول العربية؛ كما في مطالبات إيران بالبحرين أو جزر الإمارات وغيرها، وبيان أن هذا لا يصب في صالح القضية الفلسطينية، فتغاضي حماس عن مثل هذه التصرفات يولد الشك والريبة في قلوب الأطراف العربية، وعدم التأي في بعض التصريحات ضر حماس والقضية الفلسطينية؛ كما في تصريح موسى أبو مرزوق بخصوص جزر الإمارات؛ والذي تراجع عنه وصححه فيما بعد.

■ أما في الداخل:

- ١- على حماس العمل على تعزيز التحصين ضد التشيع؛ من خلال التركيز على بث وتثبيت عقيدة أهل السنة، والتحذير من خطر البدع والشرك، وتعزيز مكانة أمهات المؤمنين والصحابة؛ من خلال أجهزة الإعلام التي تملكها، ومنابر المساجد، والمناهج المدرسية والحركية.
- ٢- التعامل بجدية أكثر مع ظواهر التشيع في أماكن سلطتها؛ من خطب ومحاضرات، ومقالات ومنشورات؛ تروج وتحث على التشيع.
- ٣- إبطال نشاطات التشيع التي تقوم بها حركة الجهاد؛ عبر مؤسساتها الدعوية والإغاثية، وأن لا يقتصر الحزم معهم في قضايا النفوذ والسلطة!!
- ٤- عدم منع من يعملون على إفشال المشروع الشيعي في غزة وفلسطين، أسوة بعدم منع بقية الفصائل من العمل مع تبنيتها لمشاريع وتوجهات مخالفة لحماس، وبعضها للإسلام نفسه، فلماذا تستطيع حماس استيعاب نشاط العلمانيين والرافضة وتعجز عن استيعاب نشاط بعض الإسلاميين من مخالفيهم!!



التعاون الإسرائيلي الإيراني^(١)

رغم أن الإيرانيين الشيعة يصرخون دومًا بمعاداة أمريكا وإسرائيل، ويصرّون على التظاهر - حتى في مكة المكرمة! - ضد أمريكا وإسرائيل؛ إلا أنهم حافظوا على علاقة تعاون بينهم وبين إسرائيل منذ بداية ثورة الخميني، فثورة الخميني بقيت تسير على نفس منهج الشاه؛ الساعي نحو النفوذ والهيمنة في المنطقة باستخدام كل الوسائل المتاحة؛ ولو كانت تتعارض مع المبادئ المعلنة! فالمصلحة الإيرانية تتقدم على كل شيء؛ حتى على الإسلام!!

ومن أبرز الأمثلة على ذلك: استمرار ثورة الخميني في احتلال الأحواز، والمطالبة بالبحرين، ومحاولة السيطرة على منطقة الخليج، والإصرار على تسميته بـ: "الخليج الفارسي"، واحتلال جزر الإمارات، يقول د. جاسم الحياي: "سقوط الشاه لم يمنع النظام الجديد الذي جاء بعده من أن يستفيد من أخطائه... ومنها: الجزر العربية الثلاث؛ التي ظلت تحت السيطرة والاحتلال الإيراني، فأثبت النظام الجديد الذي جاء في أعقاب نظام الشاه أنه لا يختلف عنه في النهج التوسعي العنصري"^(٢).

وكان الشاه يقول: "إن العلاقة بين إسرائيل وإيران تشبه تلك القائمة بين عاشقين يعيشان قصة حب غير شرعية!!"

ولذلك حافظ الخميني على بقاء الباب مواربًا في وجه إسرائيل، ولم يغلقه بالكلية، فالخميني الذي استطاع التحالف والتعامل مع كافة الأطراف الإيرانية والعربية والإسلامية والدولية لم يكن ليعجز أو يتورع عن التحالف أو التعامل مع إسرائيل!

والخميني - الذي يقدم المصلحة على المبادئ! - لم يتحرج من هذه العلاقة؛ كما يروي ذلك أبو الحسن بني صدر - أول رئيس لجمهورية إيران الإسلامية -؛ حين سأله قناة "الجزيرة": "هل كنت على علم بوجود علاقات معينة مع إسرائيل لأجل الحصول على السلاح؟".

(١) موقع "الراصد"، (٢٧ أبريل ٢٠٠٩).

(٢) «خفايا علاقات إيران- إسرائيل، وأثرها في احتلال إيران لجزر الإمارات» (ص ٢١٨)، انظر: عرض للكتاب على

هذا الرابط: http://www.alrased.net/show_topic.php?topic_id=١٢٢٣

فأجاب: "في المجلس العسكري أعلمنا وزير الدفاع أننا بصدد شراء سلاح من إسرائيل، عجبنا كيف يفعل ذلك! قلت: من سمح لك بذلك؟ قال: الإمام الخميني، قلت: هذا مستحيل! قال: أنا لا أجرؤ على عمل ذلك لو حدي.

سارعت للقاء الخميني وسألته: هل سمحت بذلك؟ قال: نعم؛ إن الإسلام يسمح بذلك، وإن الحرب هي الحرب.

صعقت لذلك! صحيح أن الحرب هي الحرب، ولكنني أعتقد أن حربنا نظيفة، والجهاد هو: أن نقنع الآخرين بوقف الحرب والتوق إلى السلام، نعم؛ هذا الذي يجب عمله وليس الذهاب إلى إسرائيل وشراء السلاح منها لحرب العرب! لا لن أرضى بذلك أبداً.

حينها قال لي: إنك ضد الحرب، وكان عليك أن تقودها لأنك في موقع الرئاسة"^(١).

أما عن المبرر الذي دعا الخميني وإسرائيل لذلك: أنهما انتهازيان، لا يقيمان للمبادئ وزناً! فالعلاقة مع إسرائيل تخفف عن الخميني درجة العداء الأمريكي، وتقدم له قطع غيار السلاح الذي يحتاجه؛ لأن السلاح الإيراني هو سلاح أمريكي.

وأمریکا منعت عن إيران الخميني السلاح، وإسرائيل كانت تنهج في سياستها - التي أرساها بن غوريون - التعاون مع الدول غير العربية المحيطة بها، وهي: تركيا وإيران وأثيوبيا؛ لأنها أجسام غير عربية، وتتكون من أقليات في المحيط العربي قد يجمعها مع إسرائيل رابط الأقلية في مواجهة الأكثرية.

كما أن سياسة إسرائيل هي: إقامة وسائل اتصال سرية مع البلدان التي لا تعترف بإسرائيل؛ كخطوة ممهّدة لإقامة علاقات رسمية في المستقبل.

ولما نشبت الحرب أصبحت إيران بحاجة للسلاح، وإسرائيل بحاجة للتخلص من المخزون القديم؛ فتبادل الطرفان المصالح على حساب المسلمين، وحين زادت حاجة الإيرانيين للسلاح وقطع الغيار - أيضاً - باعتهم إسرائيل ما استولت عليه من سلاح الفلسطينيين في لبنان سنة (١٩٨٢م)، بقيمة (١٠٠) مليون دولار!!^(٢)

(١) مقابلة مع قناة "الجزيرة"، منشورة في شبكة الإنترنت.

(٢) «الحرب المشتركة: إيران وإسرائيل»، حسين علي هاشمي، (ص ٣٥)، و"القبس" الكويتية (٤/١٢/١٩٨٦)

■ منهجية العلاقة بين إسرائيل وإيران:

من أفضل ما يساعد على فهم ذلك: كتاب «التحالف الغادر: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة الأمريكية»، للكاتب "تريتا بارسي"، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة "جون هوبكينز"، والمولود في إيران، والحاصل على شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة "جون هوبكينز"، في رسالة عن العلاقات الإيرانية-الإسرائيلية. وقد عرض لأهم أفكار الكتاب الأستاذ علي باكير^(١)؛ حيث قال:

"يعالج تريتا بارسي في هذا الكتاب العلاقة الثلاثية بين كل من إسرائيل وإيران وأمريكا؛ لينفذ من خلالها إلى شرح الآلية التي تتواصل من خلالها حكومات الدول الثلاث، وتصل من خلال الصفقات السرية والتعاملات غير العلنية إلى تحقيق مصالحها؛ على الرغم من الخطاب الإعلامي الاستهلاكي للعداء الظاهر فيما بينها!

وفقاً لبارسي؛ فإن إدراك طبيعة العلاقة بين هذه المحاور الثلاث يستلزم فهماً صحيحاً لما يحمله النزاع الكلامي الشفوي الإعلامي، وقد نجح الكاتب من خلال الكتاب في تفسير هذا النزاع الكلامي ضمن إطار اللعبة السياسية؛ التي تتبناها هذه الأطراف الثلاثة.

و يعرض بارسي في تفسير العلاقة الثلاثية لوجهتي نظر متداخلتين في فحصه للموقف

بينهما:

أولاً: الاختلاف بين الخطاب الاستهلاكي العام والشعبي (أي: ما يسمى: الأيديولوجيا هنا)، وبين المحادثات والاتفاقات السرية التي تجريها الأطراف الثلاثة - غالباً - مع بعضها البعض (أي: ما يمكن تسميته: الجيو-استراتيجية هنا).

ثانياً: يشير إلى الاختلافات في التصورات والتوجهات استناداً إلى المعطيات الجيو-استراتيجية؛ التي تعود إلى زمن معين ووقت معين.

= بواسطة «التعاون التسليحي الإسرائيلي الإيراني»، إصدار وزارة الخارجية العراقية، (ص ٥٥)، مجلة "أكتوبر" المصرية، في عددها (آب ١٩٨٢)، مجلة "ميدل إيست" البريطانية، في عددها (تشرين الثاني ١٩٨٢).

(١) تجده على الرابط التالي: http://www.alrased.net/show_topic.php?topic_id=٨٨٣

ليكون الناتج محصلة في النهاية لوجهات النظر المتعارضة بين "الأيدولوجية" و"الجيو- استراتيجية"، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المحرك الأساسي للأحداث يكمن في العامل "الجيو- استراتيجي"، وليس "الأيدولوجي"؛ الذي يعتبر مجرد وسيلة أو رافعة.

بمعنى أبسط: يعتقد بارسي أن العلاقة بين المثلث الإسرائيلي-الإيراني-الأمريكي تقوم على المصالح والتنافس الإقليمي والجيو-استراتيجي، وليس على الأيدولوجيا والخطابات والشعارات التعبوية الحماسية.

وفي إطار المشهد الثلاثي لهذه الدول؛ تعتمد إسرائيل في نظرتها إلى إيران على "عقيدة الطرف" الذي يكون بعيداً عن المحور، فيما تعتمد إيران على المحافظة على قوة الاعتماد على "العصر السابق" أو التاريخ؛ حين كانت الهيمنة "الطبيعية" لإيران تمتد لتطال الجيران القريين منها.

وبين هذا وذاك يأتي دور اللاعب الأمريكي؛ الذي يتلاعب بهذا المشهد، ويتم التلاعب به -أيضاً- خلال مسيرته للوصول إلى أهدافه الخاصة والمتغيرة تبعاً.

واستناداً إلى الكتاب، وعلى عكس التفكير السائد؛ فإن إيران وإسرائيل ليستا في صراع أيديولوجي بقدر ما هو نزاع استراتيجي قابل للحل.

يشرح الكتاب هذه المقولة، ويكشف الكثير من التعاملات الإيرانية-الإسرائيلية السرية التي تجري خلف الكواليس؛ والتي لم يتم كشفها من قبل.

كما يؤكد الكتاب في سياقه التحليلي إلى أن أحداً من الطرفين (إسرائيل وإيران) لم يستخدم أو يطبق خطاباته النارية، فالخطابات في واد والتصرفات في واد آخر معاكس!

وفقاً لبارسي؛ فإن إيران الثيوقراطية ليست "حصلاً لا عقلاً" للولايات المتحدة وإسرائيل، كما كان الحال بالنسبة للعراق بقيادة صدام، وأفغانستان بقيادة الطالبان.

فطهران تعتمد إلى تقليد "اللاعقلانيين"؛ من خلال الشعارات والخطابات الاستهلاكية، وذلك كرافعة سياسية وتموضع دبلوماسي فقط! فهي تستخدم التصريحات الاستفزازية ولكنها لا تتصرف بناءً عليها بأسلوب متهور وأرعن من شأنه أن يزعزع نظامها.

وعليه؛ فيمكن توقع تحركات إيران، وهي ضمن هذا المنظور "لا تشكل خطراً لا يمكن احتواؤه"؛ عبر الطرق التقليدية الدبلوماسية.

وإذا ما تجاوزنا القشور السطحية التي تظهر من خلال المهاترات والتراشقات الإعلامية والدعائية بين إيران وإسرائيل؛ فإننا سنرى تشابهاً مثيراً بين الدولتين في العديد من المحاور؛ بحيث أننا سنجد أن ما يجمعها أكبر بكثير مما يفرقهما.

كلتا الدولتين تميلان إلى تقديم نفسيهما على أمتها متفوقتان على جيرانهم العرب (Superior)؛ إذ ينظر العديد من الإيرانيين إلى أن جيرانهم العرب في الغرب والجنوب أقل منهم شأنًا من الناحية الثقافية والتاريخية وفي مستوى دوني، ويعتبرون أن الوجود الفارسي على تخومهم ساعد في تحضُّرهم وتمدُّنهم، ولولاه لما كان لهم شأن يذكر!

في المقابل؛ يرى الإسرائيليون أنهم متفوقون على العرب، بدليل أنهم انتصروا عليهم في حروب كثيرة، ويقول أحد المسؤولين الإسرائيليين في هذا المجال لبارسي: "إننا نعرف ما باستطاعة العرب فعله، وهو ليس بالشيء الكبير"، في إشارة إلى استهزائه بقدرتهم على فعل شيء حيال الأمور.

ويشير الكتاب إلى أننا إذا ما أمعنا النظر في الوضع الجيو-سياسي الذي تعيشه كل من إيران وإسرائيل ضمن المحيط العربي؛ سنلاحظ أنهما يلتقيان -أيضاً- حالياً في نظرية: "لا حرب، لا سلام".

الإسرائيليون لا يستطيعون إجبار أنفسهم على عقد سلام دائم مع من يظنون أنهم أقل منهم شأنًا، ولا يريدون -أيضاً- خوض حروب طالما أن الوضع لصالحهم، لذلك فإن نظرية: "لا حرب، لا سلام" هي السائدة في المنظور الإسرائيلي.

في المقابل؛ فقد توصل الإيرانيون إلى هذا المفهوم من قبل، واعتبروا أن: "العرب يريدون النيل منا".

الأهم من هذا كله: أن الطرفين يعتقدان أنهما منفصلان عن المنطقة ثقافياً وسياسياً وإثنيًا، الإسرائيليون محاطون ببحر من العرب، ودينياً محاطون بالمسلمين السنة، أما بالنسبة لإيران؛ فالأمر مشابه نسبياً، عرقياً هم محاطون بمجموعة من الأعراق غالبها عربي؛ خاصة إلى الجنوب والغرب، وطائفيًا محاطون ببحر من المسلمين السنة.

يشير الكاتب إلى أنه وحتى ضمن الدائرة الإسلامية فإن إيران اختارت إن تميّز نفسها عن محيطها؛ عبر أتباع التشيع بدلاً من المذهب السني السائد والغالب.

ويؤكد الكتاب على حقيقة أن (إيران وإسرائيل تتنافسان ضمن دائرة نفوذهما في العالم العربي)، وبأن هذا التنافس طبيعي، وليس وليد الثورة الإسلامية في إيران، بل كان موجوداً حتى إبان حقبة الشاه "حليف إسرائيل".

فإيران تخشى أن يؤدي أي سلام بين إسرائيل والعرب إلى تهميشها إقليمياً؛ بحيث تصبح معزولة، وفي المقابل فإن إسرائيل تخشى من الورقة "الإسلامية" التي تلعب بها إيران على الساحة العربية ضد إسرائيل.

استناداً إلى "بارسي"، فإن السلام بين إسرائيل والعرب يضرب مصالح إيران الإستراتيجية في العمق في هذه المنطقة، ويبعد الأطراف العربية عنها؛ ولا سيما سوريا، مما يؤدي إلى عزلها استراتيجياً، ليس هذا فقط؛ بل إن التوصل إلى تسوية سياسية في المنطقة سيؤدي إلى زيادة النفوذ الأمريكي والقوات العسكرية، وهو أمر لا تحبّه طهران.

ويكشف الكتاب أن اجتماعات سرية كثيرة عقدت بين إيران وإسرائيل في عواصم أوروبية، اقترح فيها الإيرانيون تحقيق المصالح المشتركة للبلدين؛ من خلال سلة متكاملة تشكل صفقة كبيرة، تابع الطرفان الاجتماعات فيما بعد، وكان منها: اجتماع "مؤتمر أئينا"، في العام (٢٠٠٣)؛ والذي بدأ أكاديمياً وتحول فيما بعد إلى منبر للتفاوض بين الطرفين، تحت غطاء كونه مؤتمراً أكاديمياً.

ويكشف الكتاب - من ضمن ما يكشف - عن وثائق ومعلومات سرية جداً: أن المسؤولين الرسميين الإيرانيين وجدوا أن الفرصة الوحيدة لكسب الإدارة الأمريكية تكمن في تقديم مساعدة أكبر وأهم لها في غزو العراق العام (٢٠٠٣)؛ عبر الاستجابة لما يحتاجه، مقابل ما ستطلبه إيران منها، على أمل أن يؤدي ذلك إلى عقد صفقة متكاملة، تعود العلاقات الطبيعية بموجبهما بين البلدين، وتنتهي مخاوف الطرفين.

وبينما كان الأمريكيون يغزون العراق في (نيسان) من العام (٢٠٠٣) كانت إيران تعمل على إعداد "اقترح" جريء ومتكامل، يتضمن جميع المواضيع المهمة ليكون أساساً لعقد "صفقة كبيرة" مع الأمريكيين عند التفاوض عليه، في حل النزاع الأمريكي-الإيراني.

تم إرسال العرض الإيراني - أو الوثيقة السرية - إلى واشنطن، لقد عرض الاقتراح الإيراني السري مجموعة مثيرة من التنازلات السياسية التي ستقوم بها إيران في حال تمت الموافقة على "الصفقة الكبرى".

وهو يتناول عددًا من المواضيع منها: برنامجها النووي، سياستها تجاه إسرائيل، ومحاربة القاعدة، كما عرضت الوثيقة: إنشاء ثلاث مجموعات عمل مشتركة أمريكية-إيرانية بالتوازي؛ للتفاوض على "خارطة طريق" بخصوص ثلاثة مواضيع: "أسلحة الدمار الشامل"، "الإرهاب والأمن الإقليمي"، "التعاون الاقتصادي".

وفقاً لـ "بارسي" فإن هذه الورقة هي مجرد ملخص لعرض تفاوضي إيراني أكثر تفصيلاً كان قد علم به في العام (٢٠٠٣)، عبر وسيط سويسري نقله إلى وزارة الخارجية الأمريكية بعد تلقيه من السفارة السويسرية (أواخر نيسان-أوائل أيار) من العام (٢٠٠٣).

هذا؛ وتضمنت الوثيقة السرية الإيرانية لعام (٢٠٠٣)؛ والتي مرّت بمراحل عديدة منذ (١١ أيلول ٢٠٠١) ما يلي^(١):

- ١- عرض إيران استخدام نفوذها في العراق لـ (تحقيق الأمن والاستقرار) إنشاء مؤسسات ديمقراطية، وحكومة غير دينية.
- ٢- عرض إيران (شفافية كاملة)؛ لتوفير الاطمئنان، والتأكيد بأنها لا تطور أسلحة دمار شامل، والالتزام بما تطلبه الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل كامل ودون قيود.
- ٣- عرض إيران إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة، والضغط عليها لإيقاف عملياتها العنيفة ضدّ المدنيين الإسرائيليين داخل حدود إسرائيل العام (١٩٦٧).
- ٤- التزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني.

(١) تناول كاتب المقالة علي باكير هذا الموضوع بتفصيل كبير ودقيق - بعد رصد ومتابعة لأشهر عديدة -، في سلسلة مؤلفة من ثلاثة تقارير، نشرت في جريدة "السياسة" الكويتية، تحت عنوان: (المساومات الإيرانية-الأميركية... "إيران غيت" ثانية؟ أم حرب خليج رابعة؟)، بتاريخ (٦ و٧ و٨/٣/٢٠٠٧).

ويمكن الرجوع إليها لمزيد من التفاصيل على الرابط التالي:

الجزء الأول: <http://alibakeer.maktoobblog.com/?post=٢٣٥٠٦٨>

الجزء الثاني: <http://alibakeer.maktoobblog.com/?post=٢٣٧٠٨٩>

الجزء الثالث: <http://alibakeer.maktoobblog.com/?post=٢٣٩٤٣٠>

٥- قبول إيران بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمة بيروت عام (٢٠٠٢)، أو ما يسمى: "طرح الدولتين"، والتي تنص على إقامة دولتين، والقبول بعلاقات طبيعية، وسلام مع إسرائيل، مقابل انسحاب إسرائيل إلى ما بعد حدود (١٩٦٧).

المفاجأة الكبرى في هذا العرض كانت تتمثل ب: استعداد إيران تقديم اعترافها بإسرائيل كدولة شرعية!! لقد سبب ذلك إحراجاً كبيراً لجماعة المحافظين الجدد والصقور؛ الذين كانوا يناورون على مسألة "تدمير إيران لإسرائيل"، و"محوها عن الخريطة!" ويشير الكتاب -أيضاً- إلى أن إيران حاولت مرّات عديدة التقرب من الولايات المتحدة، لكن إسرائيل كانت تعطل هذه المساعي دوماً؛ خوفاً من أن تكون هذه العلاقة على حسابها في المنطقة.

ومن المفارقات الذي يذكرها الكاتب -أيضاً-: أن اللوبي الإسرائيلي في أمريكا كان من أوائل الذي نصحوا الإدارة الأمريكية في بداية الثمانينات بأن لا تأخذ التصريحات والشعارات الإيرانية المرفوعة بعين الاعتبار؛ لأنها ظاهرة صوتية لا تأثير لها في السياسة الإيرانية! باختصار؛ الكتاب من أروع وأهم الدراسات والأبحاث النادرة التي كتبت في هذا المجال؛ لا سيما أنه يكشف جزءاً مهماً من العلاقات السرية بين هذا المثلث الإسرائيلي-الإيراني-الأمريكي. ولا شك أنه يعطي دفعاً ومصداقية لأصحاب وجهة النظر هذه في العالم العربي؛ الذين حرصوا دوماً على شرح هذه الوضعية الثلاثية دون أن يملكوا الوسائل المناسبة لإيصالها للنخب والجمهور على حد سواء، وهو ما استطاع "تريتا بارسي" تحقيقه في هذا الكتاب في قالب علمي وبحثي دقيق ومهم.

ولكن ما لم يتم ترجمة الكتاب كاملاً للعربية، ووصوله للقارئ العربي والمسلم؛ فسيظل الكثير من شعوبنا يعيش في أوهام النصر والنجدة الإيرانية للقضايا الإسلامية والعربية وعلى رأسها: قضية فلسطين!! انتهى عرض باكير.

الخلاصة المهمة من كل هذا: أن المصلحة الإيرانية هي التي تتحكم بالعلاقة مع إسرائيل، وليست الشعارات المعادية لها، وكل التصريحات والتحركات هي لتحقيق مصالح إيران بين الإيرانيين والشيعية والعرب والمسلمين من جهة، ومن جهة أخرى لتحقيق مكاسب لدى منافسيها ومصارعها: إسرائيل وأمريكا وأوروبا.

■ مجالات التعاون:

إن مسلسل التعاون الإسرائيلي الإيراني لم يقتصر على السلاح بل لقد تعددت مجالات هذا التعاون؛ فشملت السلاح والتجارة والنفط وغيرها، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: التعاون في مجال التسليح:

في البداية؛ يجب ملاحظة أن التعاون في مجال التسليح ينفي أسطورة العداء الكلي، فليس من المعقول أنك تسلح عدوك!!

- ١- لقد كانت إسرائيل المصدر الأول للسلاح لإيران في الفترة من (١٩٨٠-١٩٨٥)^(١).
- ٢- بدأ هذا التعاون في مجال التسليح من خلال شركة الشيخ صادق طبطبائي (INTERNATIONAL COMMERCE CENTER)^(٢)؛ التي كانت حلقة الوصل بين إيران وإسرائيل بالتعاون مع يوسف عازر؛ الذي كانت له علاقة بأجهزة المخابرات الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي، وقد زار طبطبائي إسرائيل في (٦ كانون الأول ١٩٨٠)، وانكشف ختم دخوله إلى إسرائيل على جوازه عندما ضبطته السلطات الألمانية في المطار وفي حقيبته كيلو ونصف كيلو من المخدرات "مادة الهيروين"، وذلك في (كانون الثاني سنة ١٩٨٣)، وقد عرض ختم دخوله إلى إسرائيل على ملايين الناس في التلفزيون الألماني، في فرانكفورت^(٣).
- ٢- وبعد هذه الزيارة بدأت شحنات السلاح الإسرائيلي تتدفق على ثورة الخميني، كما يرصدها ملف (التعاون التسليحي الإسرائيلي الإيراني)، إصدار وزارة الخارجية العراقية^(٤).
- ٣- لم يقتصر توريد السلاح على شركة طبطبائي بل دخل على الخط جملة الوسطاء في تصدير السلاح الإسرائيلي إلى إيران، منهم: أندريه فريدل وزوجته جامي، وهما يهوديان إسرائيليان يتنقلان

(١) «الحرب المشتركة إيران وإسرائيل»، حسين علي هاشمي، (ص ٣٥)، «أيلتقي النقيضان؟»، محمد مال الله، (ص ٢٩٧)؛ ففيه توثيق جيد لمجمل التعاون الإيراني الإسرائيلي.

(٢) صادق طبطبائي: نائب رئيس مجلس الوزراء سابقاً، وشقيق زوجة أحمد الخميني.

(٣) «الحرب المشتركة: إيران وإسرائيل»، حسين علي هاشمي، (ص ١٦)، و«القبس» الكويتية (٤/١٢/١٩٨٦)، بواسطة «التعاون التسليحي الإسرائيلي الإيراني»، إصدار وزارة الخارجية العراقية، (ص ٥٥).

(٤) (ص ٥٨).

بين لندن ومستعمرة هرتزاليا؛ من خلال شركتهما (INTERNATIONAL JSC)؛ التي انكشفت فأسّسا شركة جديدة (ENDAL HOLDING LIMITED)، وقد بدأ نشاط أندريه فريدل عام (١٩٨٠)، واستمر في الأعوام (٨١، ٨٢، ٨٣)، حيث صدّرا كميات ضخمة لإيران؛ بالتعاون مع وزارة الدفاع الإسرائيلية، بإشراف زفي روتير - المدير المساعد في الوزارة لشؤون تصدير المعدات العسكرية-^(١).

٤- أيضًا قام العقيد يعقوب النمرودي -الملحق العسكري الإسرائيلي الأسبق بطهران زمن الشاه- باستغلال شركته "شركة التجهيزات الدولية لإزالة الملح" لفتح خط تسليح لإيران من إسرائيل، ويعتبر دوره أكبر من دور أندريه فريدل في تزويد إيران بالأسلحة الإسرائيلية؛ حيث وقّع يعقوب صفقة أسلحة كبيرة مع العقيد كوشك -نائب وزير الدفاع الإسرائيلي- لصالح إيران^(٢).

٥- وفي (١٨ تموز ١٩٨١) انكشف التصدير الإسرائيلي إلى إيران علنًا؛ عندما أسقطت وسائل الدفاع السوفيتية طائرة أرجنتينية تابعة لشركة (TRANSPORTE AERO RIOPLTENSE) اروريو بلنيس، وهي واحدة من سلسلة طائرات كانت تنتقل بين إيران وإسرائيل محملة بأنواع السلاح وقطع الغيار، ضمن صفقة قيمتها (١٥٠) مليون دولار، تنقل خلالها (٣٦٠) طنًا من الأسلحة الإسرائيلية، يتطلب شحنها (١٢) رحلة.

وكانت الطائرة قد ضلت طريقها ودخلت الأجواء السوفيتية، على أن صحيفة "التايمز" اللندنية نشرت تفاصيل دقيقة عن هذا الجسر الجوي المتكتم، وقد قتل في الطائرة الوسيط البريطاني إستويب ألن ماك كفرتي^(٣).

٦- تم في سنة (١٩٨٤) عقد صفقة أسلحة إسرائيلية إلى إيران، قيل: إن قيمتها بلغت (٤) مليارات دولار^(٤).

(١) «الحرب المشتركة إيران وإسرائيل»، حسين علي هاشمي، (ص ١٩).

(٢) المصدر السابق، (ص ٢١).

(٣) المصدر السابق، (ص ٢٣).

(٤) المجلة السويدية "TT"، في (١٨ آذار ١٩٨٤)، ومجلة "الأوبزرفر"، في عددها بتاريخ (٧/٤/١٩٨٤)، (٢٠ تموز- يوليو ١٩٨٨).

٧- نشرت صحيفة "هاآرتس"^(١) تحت عنوان: "تقرير لوزارة الدفاع يؤكد عقود أسلحة مع إيران"، جاء فيه: "إن تقريراً داخلياً لوزارة الدفاع الإسرائيلية ذكر: أن إسرائيل قد حافظت على علاقات صناعية عسكرية مع إيران".

وقد ذكر ذلك التقرير: "أن هذه العلاقات كانت على الشكل التالي:

أ- تجهيز إيران بـ (٥٨.٠٠٠) قناع مضاد للغازات السامة، من قبل شركة "شالون للصناعات الكيماوية"، بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية.

ب- تجهيز إيران بكاشفات للغازات، من قبل شركة "إيلبت"، تستعمل لغرض الكشف عن عوامل الأسلحة الكيماوية.

ج- نصب أنظمة السيطرة على الحرائق في دبابات شرقية بيعت إلى إيران.

٨- نشرت صحيفة "هاآرتس" -أيضاً- مقالاً لكاتبتها فيكتور أوستروفسكي بعنوان: "ماذا أوضحت محاكمة دانبار السرية من معلومات عن التعاون التسليحي بين إيران وإسرائيل؟"^(٢)، تضمن ما يلي:

"مع علمنا بأن "ناحوم مانبار" مرتبط بشكل مباشر بالمخابرات الإسرائيلية (الموساد)، فإنه كان -أيضاً- ولعدة سنوات متورطاً بعقود أسلحة ومعدات عسكرية مع الإيرانيين، كما شارك من خلال أعماله تلك بالعديد من الشركات الإسرائيلية الأخرى.

إضافة إلى أنه يحتفظ بعلاقات تجارية جيدة مع مسئولين إيرانيين.

وفي الأعوام (١٩٩٠ إلى ١٩٩٤) كان قد باع لإيران (١٥٠) طنّاً من مادة كلوريد التايونيل؛ التي تدخل في صناعة غاز الخردل -أحد الأسلحة الكيماوية-.

كما أن "مانبار" قد وقع عقداً مع الإيرانيين لبناء مصنع قادر على إنتاج العديد من الأسلحة الكيماوية، إضافة لمصنع يتج أغلفة القنابل التي تستعمل لتلك الأسلحة".

(١) النقاط (٧-١٠) من مقال (العلاقة التسليحية بين إيران وإسرائيل)، لمحمد العبيدي، منشور بموقع "مفكرة الإسلام".

(٢) (في شهر أيلول-سبتمبر ١٩٩٨).

ويضيف المقال: "أثناء عمله مع الإيرانيين كان ضابط الارتباط بين "مانبار" وبين المخابرات الإسرائيلية هو: العميد المتقاعد "أموس كوتسيف"، وكذلك كان على اتصال مستمر مع شخص يحمل الاسم السري: "دان"، حيث كان هذا الشخص مكلفاً بالتعاون بين "مانبار" ووزارة الدفاع الإسرائيلية؛ كحلقة وصل مع الإيرانيين.

وهنا يجب الأخذ بنظر الاعتبار أن "مانبار" كان -أيضاً- حلقة الوصل بين إيران وما يقارب من (١٠٠) شركة إسرائيلية.

إضافة لذلك؛ فإن المدير التجاري لمانبار -الذي يقطن في ضاحية خارج العاصمة البريطانية لندن- كان قد زود إيران بثلاثين صاروخاً من نوع أرض -جو، وكان ذلك بمباركة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية.

كما باع "مانبار" إلى الإيرانيين (٢٢) عربة مزودة بمعدات خاصة بالحرب الكيماوية؛ حيث كان مصدر تلك العربات هو: القوات الجوية الإسرائيلية، وكانت قيمتها -آنذاك- حوالي (٢٠٠,٠٠٠) دولار.

ويدعم من المؤسسة العسكرية الإسرائيلية والموساد عقد "مانبار" اتفاقاً لحساب الإيرانيين مع شركة إسرائيلية تدعى: "شالون"، من منطقة "بيرغات"؛ لبناء مصنع لإنتاج الأقنعة الواقية من الغازات في إيران.

كما أعد "مانبار" لقاءً بين ممثلي الشركة الإسرائيلية "إلبيت"، هما: غاي بريل وغاد بارسيللا، وبين مسئول في برنامج الصواريخ الإيرانية هو: الدكتور أبو سفير -مدير القسم (١٠٥) في وزارة الدفاع الإيرانية-، وقد كان هذا اللقاء بمعرفة مدير شركة "إلبيت" إيمانويل جيل، وكذلك بموافقة رئيس قسم الدفاع الإسرائيلي ديفيد إفري.

٩- كذلك نشرت صحيفة "جيروسليم بوست"^(١) الصهيونية مقالاً لستيف رودان، قال فيه: إن شركة "إلبيت" الإسرائيلية باعت إلى إيران بين الأعوام (١٩٨٠ و ١٩٩٠) -وبموافقة وزارة الدفاع الإسرائيلية- معدات بلغت قيمتها أكثر من (٥٠) مليون دولار، وإن شركة "رابين تيكس"

(١) (١٧/٧/١٩٩٨).

الإسرائيلية قد باعت كذلك لإيران معدات للوقاية من الحرائق؛ وبموافقة وزارة الدفاع الإسرائيلية.

١٠- وعادت "هاآرتس" لتنشر أعلاه مقالاً تحت عنوان: "إسرائيل تعترف ببيعها تكنولوجيا الأسلحة الكيماوية لإيران"^(١)، قالت فيه: "إن "ناحوم مانبار" - تاجر الأسلحة الإسرائيلي - لم يكن الإسرائيلي الوحيد المتورط ببرنامج إيران للأسلحة الكيماوية. ففي الوقت الذي كان فيه "مانبار" يبيع مواد ومعدات وتكنولوجيا لبرنامج إيران للأسلحة الكيماوية؛ كان هناك إسرائيلي آخر متورط بهذه القضية؛ من خلال اتصاله بعملاء إيرانيين. حدث ذلك بين الأعوام (١٩٩٢ و ١٩٩٤)، حين باعت الشركة العائدة للصهيوني "موشي ريجيف" لإيران معدات ومواد ومعلومات وتكنولوجيا صناعة الغازات السامة؛ وخصوصاً غاز السارين وغاز الخردل.

علمًا بأن "مانبار" و"ريجيف" لم يكونا يعملان سوية، ولكنها كانا يعملان مع نفس العملاء الإيرانيين، وأن كلاهما كانت له علاقة وثيقة مع المخابرات والمؤسسة العسكرية الإسرائيلية. وبعد افتضاح أمرهما؛ لم تقم المخابرات الإسرائيلية -كعادتها- بأي عمل من شأنه جمع المعلومات عن علاقات هؤلاء الأشخاص ببرنامج التسليح الكيماوي الإيراني. وقد أصدرت حكومة نتياهو على إثر ذلك أمرًا يقضي بمنع النشر عن أي تعاون عسكري أو تجاري أو زراعي بين إسرائيل وإيران؛ حتى لا يلحق خطر بإسرائيل وعلاقتها الخارجية. ولا تزال الأخبار تتكشف في توثيق ما جرى من صفقات سلاح.

ثانيًا: التعاون في مجال النفط:

بدأ التعاون النفطي بين إيران وإسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني! فقد جرت مباحثات بين إيران وإسرائيل بشأن عقد صفقة تبيع فيها إيران النفط إلى إسرائيل، في مقابل إعطاء إسرائيل أسلحة إلى إيران بمبلغ (١٠٠) مليون دولار، كانت قد صادرتها من الفلسطينيين في جنوب لبنان^(٢).

(١) (٢٠ كانون الثاني - يناير ١٩٩٩).

(٢) مجلة "ميدل إيست" البريطانية، في عددها (تشرين الثاني ١٩٨٢)، وهو خبر واحد لكن تم تجزئته للتوضيح.

ثم لفَّ النسيان والظلام هذه العلاقة؛ حتى جاءت الأخبار في (ديسمبر) من العام (٢٠٠٢) أن رجل أعمال إيرانيًا يدير شركة يمتلكها مقرَّب من الرئيس خاتمي قام بزيارة سرية إلى إسرائيل، في محاولة لفحص إمكانية تجديد عمل أنبوب النفط إيلات - أشكلون؛ الذي تعود ملكيته إلى الحكومتين الإيرانية والإسرائيلية.

وخلال الزيارة غير الرسمية التقى رجل الأعمال الإيراني مع ممّول إسرائيلي، في فندق "انتركونتننتال"، في مدينة تل أبيب، ونسق اللقاء "يهوشوع مئيري"؛ أحد رؤساء جمعية تعنى بإقامة علاقات إسرائيلية - عربية أيضًا.

وكان من بين الشخصيات التي حضرت اللقاء إلى جانب "يهوشوع مئيري": الدكتور "شبارزاند"؛ الذي شغل قبل سنة ونصف منصب مستشار الرئيس الإيراني الخاص للشؤون الإسرائيلية.

وطلحت خلال اللقاء إمكانية التعاون مع الشركة التي يديرها المندوب الإيراني، وانفقت الأطراف على أن تقوم الشركة الإيرانية بتحميل النفط على ناقلات النفط، ونقله إلى ميناء مدينة إيلات، ومن ثم سينقل عبر الأنبوب إلى مدينة أشكلون؛ حيث سيسوق من هناك إلى الدول الأوروبية.

الهدف المباشر لهذا المشروع المطروح كان: اختصار الوقت، وتخفيف التكلفة المالية، ذلك أنّ ناقلات النفط الإيرانية تقوم - حاليًا - بالمرور عبر قناة السويس في طريقها إلى أوروبا، وهي تستغرق عددًا من الأسابيع قبل الوصول إلى وجهتها النهائية، إضافة إلى العمولات التي يجب أن يتم دفعها خلال مرور القناة، وهو الأمر الذي سيتم تلافيه في حال إعادة إحياء الخط الذي سيختصر الوقت إلى أسبوع واحد فقط، مع انخفاض في تكاليف النقل.

أمّا الهدف الحقيقي للمباحثات فكان يرمي إلى: تقوية الاتصال السياسي بين البلدين؛ عبر البوابة الاقتصادية.

لكن عندما تسرَّب هذا اللقاء إلى بعض الأوساط الصحفية؛ خاصة بعدما نقلته صحيفة "يديعوت أحرنوت" في (١٣/١٢/٢٠٠٢) قام المدير العام الحكومي المسؤول عن أنبوب النفط "إيلات - أشكلون" بنفي أن تكون الحكومة الإسرائيلية تقف وراء هذه المحادثات، عازيًا الأمر إلى أنه مجرد لقاء بين رجال أعمال مهتمين بالموضوع، وصرَّح قائلاً: "لا تعدُّ الملكية الإيرانية -

الإسرائيلية المشتركة على أنبوب النفط إيالات-أشكلون أمرًا سرّيًا، لكننا لسنا مسؤولين عن اللقاءات التي يجريها رجال الأعمال بخصوص هذا الخط".

وبعد مرور الوقت الكافي لنسيان الموضوع نظرا للتكتم الشديد حوله؛ سلّطت وسائل الإعلام في (يناير) من العام (٢٠٠٧) الضوء من جديد على مشروع إسرائيلي لنقل الغاز الطبيعي من إيران إلى إسرائيل عبر تركيا.

وكشفت أوساط سياسية النّقاب عن أنّ المشروع الاستراتيجي الطموح -الذي هو: عبارة عن أنبوب تحت بحري بطول (٦١٠) كيلو متر بين الشاطئ الجنوبي الشرقي لتركيا وحيفا- هو ثمرة أفكار مشتركة؛ لا سيما لوزير البنى التحتية -آنذاك- "بنيامين بن اليعيزر".

وذكرت تلك الأوساط: أن مبادئ التجارة والاقتصاد الدولية كفيلة بأن تربط إسرائيل بإيران بعلاقات تجارية مشتركة، حتى وان جرى الأمر بخلاف الإرادة التامة للحكومتين في القدس وطهران.

وما إن توارى المشروع عن الأنظار بعد أن رصدته وسائل الإعلام؛ حتى بدأت تتكشف مراحل تعاون جديدة بين إيران وإسرائيل.

وأشارت وسائل الإعلام العالمية مؤخرًا بأن إسرائيل مهتمة الآن بدفع تعويضات مالية؛ نتيجة مستحقات نفطية كانت عليها لإيران إبان حكم الشاه!!

نعم صحيح؛ إسرائيل مهتمة بدفع تعويضات مالية لإيران!! منذ متى تهتم إسرائيل بدفع تعويضات؟ ولمن؟ لإيران!!

وتزامنا مع ما نقلته وسائل الإعلام، نقل تقرير نفطي "نشرة أخبار الطاقة الإسرائيلية" في (١٨ آذار) الماضي (ظلّ سرّيًا إلى أن أوردته وكالة Energia للأخبار قبل أشهر قليلة): أن إسرائيل تستورد النفط الإيراني عبر أوروبا منذ سنوات!!

التقرير الذي تمّ تعديل لهجته؛ بعد أن مرّ على الرقابة الإسرائيلية خلق بلبلة في بعض الأوساط الإسرائيلية، دفعت بعض المسؤولين إلى الاعتراف بصحّة ما ورد فيه، بعد إنكار دام لفترة طويلة.

في تفاصيل القضية: أنّه وقبل الثورة الخمينية في العام (١٩٧٩) كان هناك شركة إيرانية-إسرائيلية مشتركة تحت اسم: (Trans Asiatic Oil Ltd)، تعمل على نقل النفط الإيراني إلى إسرائيل مباشرة.

لكن وبعد الثورة توقف العمل بهذه الشركة، وكان عليها ديون لإيران، البعض يقدرها بعشرات الملايين من الدولارات، وآخرون بمئات الملايين.

وبينما يتبادل الطرفان الاتهامات؛ وجدنا أن إسرائيل باتت مهتمة الآن بدفع هذه الديون!! وعقد الطرفان عددًا من الاجتماعات تحت هذا العنوان، في عدد من البلدان الأوروبية؛ لا سيما سويسرا وهولندا.

ويعلق تقرير لصحيفة "هارتز" أن هذه العملية ليست جديدة، وأن هكذا لقاءات بين ممثلين للطرفين تعقد في الخارج منذ أكثر من (٢٠) سنة!!

وعلى الرغم من أن المدير العام للشركة الوطنية الإيرانية للنفط حجة الله غنيمي فراد حاول الدفاع عن موقف بلاده، والتستر على بيع النفط الإيراني لإسرائيل؛ بالقول: إن القوانين الإيرانية تحرّم بيع النفط الإيراني إلى جهة ثالثة؛ ولا سيما إسرائيل، لكن المسؤولين الإسرائيليين اعترفوا - وإن بشكل موارب وغير صريح - باستيراد النفط الإيراني، معللين السبب بأنه لا يمكنهم التمييز!

بل وذهب موشيه شحّال - وهو وزير سابق للنفط في إسرائيل من الأعوام (١٩٨٤) حتى (١٩٩٠) - أبعد من ذلك؛ عندما علّق قائلاً: "لا أرى أي مشكلة إذا وصل النفط الإيراني إلى إسرائيل، لأنه لا يصل إلينا بطريقة مباشرة!!"

كما أن صحفًا عديدة سلّطت الضوء على هذا الموضوع، وجاء في إحداها - وقد قام الكاتب الإسرائيلي "شراغا ايلام" بترجمتها من اللغة الألمانية ونقلها عنه "ريتشارد سيلفستر" في صحيفة "الجارديان" البريطانية -، ما يلي: "تستورد إسرائيل النفط الإيراني بكميات كبيرة؛ على الرغم من أن المنتجات الإيرانية يتم مقاطعتها بشكل رسمي من قبل إسرائيل!! لكن إسرائيل تلتف على المقاطعة باستيراده بشكل غير مباشر عبر أوروبا".

ويتابع تقرير سويسري بالقول: "لا نعرف إذا كان الإيرانيون يعلمون بذلك، لكن الأكيد أن الإسرائيليين يعلمون جيدًا من أين يأتي هذا النفط".

وقد أكد تقرير "إينيرجيا" ذلك؛ بالقول: "إن إسرائيل تستورد النفط الإيراني منذ سنوات، لكنها لا تقوم بذلك بشكل مباشر، وإنما عبر أوروبا أو السوق الحرة".

هذا مع ضرورة التنبيه إلى أن الإيرانيين يقولون: إنهم يمنعون المشتريين من تسليم نفطهم إلى أي طرف ثالث؛ كشرط لبيعهم النفط!!

وفي تعليقها على الموضوع والعلاقات الإيرانية-الإسرائيلية، تعجبت الجارديان في مقالها قائلة: "إذا كنتم تتساءلون عن تعريف ومعنى (النفاق)؛ فستجدون الجواب هنا!".

وامتعضت صحيفة سويسرية "Sonntag" بعدما انتشر الموضوع؛ ذلك لأن إسرائيل سبق وأبدت انزعاجها من أن تقوم سويسرا بعقد صفقات مع إيران لإمدادها بالغاز الطبيعي لمدة (٢٥) سنة، بمليارات الدولارات، واصفة العمل بأنه "معادٍ لإسرائيل"! فيما قامت الصحيفة المذكورة بالتأكيد على أن إسرائيل تشتري النفط الإيراني منذ سنوات عديدة، لكن تحت مسميات مختلفة، وبطرق ملتوية، وفي الخفاء!

وفي محاولة لتدارك الوضع قام الكنيست بإحياء مشروع قانون مقاطعة إيران اقتصادياً؛ والذي كان مطروحاً ومتوقفاً في الأدراج منذ سنوات؛ بعد أن تبين أن هناك العديد من الروابط الاقتصادية بين إسرائيل وإيران في العديد من المجالات؛ من السلاح الثقيل والخفيف، وحتى المواد الكيميائية، إلى المال إلى النفط والمواد الغذائية؛ وخاصة فضيحة الفستق مؤخراً؛ التي أثارَت مشكلة دبلوماسية بين إسرائيل والولايات المتحدة، وغيرها من المواضيع الاقتصادية.

وعلى الرغم من أن القانون قد تم تمريره في الكنيست بضغط من بنيامين ناتانياهو؛ إلا أن هناك العديد من الأوساط التي تشكك في جدية تطبيقه، علماً أن القانون المذكور يحكم بـ (٢٥) سنة سجن لمن يتعامل مع إيران اقتصادياً.

تجدر الإشارة إلى أن هكذا علاقات تجارية واقتصادية لا تقتصر على أحد الطرفين، كما أن التعاون لا يقتصر على اللقاءات غير المباشرة عبر وسطاء، وإنما المباشرة أيضاً؛ وخاصة في دول أوروبا وسويسرا وألمانيا وهولندا.

ومن الطريف التذكير في سياق الاستيراد غير المباشر للبضائع والمنتجات: أن رئيس الجمهورية الإيرانية أحمددي نجاد يتحصن بمعدات إسرائيلية الصنع!! وقد نقل تقرير بعنوان: "محور المصالح الإسرائيلي الإيراني الأمريكي" التعاون الاقتصادي بين الطرفين بشكل مفصل، وجاء فيه: أن "سيارة السيد نجاد الحكومية مزودة بجهاز إنذار وحماية من صنع إسرائيلي، وهو واحد من الأجهزة البالغ عددها (٢٠) ألفاً؛ التي كانت إيران اشترتها العام (٢٠٠٦) من معرض صيني كان يعرض الأجهزة الإسرائيلية الصنع للبيع، وعندما أبلغ المسوق الصيني الشركة الإسرائيلية "سونار" - والتي تقع في مدينة رمات هشارون شمال تل أبيب - ومديرها العام "يعقوب سلمان"

بحجم الطلب الإيراني؛ أصاب الأخير الذهول! قائلاً: "لم أصدّق أنّ الإيرانيين يريدون شراء أجهزةتنا!!".

ثالثاً: تعاون في مجالات متعددة:

هذه بعض الأخبار التي وصلت للصحافة - وما خفي كان أعظم! -:

١ - قالت صحيفة "يديعوت أحرونوت"^(١): أن ثلاثة مهندسين إسرائيليين شاركوا في ترميم بنى تحتية قريبة من المنشأة النووية في مدينة بوشهر الإيرانية، تضررت من هزات أرضية في السنوات الأخيرة، بعدما عملوا طوال (٢٠) يوماً.

ونقلت الصحيفة عن أحد المهندسين قوله: "لقد أدهشنا حجم الفجوة بين المواجهة العلنية الإسرائيلية الإيرانية، وعمق التعاون التجاري بين الدولتين؛ الذي يصل حجمه إلى عشرات ملايين الدولارات في كل سنة.

وقد تم استقبالنا بدفء، ولم نشعر بعدائية للحظة واحدة من قبل مرافقينا!".

وبحسب ادعاء "يديعوت أحرونوت" فقد استدعت الحكومة الإيرانية الأعمال التي نفذها المهندسون الإسرائيليون من شركة هولندية، قالت الصحيفة الإسرائيلية: إن أحد أصحابها مواطن إسرائيلي عمل في الماضي في إحدى المؤسسات الحكومية الإسرائيلية.

وقامت الشركة الهولندية بتجنيد مهندسين من إسرائيل متخصصين في ترميم بنى تحتية، قامت ببنائها شركات إسرائيلية بينها: شركة "سوليل بونيه"، في سنوات السبعين من القرن الماضي.

وأوضحت الصحيفة: أن زيارة الخبراء الإسرائيليين الأخيرة إلى إيران كانت بهدف منح الاستشارة لتقوية وتدعيم جسور وشوارع وبنى تحتية مائية.

ودخل المهندسون الإسرائيليون إيران بواسطة تصاريح خاصة، لم تذكر فيها هويتهم الإسرائيلية؛ بعد أن أودعوا جوازات سفرهم في هولندا.

وقال رئيس الوفد: "قبل سنوات سلمنا الإيرانيين قسماً من مخططات البناء التي نفذتها إسرائيل بأمر من وزير البنى التحتية في حينه أرييل شارون".

(١) موقع "إيلاف"، (٢٤/٤/٢٠٠٦).

يشار إلى أن شارون شغل منصب وزير البنى التحتية في حكومة بنيامين نتنياهو بين السنوات (١٩٩٦-١٩٩٩).

وقال رئيس الوفد الإسرائيلي: إنه زار إيران خلال السنوات الـ (١٥) الماضية (٥) مرات: وإنه "استقبلنا في مطار طهران ممثل للحكومة الإيرانية، وأدخلنا عبر باب منفرد، وتم إعطاؤنا تأشيرات مختومة لفترة مكوثنا في إيران، وأعدناها لدى مغادرتنا".

٢- ووفقاً لـ "يديعوت أحرونوت" فإن نائب مدير عام وزارة الزراعة الإيرانية من منطقة بوشهر زار إسرائيل سراً قبل ثلاث سنوات ونصف السنة؛ لفحص إمكانية تجديد مخزون العتاد الزراعي من إسرائيل.

ومضى رئيس وفد المهندسين قائلاً: "إن هناك ازدهاراً في العلاقات التجارية مع إيران خلال السنوات الأخيرة؛ وخصوصاً في المجال الزراعي.

ويشتري الإيرانيون من إسرائيل بصورة غير مباشرة قطع غيار للمعدات الزراعية؛ خصوصاً في مجال زراعة القطن والبدور لزراعة الخضار وأجهزة ري".

٣- وروى المهندس أنه مع زملائه التقوا مع عائلات يهودية إيرانية، وتناولوا معهم وجبات طعام احتفالية؛ التي تخللها شرب النبيذ، بمناسبة عيد الفصح العبري؛ الذي صادف الأسبوع الماضي، وبحسب المهندس الإسرائيلي؛ فإن هناك (٢٦) ألف يهودي في إيران، "يعيشون حياتهم، ويمارسون عباداتهم دون عائق؛ حتى أن السلطات الإيرانية تحرس الكنس".

وأضاف المهندس رئيس الوفد أنه: "من المتوقع أن أسافر مجدداً إلى إيران خلال الأشهر القريبة القادمة؛ لتنفيذ أعمال تم استدعاؤها أثناء تواجدها في إيران، وتتعلق بتطهير المياه الآسنة".

٤- يذكر أن إيران أبرمت مؤخراً صفقة كبيرة عندما طلبت شراء أجهزة إنذار للسيارات الحكومية، ومن ضمنها: سيارات الشرطة الإيرانية، من صنع شركة إسرائيلية، ومنها سيارة نجاد!!! وقد تمت الصفقة بواسطة شركة صينية تعمل على تسويق أجهزة الإنذار الإسرائيلية.

٥- قالت صحيفة "معاريف"^(١) في موقعها على الإنترنت: إن إيران وإسرائيل يقيمان علاقات في مجال الأبحاث؛ حيث تقابل مندوبون رسميون من "إسرائيل" في الأشهر الأخيرة - في الأردن-

(١) موقع "البيئة"، (٢٣/١١/٢٠٠٩).

مع نظرائهم من الدول العربية، بجانب إيران؛ لبحث إقامة "مُسارع للذرات"، يستخدم في الأبحاث البيولوجية والكيميائية والفيزيائية والطبية.

وسوف يشترك في هذا المشروع كل من: مصر والسلطة الفلسطينية وباكستان والبحرين وتركيا والأردن، ومن "إسرائيل" سيشارك في المشروع كل من: الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم، ووزارات المعلومات والخارجية والتعليم والمالية.

وقد عُقد مؤخرًا لقاءً بين مندوبي الدول المشاركة في المشروع؛ من أجل بحث سبل تمويله، وحسب تقديرات وزارة المالية سوف يصل التمويل إلى (١٠) ملايين دولار في السنة.

ويعتبر هذا المشروع الأكبر والأشمل من نوعه في الشرق الأوسط، وفي نهاية اللقاء تبين أن "إسرائيل" وإيران وتركيا ستمول الجزء الأكبر من المشروع، نظرًا لوضعها الاقتصادي الجيد نسبيًا.

حسب الإحصاءات الصادرة من مراكز يهودية فإن اليهود يتناقصون في تجمعاتهم المنتشرة في العالم أجمع إلا في إيران!! فتعداد اليهود في إيران في إحصائية (١٩٩٢م) الصادرة في الكتاب السنوي اليهودي الأمريكي - وهو من إصدار البعثة اليهودية الأمريكية - بلغ (١٦,٠٠٠)، وتعداد (١٩٩٥م) - الصادر عن المؤتمر اليهودي العالمي - بلغ (٢٥,٠٠٠)، أي: بزيادة تسعة آلاف، ويرى بعض المتخصصين في إيران أن عدد اليهود فيها وصل نهاية سنة (٢٠٠٠م) إلى (٣٥) ألف شخص، معظمهم في طهران وشيراز وكرمشاه.

وليهود إيران (٥٦) كنيسًا مفتوحًا، بينها (٢٤) كنيسًا في طهران وحدها، ومع ذلك؛ فإن إيران تمتع منذ عام (١٩٣٦) أية أنشطة لأهل السنة على أراضيها! بينما تسمح لليهود بأداء شعائرهم بحرية كاملة!!

ولعل تلك الزيادة هي مما أخبر به نبينا ﷺ أنه يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا؛ فقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا، عليهم الطيالة»، و«من» هنا: للتبويض، وليس لإجمالي عدد اليهود في أصبهان، واليهود سيستمررون بالتزايد في إيران حتى خروج الدجال، وهو ما ينتظره اليهود! **حاخامات اليهود يزدادون.. وعلماء السنة يُغتالون!**

هل سمعنا عن اغتيال حاخام يهودي في إيران؟! فهو لاء القوم معززون مكرمون!! أما علماء السنة فيلاقون أشنع الممارسات والتهديدات والاعتقالات؛ التي تطال حتى أقاربهم ومعارفهم!!

فعلماء السنة يتناقصون، وحاخامات اليهود يزدادون!!

يا قوم!..

لا نريد منكم إلا معاملة أهل السنة في إيران وعلماهم بالطريقة نفسها التي تعاملون بها يهود إيران!! الذين يزداد عددهم في إيران؛ حسب إحصاءات اليهود أنفسهم، بينما يتناقص عدد يهود في العالم تناقصاً لافتاً للنظر.

ويقول الصحفي اليهودي أوري شمحوني: "إن إيران دولة إقليمية، ولنا الكثير من المصالح الإستراتيجية معها، فإيران تؤثر على مجريات الأحداث، وبالتأكيد على ما سيجري في المستقبل. إن التهديد الجاثم على إيران لا يأتيها من ناحيتنا، بل من الدول العربية المجاورة! فإسرائيل لم تكن أبداً ولن تكن عدواً لإيران"^(١).

خاتمة:

وهذا يتضح الفجوة الكبيرة بين السلوك الإيراني والشعارات الرنانة التي تروج بين المسلمين، وتقطف ثمارها إيران! وما لم يتم تعرية ذلك للجميع أولاً، وبناء إستراتيجية في التعامل مع إيران تجنبنا أن نقدم الخدمات لإيران مقابل فتات لا يستحق؛ فإن المشروع الإيراني سيقم دوماً هو الفائز.



(١) جريدة "معاريف"، (١٩٩٧/٩/٢٣)، صرح وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق ديفيد ليفي قائلاً: "إن إسرائيل لم تقل في يوم من الأيام: إن إيران هي العدو".

حقيقة موقف الشيعة من الجهاد والمجاهدين في فلسطين^(١)

الجهاد في فلسطين هو من الشامات التي تزين وجه أمتنا في هذا الزمان، والذي هو استمرار لتاريخ البطولة والشجاعة الذي أرسى دعائمه الصحابة الكرام؛ الذين رباهم النبي ﷺ على عينه، حتى مدحهم الله ﷻ في القرآن بأنهم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

فمنذ احتلال بريطانيا للقدس في (٩ كانون الأول - ديسمبر ١٩١٧ م) وأهل فلسطين السنة يحملون راية الجهاد؛ بقيادة الحاج أمين الحسيني - مفتي القدس في العشرينيات -، ومن بعده الشيخ السلفي عز الدين القسام؛ الذي كان استشهاده سنة (١٩٣٥) سبباً لاشتعال الجهاد بقيادة نائبه الشيخ فرحان السعدي؛ الذي أشعل ثورة (١٩٣٦)، وبعدها استلمت الراية والقيادة المجاهد البطل عبد القادر الحسيني؛ حتى استشهد - بإذن الله - في سنة (١٩٤٨ م)، ومن ثم دخلت جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين ومصر وسوريا والعراق والأردن ساحات الجهاد ضد اليهود.

وبسبب استيلاء اليساريين والقوميين على كثير من البلاد العربية في الخمسينيات والستينيات؛ حوَّصر المجاهدون في فلسطين، وخبَّتْ شعلة الجهاد، لكن في مطلع الثمانينات عادت جذوة الجهاد تشتعل من جديد، وأُعلن عن تشكل "تنظيم الجهاد وحركة حماس"؛ اللتين تبنتا العمل الجهادي من جديد على أرض فلسطين^(٢).

وقد قدّم أهل فلسطين عبر هذه السنين في هذا الجهاد أروع الأمثلة في الإقدام والبذل بالمال والنفس والدم، فامتألت السجون بالمعتقلين، وتضاعفت أعداد الشهداء، وشُرد الآلاف؛ بعد أن هدمت بيوتهم، وجرفت مزارعهم.

وبعد هذا كلّهُ؛ نجد أن الشيعة لا يعترفون بهذا الجهاد العظيم، ولا يقيمون له وزناً أو قيمة! ويستوي في ذلك المتشدد منهم والعاقِل - إن وجد!! -.

(١) موقع صحيفة "المصريون"، (٢٠٠٩/١٢/٢).

(٢) (جهاد الإسلاميين في فلسطين) بقلم: د. خالد الخالدي.

ففي كتاب «أحمدي نجاد والثورة العالمية المقبلة» الصادر في سنة (٢٠٠٦)، لمؤلفه فارس فقيه، فصل بعنوان: (أنت في عصر الظهور) احتوى على (١٦) علامة لقرب ظهور المهدي، ومن ثم قام المؤلف بإفراد هذا الفصل في كتاب منفصل، وزوده بصور ملونة، ومن ثم زاد عليه علامتين جديدتين!!

جعل العلامة السادسة الكبرى تقع على أبواب بيت المقدس، بعنوان: "حزب يقاتل على أبواب بيت المقدس، يلقون عناية الإمام الحجة قبل الظهور"! وأورد فيه رواية عن النبي ﷺ تقول: «لا تزال عصابة من أمّتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة (الظهور)»^(١)، وورد في الرواية عن صاحب الأمر أنه: "حزب يقاتل على أبواب بيت المقدس، أنا منهم وهم مني"^(٢). ومن ثم شرح هذه الروايات بقوله: "تدل هذه الرواية: أن هناك حزبا يقاتل في سبيل الله، على أطراف بيت المقدس.

وتنطبق هذه الرواية على جهاد المجاهدين في المقاومة الإسلامية؛ الذين يقاتلون في جنوب لبنان أقوى قوة طاغوتية في العالم؛ وهو: الكيان الصهيوني، واستطاعوا بعناية الإمام المهدي أن يحققوا الانتصارات عليه، ويدحروه، عن جنوب لبنان، ومن الواضح أن هذا الحزب يلقي عناية خاصة من الإمام، وأنهم جنوده، والمطيعون له". ا. هـ. ومن الواضح جداً أن: "فارس فقيه" لا يعترف بجهاد أهل السنة في فلسطين طيلة هذه السنين الطويلة، ولا يعترف بشهداء فلسطين؛ الذين قُتلوا في القدس وما حولها، ويحصر هذا فقط بأفراد حزب الله اللبناني من الشيعة!! فهل يدرك بعض أهلنا في فلسطين - وخاصة من قادة حماس والجهاد- أن الشيعة الذين يدافعون عنهم بحجة الوحدة الإسلامية والتعاون ضد الصهيونية، لا يعترفون بهم، ولا بجهادهم!!

قد يقول قائل: إن هذا الرأي هو رأي فرد سفيه؛ لا وزن له ولا قيمة عند الشيعة! ولذلك ردّ عليه بعض الشيعة، وتنصّلوا من كتابه هذا؛ حيث قام "مركز الدراسات التخصصية في الإمام

(١) عزاه لـ «مجمع الزوائد» (٦٠/١٠).

(٢) عزاه لكتاب «متان وخمسون علامة للظهور».

المهدي - عجل الله فرجه الشريف - " بالنجف والتابع للمرجع الديني علي السيستاني بالرد على كتاب «أنت الآن في عصر الظهور»، لأن فارس فقيه أراد من خلاله: الترويج لبعض الشخصيات السياسية والدينية؛ من خلال المقاربة والمطابقة بين ما جاء في بعض الروايات بهذه الشخصية أو تلك.

لكن هذا المركز المتخصص والتابع لمرجعية السيستاني الموصوفة بالاعتدال! حين وصل لهذه العلامة علق بقوله^(١): "قوله العلامة الخامسة الكبرى^(٢): فإن تعليقنا عليها وعلى ما ورد فيها هو بالقول: لا دليل على ذلك كله.

وكذلك يجري الكلام في العلامة السادسة" . ا. هـ

وهنا -أيضاً- لا يعترف هذا المركز العلمي المختص بشؤون المهدي؛ والذي يضم متخصصين وباحثين مؤهلين، ويشرف عليه مرجع كبير، فإنهم لا يشيرون أي إشارة إلى أن هذه الروايات يجب

(١) <http://bahrainonline.org/showthread.php?t=١٥٧١٨٨>

(٢) العلامة الخامسة الكبرى: "العمائم السود من ذرية الرسول، يقاتلون أعداء الإمام قبل الظهور":

عن أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل الشرق وأهل الغرب! أتدري لم ذلك؟"، قلت: لا.

قال: "للذي يلقي الناس من أهل بيته"، «الغيبة» للنعماني، (ص ٢٩٩).

من الواضح أن الذرية المباركة من بني هاشم سيكون لهم دور سياسي كبير ومميز في العالم الإسلامي، يزعم العالم بأجمعه في الشرق والغرب.

كما سيكون لهم من النفوذ والقوة؛ إن كان في إيران بالسيد الخميني، والسيد علي الخامنئي، أو في العراق من الشهيد محمد باقر الصدر، والشهيد محمد صادق الصدر -سابقاً-، والشهيد الحكيم، ودور السيد السيستاني، وقائد المجلس الأعلى للثورة السيد عبد العزيز الحكيم، وقائد جيش المهدي السيد مقتدى الصدر، أم في لبنان -منشئ المقاومة- السيد موسى الصدر، وسيد شهداء المقاومة السيد عباس الموسوي، وسيد المقاومة السيد حسن نصر الله، وكل هؤلاء من السادة.

من الواضح أن هذه العمائم السود التي هي من ذرية النبي صلى الله عليه وآله تطلب الحق، وستزعج العالم؛ لأنها لا تستسلم كالأخرين، وكان رأيهم واحد، فهم من مدرسة واحدة وهي: مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ التي تعلمهم هيات منا الذلة! فتسلم الولاية للإمام المهدي في آخر الزمان.

أن تشمل أولاً: المجاهدين من القدس وفلسطين، قبل أن يقفزوا من فوقهم للوصول لشيعة الجنوب اللبناني!!

فالجهاد والمجاهدون في فلسطين عند الشيعة بين خيارين: إما أنهم غير موجودين بعد؛ حسب الشيعة المختصين، أو هم الشيعة في جنوب لبنان؛ كما يرى فارس فقيه، وأحلى الخيارين مُرّاً! إن هذا الموقف لا يُستغرب من الشيعة لدى العارفين بشؤونهم وعقائدهم؛ إذ هم يكفرون سائر أهل السنة الذين لا يعترفون بإمامة أئمتهم، ولذلك فإن جهاد من لا يؤمن بركنية الإمامة الشيعية باطل، فهل يصحو المخدوعون بالشعارات الشيعية من مجاهدي فلسطين؟!



«أسرار خلف الأستار»

(علاقة فتح بثورة الخميني والمقاومة اللبنانية)^(١)

هذه فقرات مهمة من هذا الكتاب؛ لما تحويه من معلومات تفصيلية ومجھولة عند كثير من الناس حول دعم حركة فتح لثورة الخميني، ودور فتح في تسليح الشيعة، وأن حركة أمل وبعض قيادات حزب الله هم ثمرة فتح!! وكيف كانت سياسة إيران الخميني وحزب الله بعكس الشعارات المرفوعة لنصرة فلسطين!!

هذه المعلومات يقدمها رجل كان عضواً في فتح؛ رغم لبنانيته وشيعيته، وكان في قلب الأحداث -آنذاك-، وهو اليوم مقرب من حزب الله، فلا مجال للطعن بشهادته! وقد جعلتُ لهذه الفقرات المهمة تمهيداً، هو عبارة عن عرض مختصر نشرته وكالة "رويترز" عن الكتاب.

والهوامش من وضع صخر أبو فخر، والعناوين هي من وضعي؛ للتوضيح، وليست من الكتاب.

جورج جحا- "رويترز"

كتاب الباحث الفلسطيني صقر أبو فخر الأخير عن أنيس النقاش ومرحلة ماضية ارتبطت بانطلاقة العمل الفدائي الفلسطيني، وتركز نشاطه في لبنان، حمل عنواناً منصفاً إلى حد بعيد هو: "أنيس النقاش.. أسرار خلف الأستار".

وفي الكلام عن الرجل اللبناني -لمن لا يعرف عنه أو لا يعرف قدرًا كافيًا عنه- قد يكون في ما حملته مقدمة الكتاب معلومات كافية، وقد جاء فيها اسمه في حركة فتح: "مازن"، واسمه في عملية فيينا: "خالد"، أما اسمه الحقيقي فهو: "أنيس النقاش".

قال عنه كارلوس -شريكه في عملية فيينا- إنه: "من الكوادر السياسية والعسكرية التي لا تُضاهي!.. كان بطلاً حقيقياً".

(١) موقع "الراصد"، (١٦ مايو ٢٠١٠).

وأشهر العمليات التي اشترك فيها أنيس النقاش: اقتحام مقر منظمة "أوبك" في فيينا، سنة (١٩٧٥)، بالاشتراك مع الفنزويلي الشهير كارلوس، واحتجاز وزراء النفط، ومحاولة اغتيال رئيس الوزراء الإيراني السابق شهبور بختيار، في باريس سنة (١٩٨٠).

وجاء في التعريف بهذا العمل القيم؛ الذي يشكل إجمالاً سجلاً مهماً لتلك المرحلة: "هذا الكتاب يُميط اللثام عن كثير من الأسرار التي عرفها أنيس النقاش، أو التي شارك في صنعها، ويفضح محاولات بعض أجهزة الاستخبارات العربية لاختراق أمن الثورة الفلسطينية... علاوة عن كشفه أسرار حقبة المقاومة واليسار اللبناني والحرب الأهلية (في لبنان)، وخطف (الزعيم الروحي الشيعي اللبناني) الإمام موسى الصدر، ومنظمة بادر- ماينهوف (الألمانية).. وتأسيس الحرس الثوري الإيراني، ثم يشرح تفصيلات دوره في عملية اغتيال شهبور بختيار، وتجربة السجن الفرنسي".

الكتاب الذي احتوى على ملحق بصور فوتوجرافية لشخصيات وأسماء هي تاريخية الآن؛ جاء في حوالي (٢٢٠) صفحة متوسطة القطع، وصدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

وصقر أبو فخر هو كاتب وباحث وصحافي فلسطيني له أعمال وأبحاث مختلفة. ١. هـ.

■ أبو جهاد هو من سلح الجنوب وزرع المقاومة:

تعلمت من أبو جهاد كيفية توحيد الناس، وكيف أتعامل مع أناس ذوي ميول متنوعة لتجميعهم حول فلسطين؛ لأنهم في غير فلسطين ربما لا يتجمعون البتة. هذا درس كبير تعلمته منه، أي: كيفية توحيد الناس حول فلسطين. وأذكر أن بعض القوى اللبنانية كانت تطلب منا أن ندرّب أعضاءها، وأن نسلح أنصارها - أحياناً -، لكنهم لا يريدون أي التزام تجاهنا.

وكنت أعتزض على هذا الشأن؛ فنحن لا نستطيع أن ندرّب الناس ونصرف الوقت عليهم ونزودهم بالأسلحة من غير أن يكون لهم أي التزام حيالنا! وكان أبو جهاد يقول: يا أخي! يكفي أن تقول لهم: إن هذه البندقية يجب أن توجه نحو العدو الصهيوني، وتأكد أنهم في يوم من الأيام سيطلقون النار على العدو الصهيوني.

وهذا الذي وجدناه بالضبط؛ فالمقاومة في جنوب لبنان كانت حصاد ما زرعه. وإسرائيل لم تستطع تحليل هذا الأمر بتاتا، وفوجئت عندما احتلت جنوب لبنان بكم هائل من الشباب الذين تدربوا في الثورة الفلسطينية؛ من غير أن يلتحقوا بالثورة الفلسطينية، وكانوا يمتلكون تجربة عسكرية جيدة.

فالمقاومة في لبنان وجدت - عند اتخاذها قرار القتال - أن في إمكانها الوقوف على قدميها فوراً؛ لأن الأسلحة متوافرة، والتدريب متوافر، والعناصر القتالية متوافرة، فاستفادت من تجربة العمل الفلسطيني وراكت عليه تجربتها الجديدة (ص ٥١-٥٢).

■ بداية العلاقة بالثورة الخمينية:

وكننا من القريين جداً إلى هذه الثورة، ولنا فيها دور، وصرنا نبحث كيف نستفيد من هذه الروح الثورية في إيران؛ لتفعيل الروح الإسلامية في جنوب لبنان. وفي هذا السياق أصبح ثمة شكل من أشكال العودة إلى التدين في الكتبية الطلابية، وبدأت عناصر الكتبية وضباطها يترددون على المساجد والحسينيات، وهذا الأمر أوجد لحمة جيدة جداً مع أهالي الجنوب.

وأذكر أن أول ملصق وزعناه في الجنوب، وكنت طبعته يومها بنفسي، كان شعاره: "قادمون إلى كل الجبهات"، وكان ذلك بناء على رغبة المتطوعين الإيرانيين الذين أرادوا القتال في جنوب لبنان، وكان يقود الحملة حينذاك: الشهيد محمد منتظري^(١).

كان لدينا بعض المتطوعين الإيرانيين بأعداد كبيرة، وكانوا يتدربون عندنا من أجل انتصار الثورة الإيرانية، لكن بعد انتصار الثورة ما عاد هناك مانع من أن يأتوا إلينا للقتال في سبيل فلسطين (ص ١٠٢).

(١) محمد منتظري: هو ابن حسين علي منتظري؛ الذي تولى إمامة صلاة الجمعة في طهران، والذي عُين خليفة للإمام الخميني في سنة (١٩٨٥)، لكنه لم يلبث أن قدم استقالته في سنة (١٩٨٩)، بعد انتقادات متتالية لطريقة إدارة الحكم في عهد الإمام الخميني، فوضع في الإقامة الجبرية في قم سنة (١٩٩٢).
وابنه محمد كان من أبرز مؤيدي الثورة الفلسطينية، لكنه قُتل في الانفجار الذي وقع في مقر حزب الجمهورية الإسلامية في طهران في (١٩٨١/٦/٢٨).

■ صلة موسى الصدر بفتح:

أول من رتب لقاء "فتح" مع السيد موسى الصدر، هو: الحاج طلال (سمير أبو غزالة)؛ الذي كان مسؤولاً عن إقليم لبنان في حركة فتح.

- في أي سنة كان ذلك؟

* في بداية السبعينات، وما عدت أذكر في أي سنة بالتحديد؛ ربما في سنة (١٩٧١)...

أخبرني الحاج طلال أن الصدر اقترح فوراً تشكيل "كتائب الإمام علي لتحرير فلسطين"؛ لتعمل تحت إشرافه، وهذا الاقتراح ظهر قبل تأليف حركة أمل بالطبع، أي: إنه كان يريد جناحاً عسكرياً باسم: "كتائب الإمام علي لتحرير فلسطين"...

وفي النهاية اتفق على أن يكون هناك حركة باسم: "أفواج المقاومة اللبنانية (أمل)؛" والذي أطلق عليها هذا الاسم هو: الأخ ياسر عرفات نفسه.

وجرى التخلي عن اسم "كتائب الإمام علي"، وافتتح أول معسكر لتدريب حركة أمل بمساهمة من حركة فتح، وكان المدربون ضباطاً من حركة فتح^(١) (ص ١٠٩-١١١).

■ بعض قيادات حزب الله تربّت في فتح:

فكرة أنصار الثورة جاءت من وجود أناس كثيرين يريدون مناصرتك، ولكن لا يريدون الالتحاق بحركة فتح لأسباب شتى؛ وربما عقائدية.

كانت هناك مجموعات إسلامية التحقت بحركة فتح، وكانت معنا في الكتيبة الطلابية، ثم أصبحت الآن من القيادات العسكرية البارزة لحزب الله، وكانت هناك مجموعات إسلامية جاءت إلينا وقالت: إننا لا نريد الانضواء في فتح، ولكننا نريد أن نتدرب، وأن نتسلح، وأن ندافع عن القضية الفلسطينية؛ من دون الانخراط المباشر في الحركة، لأن لدينا اتجاهها إسلامياً، ولا نستطيع أن نمارس خياراً إسلامياً مع غير الإسلاميين.

هؤلاء أصبحوا مسؤولين كباراً في حزب الله^(١) (ص ١٢٩).

(١) إعلان ولادة حركة أمل (أفواج المقاومة اللبنانية) جرى في (٦/٧/١٩٧٥)، بعد انفجار لغم في أحد معسكرات التدريب في البقاع، وكان المدرب فلسطينياً من "الكتيبة الطلابية"، يدعى: مجاهد الضامن، وقد استشهد معه عدد من أعضاء حركة أمل.

■ العلاقة مع الإيرانيين:

- كيف بدأت علاقتك بالإيرانيين؟

* في سياق التحالف مع القوى الثورية - ومنذ البداية - قُمت بمطالعات ودراسات معمقة عن حلف شمال الأطلسي وحلف "الستو".

وفهمت مخاطر الدور التركي والدور الإيراني، وكتبت يومها تقريراً للأخ أبو جهاد أقول فيه: "الإمبريالية تخطط بشمول، وعلى الثورة أن ترد بشمول"، وكنت أعتقد أن للولايات المتحدة الأميركية حليفين كبيرين في المنطقة هما: تركيا وإيران، ونحن إذا أردنا أن نغير الموازين في المنطقة علينا أن نعمل على التغيير في هاتين الدولتين.

فقال أبو جهاد: "توكل على الله يا أخي!".

وبدأت أنسج علاقات متشعبة مع قوى ثورية تركية وإيرانية، القوى الإيرانية لم تأت من طريقي، بل كان أبو جهاد على اتصال بها، لكن ثمة قوى إيرانية أخرى جاءت إلى لبنان من منابت شتى، وكانت مهمتي أن أجمع هذه الخطوط كلها، وأضع مع الأخ أبو جهاد نوعاً من تقدير الموقف: ما احتياجاتهم المادية والسياسية؟ كيف نخوض حواراً استراتيجياً معهم؟

وبعد فترة وجدنا أن الأتراك ليسوا على مستوى الجدية، فهم مجموعات تروتسكية أو ماوية صغيرة، يمكنها القيام بعمل عنفي كبير، لكن ليست لهم امتدادات جماهيرية، في حين أن الوضع في إيران كان مختلفاً جداً؛ فالقوى الإيرانية كانت لها امتدادات شعبية، ولها مرجعيات مثل التيار الإسلامي.

(١) أمثال: عماد مغنية (الحاج رضوان)، القائد العسكري لحزب الله؛ الذي نسبت إليه عمليات عسكرية وخطف طائرات، وخضر سلامة (أبو حسن)؛ الذي اغتالته إسرائيل - أيضاً - شرق مدينة صيدا، في سنة (١٩٩٩). وقد ولد عماد مغنية في سنة (١٩٦٢)، والتحق بحركة فتح في سنة (١٩٧٥)، وقاتل في محور الشياح - عين الرمانة في سستي (١٩٧٥ و ١٩٧٦)، ثم التحق بقوات ال (١٧).

وبعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان سنة (١٩٨٢) عيّن في حراسة السيد محمد حسين فضل الله، ثم التحق بجهاز الأمن في حزب الله، وتدرج في المواقع إلى أن اغتالته إسرائيل في دمشق سنة (٢٠٠٨).

وأذكر أنني عندما أردت أن أكتب تقريراً عن الإمكانيات الفعلية لهذه التشكيلات سألت جلال الدين الفارسي -الذي أصبح أول مرشح لرئاسة الجمهورية في إيران-: هل تستطيع أن تعطيني فكرة عن امتداداتكم التنظيمية؟ ومن هم الذين يناصرونكم في إيران؟ فنظر إليّ ببساطة، وقال: "الشعب كله يناصرننا"^(١)، لدينا علماء الدين والجامعات والشيوخ والشباب والكبار، ونحن موجودون في الطبقات كلها".

وعلى الرغم من بساطة هذه المسألة إلا أنه كان من الصعب إبلاغها إلى أبو جهاد هكذا، مع أنني كنت مقتنعاً بأن هذا الكلام حقيقي، فالذي يقول: إن لديه كادراً هنا، وضابطاً هناك، ومسؤولاً هنالك، وفيلسوفاً في تلك المنطقة؛ فهذا يعني: أن لديه تنظيمًا نخبويًا لا يؤدي إلى نتيجة حاسمة. عاش جلال الدين الفارسي فترة طويلة في بيروت، وعمل مع حركة فتح، وكان من بين الإيرانيين الذين تتردد أسماؤهم في لبنان أمثال: صادق قطب زاده، وطباطبائي. صادق قطب زاده لم يكن مقيمًا في لبنان تمامًا، كان يتردد إلى لبنان، وكانت له صلة بالسيد موسى الصدر^(٢).

(١) بدأ جلال الدين الفارسي نشاطه السياسي في سنة (١٩٥٣) إبان الانتفاضة الشعبية المناوئة للقوانين الإصلاحية للشاه محمد رضا بهلوي، وكان أحد مؤسسي "حركة تحرير إيران"، برئاسة مهدي بازرگان. غادر إيران في أوائل السبعينيات، وأقام في لبنان، وأنشأ علاقات مهمة بحركات التحرر الوطني في العالم الثالث، ثم أصبح المعتمد المفوض للإمام الخميني لدى حركة فتح؛ التي فتحت أذرعها للمعارضة الإيرانية، فدربت عناصرها، وقدمت لهم الحماية.

بعد انتصار الثورة الإسلامية سنة (١٩٧٩) رشح جلال الدين الفارسي نفسه لرئاسة الجمهورية؛ فرفض طلب ترشيحه، لأنه مولود لأبوين غير فارسيين، بل أفغانيين.

(٢) ولد صادق قطب زاده سنة (١٩٣٦)، وبدأ نشاطه السياسي في سنة (١٩٥٣)، في إطار الحركة الطلابية المعادية للشاه. درس في جامعة "جورجتاون"، وواصل نشاطه السياسي، فطردته السلطات الأمريكية، فذهب إلى كندا؛ حيث نال شهادة من إحدى جامعاتها، ثم طرد -أيضاً- فانتقل إلى فرنسا سنة (١٩٦٩)، بجواز سفر سوري، والتحق بصديقه أبو الحسن بني صدر.

عاد إلى إيران بالطائرة نفسها التي أقلت الإمام الخميني سنة (١٩٧٩)، وعين مديرًا للإذاعة والتلفزيون، ثم أصبح وزيرًا للخارجية.

أما الأكثر فاعلية في نسج العلاقة الإيرانية- الفلسطينية فكان: الشهيد محمد صالح الحسيني؛ الذي جاء من العراق، وهو إيراني الأصل، وكان له نشاط إسلامي في العراق، وسجن بسبب ذلك. وعندما فرّ من السجن جاء إلى لبنان، والتحق بالثورة الفلسطينية؛ مع الحفاظ على إسلاميته. وكان له أثر في حركة فتح وخارج فتح، كان يعمل في حركة فتح، ولكنه أثر كثيراً في مجموعات إسلامية في جنوب لبنان؛ أصبحت العمود الفقري في حزب الله، كما كانت له في البقاع علاقات قوية، وأثر في العديد من الكوادر المؤمنة التي أسست - في ما بعد - "أمل الإسلامية"^(١). وكان - حقاً - مهندس العلاقات الأولى بين الإمام الخميني والقيادة الفلسطينية (ص ١٥٥ - ١٥٨).

■ ولادة الحرس الثوري:

- هل صحيح أن فكرة الحرس الثوري بدأت لديك، وأنت الذي اقترح هذه الفكرة على الإيرانيين؟

* أنا كتبتُ مشروع الحرس الثوري لأن جلال الدين الفارسي جاء إلى منزلي قبل سفره إلى إيران، وقال لي: لدينا خوف كبير من أن تتكرر تجربة محمد مصدّق، وأن يقوم الجيش غير الممسوك وضباطه الذي تدرّبوا في أميركا بانقلاب عسكري.

قلت له: لنبنِ إذاً جيشاً رديفاً؛ لنبنِ حرساً يحمي الثورة.

فقال لي: هل يمكنك أن تكتب لنا مشروعاً في هذا الشأن؟

= وقد عارض احتجاز الرهائن في السفارة الأميركية بطهران، فاستقال من وزارة الخارجية سنة (١٩٨٠)، فاعتقل وأطلق، ثم اعتقل ثانية في (١٠/٤/١٩٨٢) بتهمة التآمر، وأُعدم بالرصاص في (١٥/٩/١٩٨٢). (١) أسس مجموعة "أمل الإسلامية" حسين الموسوي، المولود في بلدة النبي شيت البقاعية، في سنة (١٩٤٣)، وهو يحمل الإجازة في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية، وكان سابقاً عضواً في حركة أمل. وفي سنة (١٩٨٢) إبان الاجتياح الإسرائيلي؛ اختلف مع نبيه بري، وترك حركة أمل، ليؤسس "أمل الإسلامية"، ثم انضم إلى حزب الله، وصار نائباً لرئيس مجلس التخطيط في الحزب، ثم رئيساً له. انتخب نائباً في البرلمان اللبناني سنة (٢٠٠٩).

وكتبتُ المشروع، وأسميته: "الحرس الثوري"، وذكرتُ في المشروع: أن تشكيلات الحرس يجب أن يكون تسليحها خفيفاً (كلاشينكوف وآر بي جي)، وأن يتم توزيع العناصر على جميع ثكنات الجيش؛ كالشرطة العسكرية، حتى إذا أراد الجيش القيام بانقلاب تبادر عناصر الحرس إلى إفشال الانقلاب.

يومذاك سافر جلال الدين الفارسي مع الأخ أبو عمار إلى طهران في طائرة واحدة، ولم يتمكن من الحضور إلى منزلي لاستلام المشروع، ف جاء محمد صالح الحسيني؛ الذي كان سيغادر لبنان إلى إيران من طريق سورية ليرافق محمد منتظري، فقلت له: هذا المشروع طلبه مني جلال الدين، فخذ له إلى إيران، فأخذ محمد صالح الحسيني المشروع وسافر إلى سورية ومنها إلى إيران.

بعد ذلك ذهبت إلى إيران، فكان الحرس قد أعلن.

وحدثوني كيف قاموا بذلك؛ فقالوا: إن خمسة من الشبان هم: جلال الدين الفارسي، ومحمد صالح الحسيني، ومحمد منتظري، وشخصان آخران احتلوا إحدى ثكنات الجيش بـ "الهوبرة".

الضابط المسؤول اعتقد أن لديهم قوات كبيرة، وهم ليس لديهم أحد.

قالوا له: هذه الثكنة ستكون مركزاً للحرس.

وفي اليوم التالي أعلن التطوع في الثكنة للحرس الثوري، وبدأوا بتجميع المتطوعين.

بعد ذلك انطلقت الفكرة إلى المجلس الثوري الأعلى وإلى الإمام الخميني؛ الذي أيد المشروع، وهكذا انطلق "الحرس الثوري"؛ لحماية الثورة الإسلامية (ص ١٦٣).

■ ازداوجية التنظيم بين فتح والثورة الإيرانية:

كنت أعرف وقع المفاجأة التي حصلت لرفاقي ممن لم يكونوا يعرفون شيئاً عن أنيس النقاش ودوره في العمليات الخاصة.

اختلطت الأمور على الكثيرين! الذي تساءلوا: كيف يكون أنيس النقاش في الثورة الإيرانية وهو - في الوقت نفسه - مع حركة فتح؟

الجانب الآخر هو: البعد عن الساحة الرئيسية في لبنان؛ فأنا كنت بدأت منذ اجتياح (آذار-مارس ١٩٧٨) علمية الانتقال إلى مرحلة بناء المقاوم إلى مرحلة بناء المقاومة الإسلامية لتحرير لبنان.

- تقصد المجموعات المدربة التي ذهبت إلى الجنوب لتأسيس القواعد والقتال؟

* نعم، وأسميناها - في البداية - "حركة الأرض"، ثم تغير اسمها إلى: "حركة لبنان العربي"^(١).

عندما انتصرت الثورة الإيرانية، وأنا كنت أحد الفاعلين والمشاركين في هذا الانتصار؛ كان أول موضوع ناقشته مع الإخوة الإيرانيين هو: رد الجميل إلينا، أي: مساعدة المقاومة في لبنان، فكانت لنا حوارات طويلة حول بناء المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان؛ من أجل تحريره. وبدأت كتاباتنا وتحليلاتنا وتصوراتنا تتجه نحو رفع مستوى وعينا الإسلامي، لكن اعتقالني في فرنسا، وابتعادي عن الساحة اللبنانية كان لهما الأثر السلبي الكبير في هذا التحضير الذي تأخر إلى عام (١٩٨٢)، ولو كنا تابعنا استعدادنا قبل عام (١٩٨٢) لكانت ظاهرة المقاومة نمت بشكل كبير. ولهذا تلقيت الكثير من الملامة من بعض الإخوان الذين كانوا معي، لأن صلتنا انقطعت في الوقت الذي كنت أقوم بدور كبير في بناء المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان (ص ١٧٥).

■ طائفية إيران وتبعية حزب الله لها في عداء فتح:

- هل التقيت ياسر عرفات بعد خروجك من السجن؟
* نعم.

- كيف كان لقاءكما؟

* كان لقاءً حاداً وحاراً في الوقت نفسه.

- حاداً وحاراً؟ كيف؟

* نعم؛ كان حاداً وحاراً، لأنني أحبه وأقدره، وهو يبادلني الشعور نفسه.

(١) أُسِّت "حركة لبنان العربي" في سنة (١٩٨٢)، وكان المسؤول عنها: الدكتور عصمت مراد، وهو طبيب تخرج في جامعة تولوز، وكان ماوياً وقريباً من حركة فتح. وقد أسس بعد عودته من فرنسا "اتحاد الشبيبة" في طرابلس، وانضم إلى خليل عكاوي "أبو عربي" وسعيد شعبان في تأسيس "حركة التوحيد الإسلامية"؛ التي لم يلبث خليل عكاوي أن غادرها في سنة (١٩٨٤)، ليؤسس "لجان الأحياء والمساجد".

وقد اغتيل أبو عربي في (١٩٨٦/٢/٩)، واغتيل عصمت مراد أيضاً.

ولكن المرحلة التي ذهبت فيها إلى تونس لمقابلته كانت مرحلة اشتباك فتح وحزب الله في الجنوب اللبناني، وأنا كنت أعتقد أن هذا الصدام خطأ مئة بالمئة ويجب تصحيحه.

- تقصد: الاشتباك في إقليم التفاح؟

* نعم؛ في إقليم التفاح، وكنت أعتقد أن هذا الموقف يجب تصحيحه فوراً، ولكنني اكتشفت - بعد ذلك - أنني كنت غيبياً في تلك المسألة! ومع أن الأخ أبو عمار قال لي قبل أن أغادر تونس: نحن معك، وسنسير في التحالف الذي تدعو إليه بين فلسطين وإيران، أو بين فتح وحزب الله؛ إلا أنني فوجئت بأن الموقف الإيراني أبعد من ذلك، وفهمت أن الطرفين يفهمان بعضهما جيداً، وأنا كنا نحلم بشيء غير قابل للتحقق!

- لكن كان من الممكن تجنب المواجهة في إقليم التفاح على أقل تقدير؟

* المواجهة كانت واقعة عندما وصلت (ص ١٨٦).



النفوذ الإيراني في قطاع غزة..

الشواهد والدلائل^(١)

هذه دراسة فريدة في موضوعها وبابها، وقام بها الباحث الغزي الدكتور عدنان أبو عامر، وهو متخصص في الشأن الفلسطيني، ومحسوب على التيار الإسلامي؛ مما يضاعف من أهميتها. صدرت الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية، عن مؤسسة "فريدريش إيبيرت" الألمانية، فرع القدس، سنة (٢٠١١م)، وتقع في (٤٠) صفحة لكل لغة، من الحجم المتوسط. تثار قضية النفوذ الإيراني في غزة بشكل دوري، بسبب تعمد نظام الملالي التلاعب الإعلامي بها، والضغط على حلفائه من حركتي الجهاد وحماس؛ لإطلاق تصريحات إعلامية تمدح وتخدم مصالح إيران.

ومن آخر مواسم هذه التصريحات الفلسطينية الداعمة لإيران: تصريحات رمضان شلح - أمين عام حركة الجهاد-، وموسى أبو مرزوق -القيادي البارز في حماس، والمرشح لخلافة خالد مشعل- في منتصف عام (٢٠١٦)، برغم المجازر الإيرانية بحق الشعب الفلسطيني والسوري والعراقي واليميني!

جاءت الدراسة لتجيب عن الأسئلة التالية:

لماذا تسعى إيران إلى امتلاك دور ونفوذ حقيقي في قطاع غزة؟
كيف تنظر إيران إلى هذه المنطقة ومدى تأثيرها فيها على واقعها الإقليمي والدولي؟
إلى أي حد تدخلت إيران في قطاع غزة؛ لتجسير هذا التدخل لخدمة مصالحها الاستراتيجية؟
ما هي طبيعة الدور الإيراني في القطاع على مختلف الأصعدة، وأثره الواقعي، والعلاقة مع إسرائيل؟

في البداية؛ أثبت على أن هذه الدراسة برغم صدورها سنة (٢٠١١)؛ إلا أنها صالحة لهذه اللحظة، وذلك حين نستحضر تصريح أبو مرزوق في بداية سنة (٢٠١٦) عن أن الدعم الإيراني متوقف عن حركة حماس منذ عام (٢٠٠٩).

(١) موقع "الراصد"، (٣ يوليو ٢٠١٦).

وعليه؛ فلا يحاول أحد المراوغة والخداع بزعم وجود دعم إيراني مهم بعد صدور الدراسة! نعم؛ بقي نوع من الدعم لحركة الجهاد في هذه المرحلة، وهو دعم محدود لفصيل محدود، وأيضاً تقطع هذا الدعم في نهاية سنة (٢٠١٤)، وحدثت أزمة دعم إيران لانشقاق حركة الصابرين عن حركة الجهاد؛ حتى تبدلت الأمور مطلع (٢٠١٦)، وعاد شلح لزيارة طهران، وإطلاق سيل المديح لها عقب تجريم إيران في القمة الإسلامية بإسطنبول (٢٠١٦)!

في بيان دوافع النفوذ الإيراني في غزة يقول د. عدنان عامر: إن إيران ترى في إسرائيل مصدر تهديد لها، ولكن لا يعني ذلك: الانجرار لحرب عمياء معها، كما أن إيران ترى في نفوذها في غزة وسيلة للتغطية على خلافها الطائفي مع الغالبية السنية ودولها، كما أنها تعد إحدى أوراق إيران في معركة برنامجها النووي.

كما أن هذا النفوذ في غزة يمنحها "شيكًا على بياض" و"بوليصة تأمين" لدى الرأي العام الفلسطيني، وتملك إيران من خلال دعم الجماعات الفلسطينية المسلحة "ممتلكات احتياطية"؛ لتكسب بها ود الرأي العام العربي ضد خصومها العرب؛ فضلاً عن تطلعها لتوظيف هذه العلاقة من الجماعات الفلسطينية في استراتيجيتها "الدفاع غير المتماثل" ضد خصومها؛ على غرار ما تفعل الميليشيات الشيعية من مختلف دول العالم اليوم في سوريا والعراق.

لكن يختم د. عدنان هذا المحور بالتنبيه على أن الشارع الفلسطيني سريع التغير ضد إيران؛ عندما ترتكب عدواناً على الأمة وأهل فلسطين، وضرب مثلاً لذلك بتراجع شعبيتها في الشارع الفلسطيني عقب مساندتها غزو العراق والهيمنة عليه، واضطهاد الفلسطينيين هناك سنة (٢٠٠٣).

أما في محور أوجه الدعم الإيراني؛ فيرصد الباحث ما يلي:
أولاً: تؤكد حركة حماس أن الدعم المالي الرئيسي لها كان وما زال عربياً شعبياً، بمساهمات القطاع الخاص في الخليج والمحيط العربي.

وأن الدعم الإيراني بدأ نهاية (٢٠٠٢)، وكان الدعم الثابت لحركتي الجهاد وحماس هو مقابل خدمة أجندة إيران السياسية والاستراتيجية، وأن الدعم العسكري جاء في توقيت رغبة طهران بإفشال المسار التفاوضي مع إسرائيل، ولكنها عادت للقبول به عبر تصريحات الرئيسين السابقين رفسنجاني وخاتمي: "نقبل بما يقبل به الفلسطينيون"، لكن بشرط أن تكون إيران جزءاً من لعبة المفاوضات!

وبرغم ذلك؛ فإن حماس لم تحصل إلا على (٢٠) مليون دولار سنويًا، ثم (٥٠) مليونًا، وحركة الجهاد على مليونين، في حين أن حزب الله حصل على (٢٠٠) مليون، ثم (٣٠٠) عقب حرب (٢٠٠٦).

وعقب تشكيل حكومة حماس في (٢٠٠٦) دعمت إيران حماس بقيمة (٢٥٠) مليونًا، وفي (٢٠٠٧) بقيمة (١٤٥) مليونًا، ولا توجد أرقام عن سنتي (٢٠٠٨ و٢٠٠٩)، ثم توقف الدعم - كما يقول أبو مرزوق -، وهنا سؤال يُطرح: ماذا حدث في (٢٠٠٩) ليتوقف الدعم الإيراني؟ وينقل الباحث عن أحد القيادات المقربة من حركة حماس أنها قبلت الدعم الإيراني لفك الحصار؛ رغم معرفتها أن العلاقة مع إيران تعزز مكانة الأخيرة لدى الشعوب العربية، وتسمح بزيادة التغلغل الإيراني في المنطقة.

ويشير الباحث إلى أنه عقب حرب (٢٠٠٨) على غزة، وظهور التخاذل الإيراني، والاكتفاء بالتصريحات العنترية دون عمل حقيقي؛ توترت العلاقة، وبدأت تتقلص الإمدادات المالية، وتأكد لحماس أن المطلوب من وراء المال الإيراني: "تشكيل أحلاف"، وأنه لا يوجد مال بلا ثمن! أما الدعم العسكري؛ فلا يوجد تصريح إيراني به، بل تحاول إيران إنكاره! وينقل الباحث عن مقابلة مع أحد قادة كتائب القسام التابعة لحماس في صحيفة "الصاندي تايمز" أن إيران دربت أفرادًا من "القسام"، وزوّدتهم بصواريخ، ومعرفة لتطوير الصناعة العسكرية، وأن تهريب السلاح يتم عبر الصومال والسودان، مرورًا بمصر وسيناء.

لكن المثير - بحسب الباحث - أن التدريبات الإيرانية لم تعد تفيد القسام كثيرًا، وأن الحرس الثوري يعتمد أقلّ يقدم كل ما تريده كتائب القسام؛ من تدريب أو معرفة عسكرية، في ابتزاز واضح، وسعي للحصول على تبعية كاملة!

وينتخم الباحث هذا المحور بالتأكيد على أن إيران تهدف من كل ذلك إلى: توظيف الجهاد وحماس في أي صراع تخوضه؛ من خلال فتحهم لمعركة جانبية تخدم إيران، إلا أن الباحث من خلال مقابلات مع قادة عسكريين في غزة أكدوا للباحث رفضهم للرؤية والغاية الإيرانية، وأنهم يتعاملون مع إيران بوصفها دولة مؤثرة على حلفائها الفلسطينيين، وليست دولة مهيمنة.

أما بخصوص الدعم السياسي والمعنوي؛ فهو لا يزيد عن خطابات حماسية وشعارات شعبية لا اعتبارات سياسية بحتة، ولذلك حين وقعت حرب (٢٠٠٨) لم تقدم إيران سوى تصريحات

جوفاء! لأنها لن تخاطر برفع الصراع مع إسرائيل لخط المواجهة، وخروجاً من مأزقها لجأت لتوجيه الانتقادات والتهجمات للدول العربية! وحاولت الضغط على حماس برفض التهدئة والوساطة العربية؛ حين توفر ظروف تتوافق مع المصالح الإيرانية!

أما الدعم الإعلامي والدعائي؛ فقد تجسد في منح الجهاد وحماس مساحة واسعة في الإعلام الإيراني وتوابعه، وبالمقابل ابتعد إعلام الجهاد وحماس عن أي قضية تزعج إيران؛ ولو تعلق بعدوان إيراني على الدول العربية، واكتفى إعلام الجهاد - خاصة - بمدح إيران، وتسويقها بين العرب.

تناول المحور الثالث: المواقف من النفوذ الإيراني في غزة؛ حيث يؤكد الباحث أن هناك قناعة راسخة عند الرافضين والمؤيدين لنفوذ إيران في غزة بأن هذا النفوذ هو لخدمة المصالح الإيرانية؛ ولو بأساليب متنوعة صراعية أو تفاوضية.

فالحركات الإسلامية - كالجهد وحماس - تؤيد التعاون مع إيران؛ باعتبارها حليفاً استراتيجياً في الصراع مع إسرائيل، وترى في دعمها مصدراً جديداً لمساندتها في الصراع، وتؤكد هذه القوى أن هذا الدعم هو فقط لاستراتيجية المقاومة ضد إسرائيل، ولن تقبل أن تنخرط في مشروع إيران التوسعي، ولن تقبل أن تكون علاقتها مع إيران على حساب علاقتها بالأطراف العربية الأخرى. بينما يعارض هذا النفوذ الإيراني في غزة أطراف كثيرة منها: حركة فتح، والسلطة الفلسطينية، والدول العربية.

وعرض الباحث لتصرّيات إسرائيلية متباينة؛ بعضها يجعل من حماس أداة إيرانية بالكامل، وأخرى تصف حماس بأنها حركة قومية تعلي راية الوطنية الفلسطينية على البعد الإسلامي؛ الذي تتشدد به إيران.

وجاء المحور الرابع لرصد الدور الإيراني في مرحلة ما بعد الحصار المفروض منذ منتصف (٢٠٠٦)؛ حيث تميز هذا الدور بالكثير من الكلام والقليل من الفعل، بخلاف الدور التركي الذي فعل الكثير وقال القليل!

وشكلت سيطرة حماس على غزة منتصف (٢٠٠٧) فرصةً وتهديداً للنفوذ الإيراني في آنٍ واحد، فهي تزيد من قوة الردع الإيرانية، ويجعلها طرفاً مشاركاً مباشرة، وعلى تماس مع إسرائيل، لكنها تُخلّ بسياسة إيران الثابتة: أن لا تشتبك مع إسرائيل بشكل مباشر، وإنما من خلال وكلاء!

تطرق الباحث لقضية التشيع في غزة، فبرغم عدم ترحيب حماس بطائفية النظام الإيراني وسعيه لنشر التشيع في العالم، وأنها تحصر العلاقة معه في البعد السياسي؛ إلا أن إيران لم تكتف بالدور السياسي في غزة، بل عمدت من خلال حركة الجهاد لنشر التشيع؛ عبر مقالات وبرامج في قنواتها الإعلامية، وعبر إرسال الجرحى إلى طهران، وتأسيس جمعيات خيرية وثقافية شيعية، وغيرها من الخطوات.

وكان تصريح أحمد يوسف - مستشار رئيس حكومة حماس - : "ما العيب أن تكون شيعياً؟ فالشيعة هم عز هذا الزمان!" مثيراً لكثير من التساؤلات عن حقيقة العلاقة بين الطرفين، وهل تسعى إيران لمشاغلة حماس بالبعد السياسي، بينما هي تمرر مخططاتها الشيعية عبر الجهاد؟ أم فلت الزمام من حماس؟ برغم أن هناك قيادات في حماس الداخل والخارج تنتقد المشروع الإيراني الشيعي.

وقد رفضت حماس إنشاء إيران لمستشفى في غزة؛ لاشتراطها وجود مشرف عليه من قبلها، ثم عاودت الطلب بأن يكون باسم الخميني؛ وتجدد الرفض.

وخصص الباحث المحور الخامس لبيان وجوه الاختلاف بين حماس وإيران؛ لبيان أن علاقة حماس مع إيران لا تصل لمرحلة التبعية والهيمنة.

فحماس لها علاقة بمختلف الدول العربية تتراوح بين الإيجابية والطبيعية، بخلاف إيران التي لها عداوات مع كثير من الدول العربية، وأدانت حماس إعدام الرئيس صدام حسين، بينما احتفلت طهران بذلك، كما يتعاطى إعلام حماس بشكل مغاير عن الإعلام الإيراني بخصوص المقاومة العراقية والأفغانية التي تحاربها إيران، وأدانت حماس وكلاء إيران في العراق بشكل غير مباشر على جرائمهم بحق الفلسطينيين، وكذلك سرعة استجابة حماس للسعودية في اتفاق مكة؛ بخلاف الرغبة الإيرانية، ونشأة حماس كانت سنوية من داخل جماعة الإخوان المسلمين.

ويختم الباحث بالتأكيد على أن العلاقة ليست علاقة هيمنة ورضوخ، بل محاولة من حماس لإيجاد دعم لبرنامجها الوطني الفلسطيني، وأنها تناور في هذا المجال ولا تهدف لتوسيع دائرة أهدافها، برغم إدراكها أن لإيران مصالح يجب أن تراعى ضمن مجال المناورة.



«دور إيران في فلسطين بين الدوافع والنتائج»^(١)

هذا الكتاب يعالج قضية ساخنة على الساحة السياسية ومتجددة، وهي: حقيقة دور إيران في فلسطين، وهل هي جادة وصادقة في دعم قضية فلسطين؟ أم هي شاعرة لتمرير أجندة إيران في المنطقة وفلسطين؟

يقدم المؤلف بلال وليد حمدي عابدين رؤيته في دور إيران في فلسطين؛ من خلال فصول هذا الكتاب الصغير؛ الذي يقع في (١٣٤) صفحة، وبدون دار نشر.

ينطلق أ. بلال من بدء انتشار التشيع في فلسطين؛ بحسب شهادة د. صالح الرقب-وكيل وزارة الأوقاف الفلسطينية بغزة سابقاً، والقيادي المعروف في حركة حماس-، ليدلل على خطورة المشروع الصفوي في المنطقة، وأن هذا المشروع لم يعد خيالاً أو وهمًا، وأن تعرية الباطل مطلب شرعي.

جاء الفصل الأول للتعريف بدولة إيران:

ففي المبحث الأول: تناول تسميتها وموقعها ومساحتها، ثم حالة أهل السنة فيها.
وفي المبحث الثاني: تناول قضية تصدير الثورة في فكر ملالي إيران؛ والذي ضمّنه في دستورهم، ويوضح المؤلف أن تصدير الثورة يعني: محاربة مَنْ ليس شيعياً من المسلمين ليتشيع، وأن إيران أسست الميلشيات الطائفية في إيران وخارجها من أجل هذه الغاية.
وأن أدواتهم في تصدير الثورة تتراوح بين: توظيف القوة المسلحة، والخطاب الحماسي الموجه، والصفقات الاقتصادية، والمنح الدراسية.

ولا تتورع إيران في الوصول لتصدير الثورة وبسط هيمنتها على دول الإسلام من التهادن والتآمر مع أعداء الأمة؛ كما حدث في أفغانستان والعراق، وإشعال الحروب الطائفية في الدول السنية، ولتجاوز العوائق في وجه تصدير الثورة الشيعية والإيرانية والتي تتمثل في رفض الهيمنة الفارسية والشيعية من قبل الشعوب والدول، ومعارضة الأطماع الأمريكية في المنطقة؛ تلجأ إيران لكسب الشعوب لصالحها؛ من خلال تبني الشعارات البراقة: (المنعة، والمقاومة، والوحدة

(١) صحيفة "الغد"، (٢٣/٧/٢٠١٧).

الإسلامية، ومقاومة أمريكا! مما يحدث اصطفاً بين الشعوب وحكوماتها، أما الأطماع الأمريكية فقد ساوم الملالي الغرب على الحصص؛ كما حصل في الاتفاق النووي.

أما الفصل الثاني؛ الذي يبيّن الدوافع الإيرانية تجاه التلاعب بالقضية الفلسطينية، فقد تضمن ثلاثة مباحث:

الأول: تناول القضية الفلسطينية في السياسة الإيرانية؛ والتي تدرك أنها رافعة مهمة لها بين الشعوب العربية والإسلامية، فمنذ سنة (١٩٧٩) أعلن الخميني أنه: "لا قيمة لسياساتنا إذا لم يكن لنا يد في القضية الفلسطينية"، وسار على نفس النهج حزب الله اللبناني، وقد تسبب ذلك في حصول الحزب على شعبية كبيرة في الشارع العربي والإسلامي، وكذلك استفاد النظام السوري من استضافة قادة حماس ليحصل على شعبية كبيرة، ويتم تجاهل هويته النصيرية الطائفية.

في المبحث الثاني: تناول الباحث الأهداف من زعم إيران دعم القضية الفلسطينية، وأنها: الرغبة بعودة الأجداد الأمبراطورية لفارس، ونشر التشيع، وتوسيع النفوذ، وتسهيل بناء التحالفات، وحماية مصالحها السياسية؛ من خلال التلاعب بالورقة الفلسطينية، وكسب التعاطف العربي والإسلامي؛ الذي يمهد لها قيادة العالم الإسلامي، وهو الحلم الأكبر الذي تسعى له!

في المبحث الثالث: تناول وضع التشيع في فلسطين - قديماً وحديثاً-؛ حيث إن فلسطين بلد سني، فتحه الفاروق عمر بن الخطاب -عدو الشيعة الأول-، وكان جزءاً من بلاد الشام الأموية -التي يناصبها الشيعة العدا-، ولم تعرف فلسطين التشيع إلا على يد دولة العبيديين الفاطميين بشكل مؤقت، حتى هدمها صلاح الدين؛ فاندثر التشيع من مصر وفلسطين، وبقي في بعض جبال لبنان، ومع ضعف الدولة العثمانية ظهرت جيوب شيعة في فلسطين، تصدى لها الولاة والحكام.

أما في عصرنا الحاضر؛ فقد كان لقيام دولة الخميني دور في انخداع بعض الفلسطينيين بالتشيع وتبنيه، ثم جاء دعم إيران لبعض الشخصيات والفصائل في تسهيل تكوين جيوب للتشيع في فلسطين، وقد استخدمت إيران وسائل عدة من أجل هذا الاختراق؛ من تقديم المساعدات والإغاثات والتمويل، ونشر الكتب والمجلات، وتأسيس جمعيات موالية لها؛ كجمعية الغدير في بيت لاهيا بغزة، وتبني بعض الفصائل الفلسطينية؛ كتنظيم الجهاد.

وجاء الفصل الثالث؛ ليعرض النتائج التي حققتها إيران من خلال اختراقها للساحة الفلسطينية.

بدايةً؛ تناول العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، فبرغم أن المنظمة لها يد الفضل على الثورة الخمينية؛ بتدريب أفرادها ودعمهم، ورعاية نشأة حركة أمل، وكون ياسر عرفات أول الواصلين لطهران لتنهتة الخميني بالثورة؛ إلا أن الخميني حاول تسخير المنظمة لتمرير مخططاته الطائفية في إيران، ولتأييده في حرب العراق، ومع رفض المنظمة لذلك هاجمتها إيران، ودعمت المنشقين على عرفات.

وسعت إيران لمد الجسور مع العديد من الفصائل الفلسطينية مثل: الجبهة الشعبية؛ التي لا تزال لليوم تخدم إيران، وكتائب الأقصى؛ التي تعاونت مع إيران ثم انقطعت الصلة بينهما، وبعض الفصائل الصغيرة.

المبحث الثاني هو: للعلاقة مع حركة الجهاد؛ حيث أيد قادة الجهاد الخميني منذ اللحظة الأولى، وتجاوزوا البعد العقدي الشيعي في فكره، وقد نمت "الجهاد" بفضل الدعم الإيراني؛ حتى تشييع عدد من قادتها، وتلقى عليها التبعة في انتشار التشيع في فلسطين في العصر الحاضر. وتقوم الحركة برعاية بعض المناسبات الإيرانية في غزة؛ كيوم القدس، والتعاون مع المؤسسات الإيرانية في توزيع المساعدات ونشر الفكر الشيعي - أحياناً - في منابرها الإعلامية.

وجاء المبحث الثالث: ليستعرض العلاقة الإيرانية مع حركة حماس؛ حيث كانت حماس في البداية معادية للتشيع، وهو ما تنتقدها عليه صحف الجهاد حالياً؛ بعد اختلاف موقفها من إيران، وكان مبعدهو مرج الزهور سنة (١٩٩٢) الخطوة الأولى في تواصل حماس الداخل مع الشيعة في حزب الله؛ حيث تم فتح مكتب لحماس في لبنان، وعقد تفاهم مع حزب الله لتدريب كوادر حماس، وتصاعدت العلاقة مع إيران عقب فوز حماس بانتخابات (٢٠٠٦)، حتى أعلن خالد مشعل أن حماس ستصعد ضرباتها ضد الاحتلال إذا تعرضت طهران لهجوم عسكري!

وتبرّر قيادة حماس علاقتها بإيران بأنها علاقة تقاطع مصالح وليست تبعية، ومصالح إيران هي: استخدام حماس كجسر للعبور للشارع العربي والإسلامي، وتحقيق مشروعها السياسي الذي يتقاطع جزء منه مع جماعات الإسلام السياسي؛ وخاصة جماعة الإخوان المسلمين.

لكن وقوف حماس على الحياد في الثورة السورية أضرب بعلاقتها بسوريا وإيران، فبرغم عدم إعلان حماس تأييدها للثورة السورية، ولا استنكار الإرهاب بحق الشعب السوري والفلسطيني في سوريا؛ إلا أن إيران لم تقبل منها هذا الموقف، وحرصت حماس على أن لا تقطع العلاقة مع إيران؛ برغم كل جرائمها في سوريا وغيرها من البلاد العربية، وفعلاً وصلنا لتفاهم على تنحية الملف السوري من علاقتها المشتركة، وعاد الدعم الإيراني بوتيرة أقل بعد انقطاعه.

وتحاول إيران عدم قطع العلاقة مع حماس؛ لتمرر دعايتها برعاية المقاومة والممانعة، ولكنها -أيضاً- تحاول اللعب على ورقة حماس الخارج وحماس الداخل، ودعم كتائب القسام، وبرز ذلك في تعزية الكتائب في سمرقنطار وعماد مغنية، برغم أن ذلك من شأن المكتب السياسي للحركة! في محاولة لفرض سياسة فتح أكثر من خط مع حركة حماس، مما يلبي متطلبات الأجنحة الإيرانية من هذه العلاقة.

اضطرت حركة حماس للتغاضي عن بعض السلوكيات والتصريحات لمثييين في غزة، بسبب الحصار والدعم الإيراني؛ برغم أنها ترفض التشيع، وتتصدى -أحياناً- لبعض الاستفزازات؛ كموقفها من حركة الصابرين، لكن هناك تساهل في الموضوع بين الفينة والأخرى، وهو ما يجب أن تنتبه له قيادة حماس؛ خاصة في الداخل.

المبحث الرابع هو: العلاقة مع حركة الصابرين؛ التي تعد النسخة الفلسطينية من حزب الله اللبناني -في فكره وشعاره-، وهم منشقون عن حركة الجهاد.

وكانت الغاية الإيرانية من تأسيس الحركة: نشر التشيع عبر العمل الثقافي والإغاثي، وإلّا فدورها الجهادي باهت؛ لقلّة عدد أفرادها، وخطورة الحركة تكمن في أنها ستكون بديلاً عن حركتي حماس والجهاد، أو منافساً قوياً خلال بضع سنوات؛ كما جرى مع الحوثيين في اليمن مثلاً.

وقد استعرض الباحث مواقف "الصابرين" من عدد من القضايا الشيعية والإيرانية؛ كالموقف من الثورة السورية والحوثيين وشيعة البحرين، فإذا هي متطابقة مع السياسات الإيرانية! ويختتم الباحث كتابه بعدد من التوصيات للتصدي للمشروع الشيعي الإيراني في فلسطين والمنطقة، وبملحق فيه صور لبعض المقالات والبيانات المؤيدة لإيران والتشيع من غزة.



الإخوان - حماس وإيران، والسؤال الحائر؟^(١)

كثرت مؤخرًا الانتقادات لموقف جماعة الإخوان وحركة حماس من إيران، وذلك بعد تكشف الدور الذي تقوم به إيران وأذرعها المختلفة؛ بخاصة حزب الله، وفيلق بدر، وجيش المهدي. هذا الدور الذي ينطلق من رؤية مركبة شيعية-فارسية؛ حيث أن الفكر الشيعي المعاصر تأسس على يد الدولة الصفوية؛ التي أجمت النزعة الفارسية وأعطتها بعدًا دينيًا، كما هو ظاهر في روايات المجلسي في كتابه «بحار الأنوار».

وهذه التركيبة الشيعية-الفارسية هي المسيطرة -اليوم- على إيران، وهي تبرز بوضوح في نصوص الدستور الإيراني؛ حيث المادة (١٢) منه تنص على أن: "الدين الرسمي لإيران هو: الإسلام والمذهب الجعفري الإثني عشري، وهذه المادة تبقى للأبد غير قابلة للتغيير!" وتكرر في الدستور الإيراني هذا البعد الشيعي في مواد أخرى متعلقة -مثلًا- بمجلس الشورى أو الجيش، وقسم الرئيس: "لا يحق لمجلس الشورى الإسلامي أن يسن القوانين المغايرة لأصول وأحكام المذهب الرسمي للدولة"، مادة (٧٢).

والجيش في المادة (٨٥): "يجب أن يكون جيش جمهورية إيران الإسلامية جيشًا إسلاميًا، وذلك بأن يكون جيشًا عقائديًا، وأن يضم أفرادًا لاثنين مؤمنين بأهداف الثورة الإسلامية". وقسم الرئيس: "إنني باعتباري رئيسًا للجمهورية؛ أقسم بالله القادر المتعال، في حضرة القرآن الكريم، أمام الشعب الإيراني: أن أكون حاميًا للمذهب الرسمي"، مادة (١٢١). وهذا بخلاف جميع الدول الإسلامية -على تنوع مذاهبها-؛ التي تنص على الإسلام فقط؛ دون ذكر مذهب معين!

أما النزعة الفارسية؛ فتظهر في نصوص، مثل: "اللغة والكتابة الرسمية والمشاركة هي: الفارسية"، مادة (١٥)، "بداية التاريخ الرسمي للبلاد: هجرة رسول الله ﷺ، ويعتبر التاريخان الهجري الشمسي والهجري القمري كلاهما رسميين"، مادة (١٧)، فلماذا المخالفة لكل البلاد الإسلامية في التاريخ الهجري الشمسي! هل ليوافق التاريخ الفارسي القديم؟!

(١) صحيفة "الغد"، (١٠/٣/٢٠٠٧).

وضوح هذا البعد الشيعي - الفارسي للجميع بمن فيهم أفراد جماعة الإخوان وحركة حماس؛ دعا للتساؤل عن صحة الموقف الإخواني - الحماسي من إيران؛ والذي تبلور في رسالة حزب جبهة العمل الإسلامي لفروعه حول الموقف من إيران، وتلته زيارات من قيادة الجماعة للشعب لمناقشة الموضوع.

هذا الموقف الذي يمكن تلخيصه ب: المساندة لإيران هي مساندة سياسية في وجه الإمبريالية والصهيونية، مع استنكار الجرائم التي يرتكبها أعوان إيران في العراق، ورفض مواقف إيران في العراق وأفغانستان.

وموقف الإخوان وحماس ينطلق من موقف سياسي؛ يريد فك الحصار عن حماس، ودعم صمود الشعب الفلسطيني، وتقوية جبهة المقاومة بوجه المشروع الصهيوني في المنطقة.

ويغض النظر عن صحة هذا الموقف من عدمه، لم نجد أحداً سأل: لماذا تحرص إيران على هذه العلاقة، وهي تعلم - كما يقول الإخوان وحماس - أن الإخوان وحماس لا يرحبون بمواقفها العقديّة، ويعارضون نشاط إيران في نشر التشيع، فما هي المكاسب السياسية التي تحصل عليها إيران من هذه العلاقة؟

هل يمكن لجماعة الإخوان وحماس أن يُجيبا؟ بخاصة أن ثقافة "البازار الإيراني" - التي تقبل المفاوضات التجارية على كل شيء - تسيطر على مواقف إيران؛ كما حصل في أفغانستان، ويحدث الآن في العراق؟

أما حكاية دعم صمود الشعب الفلسطيني؛ فهذه لا يمكن فهمها بأي طريقة كانت وهي تمارس إبادة الفلسطينيين في بغداد عبر وكلائها؟! دون أن يستنكر ذلك أحد من قياداتهم السياسية أو الشرعية؛ ولو ذرّاً للرماد في العيون، هذه الإبادة التي لا تجد من يوقفها ويرفعها عن الفلسطينيين في بغداد.

وقد صدر حديثاً كتاب «فلسطينيو العراق بين الشتات والموت»، يكشف تفاصيل هذه الجرائم، فما هذا الدعم لصمود الشعب الفلسطيني؟!

وهذا القتل من أعوان إيران للشتات الفلسطيني، والسكوت الإيراني عليه: موقف ثابت لهم، وقد دون ذلك الأستاذ فهمي هويدي في كتابه «إيران من الداخل»، حول موقف الخميني من مجازر "أمل" في المخيمات الفلسطينية بלבnan عام (١٩٨٥م)؛ فقال: "في (يونيو ٨٥) وقات أمل

للفلسطينيين في بيروت كان قد بلغ ذروته، وبينما تكلم مختلف رموز النظام: منتظري ورفسنجاني وخامني، فإن الإمام التزم الصمت!

وقيل وقتئذٍ: إنه معتكف في الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان، ولما انتهى الصيام خرج الإمام من اعتكافه، وألقى خطاباً في "حسينية جمران" بعد صلاة العيد، وفيما توقع الكثيرون أن يعلن موقفاً تجاه ما يجري في لبنان؛ فإن الإمام لم يُشير إلى الموضوع من قريب أو بعيد! وكان جلُّ تركيزه في الخطاب على دلالة المظاهرات المؤيدة للحرب مع العراق؛ التي خرجت يوم القدس (آخر جمعة من رمضان).

كنتُ أحد الذين استمعوا إلى خطبة الإمام في صبيحة ذلك اليوم (٢٠ يونيو)، ولم أستطع أن أخفي دهشتي من تجاهله لما يجري في لبنان! ليس فقط لأن الفلسطينيين هم ضحيته ولكن لأن الجاني منسوب إلى الشيعة.

ونقلت انطباعاتي إلى صديق خبير بالسياسة الإيرانية؛ فكان رده أن الإمام له حساباته وتوازناته!!".

أما تصريحات رموز النظام؛ فقال عنها هو يدي: "كان خامني يعبرُ بصدق عن موقف الحكومة والأجهزة الرسمية؛ التي لزمت الصمت طوال خمسة أيام بعد بدء الاعتداء على المخيمات الفلسطينية، ثم بدأت تتحدث عن "وقف القتال"، و"تجنب استمرار نزيف الدم". وهو موقف بدا خاضعاً "للحسابات" أكثر منه ملتزماً بالمبادئ؛ إذ كان واضحاً الدور السوري في دعم أمل؛ فضلاً عن أن تلك الأجهزة وضعت في اعتبارها أن "أمل" هي في النهاية منظمة شيعية".

فهل يعيد التاريخ نفسه؟ أم أنها حقيقة الموقف؟ ولكن من يتعلم؟!!

وبقي علينا أن نعرف موقف جماعة الإخوان وحركة حماس مما يجري على الأرض في غزة بالتحديد؛ من نشر للتشيع بشكل مكثف، فقد أقدمت صحيفة "الاستقلال" بتاريخ (١١/١/٢٠٠٧م) على نشر مقال خطير، فيه لمز وتعريض بالصحابي الجليل أبي سفيان، فضلاً عما تقوم بنشره صحيفة "الاستقلال" - التابعة لحركة الجهاد الإسلامي - من مقالات تطعن بالصحابة! وما تبثه إذاعة صوت القدس التابعة للجهاد من أفكار تشجع على التشيع!

وأيضاً: ماذا عن الجرحى الذين يتم إرسالهم للعلاج في إيران! ويتم الضغط عليهم للتشيع؟

وقد أسست بعض الجمعيات التي تبشر التبشير الشيعي، ولهذه الجمعيات أنشطة بين طلبة الجامعات، وتقوم بترتيب دورات في داخل البيوت للترويج للفكر الشيعي. أما في محافظة بيت لحم؛ فتم إنشاء "اتحاد الشباب الإسلامي"، وبعض المؤسسات التي تنشر التشيع.

وهذه النشاطات الشيعية في الأوساط الفلسطينية ليس طارئة، بل هي قديمة، وهذا ما صرح به الدكتور صالح الرقب -القيادي البارز في حركة حماس-؛ والذي ألف كتابه «الوشيعية في كشف شنائع وضلالات الشيعة» سنة (٢٠٠٣م)، وذكر سبب تأليفه للكتاب هو: "ما لوحظ من زيادة نشاط الدعوة للشيعة الإثني عشرية في الآونة الأخيرة على مستوى قطاع غزة خاصة". وقال الرقب: "ومما يؤسف له أنه تولى طباعة الصحيفة السجادية وتوزيعها في قطاع غزة بعض الجهلة المغرر بهم! وأطلقوا عليها: "الطبعة الفلسطينية"، وكتب أحدهم مقدمة لها غالى في مدحها وتعظيمها".

فهل هذا هو ما تريده إيران من العلاقة بالإخوان وحماس! إشغالهم بالتحالف السياسي، وتمرير مخططات شيعية عبر حركة الجهاد وغيرها؟! سؤال حائر ينتظر إجابة!!



حماس وإيران والشيعة مرة أخرى!!!^(١)

حركة حماس حركة إسلامية جهادية، لها احترامها وتقديرها؛ لما تقوم به من دور هام في حماية الدين والمقدسات أولاً، وحماية المسلمين والأرض ثانياً، ومن حق حماس على كل محبيها: نصحتها وتنبهها إلى ما يظن أنه خطأ أو تجاوز وقصور، والقاعدة المعروفة: "كل عامل ومجتهد يقع منه الخطأ"، ولذلك قال النبي ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»^(٢).

سبق لي أن كتبت منذ فترة مقالاً بعنوان: "الإخوان-حماس وإيران والسؤال الحائر؟"، قصدت من خلاله: تنبيه حماس لخطورة أن تكون جسراً للتشيع إلى فلسطين وقضيتها، دون أن يُطلب منهم الشيع بذواتهم، ولكن غض الطرف عن جهات أخرى تعمل على نشر التشيع في فلسطين، وعلى رأس هذه الجهات: القيادة السياسية - في الداخل والخارج - لحركة الجهاد الفلسطينية أمر بالغ الخطورة.

ويبدو أن حماس لم تتبه لهذا الخطر، أو أنها تعرفه لكنها تجتهد أن حجمه بسيط ولا يشكل مصدر خطورة شديدة!

ولكن ما جرى في الفترة القريبة من ترويج مُبَطَّن قامت به حماس لإيران وحزب الله والتشيع في بعض المناسبات العامة؛ والتي كانت حماس ومؤيدوها هم المنظمين لها، وأيضاً بعض التصريحات الأخيرة لرئيس المكتب السياسي لحماس الأستاذ خالد مشعل وغيره؛ جعلتني أعاود الكتابة مرة أخرى حول الموضوع.

من هذه الممارسات: ما لوحظ من تواجد إيراني وشيعي مضخم ومبالغ فيه كثيراً؛ كما رصده مراسل "لجنة الحقيقة للدفاع عن عقيدة أهل السنة في فلسطين"^(٣)، في ملتقى القدس الدولي باسطنبول، في شهر (١١/٢٠٠٧)، والذي عقد بمبادرة من مؤسسة القدس الدولية؛ التي يرأس الدكتور يوسف القرضاوي مجلس أمنائها، مما يعزز القناعات أن نية إيران والشيعة: سرقة جهود

(١) موقع "الحقيقة"، (٨ مايو ٢٠٠٨).

(٢) «صحيح الجامع» (٤٥١٥).

(٣) <http://www.haqeeqa.com/welcomeshow.aspx?id=٢٠>

أهل السنة في قضية فلسطين ببعض الملصقات والبوسترات والأوراق الملونة! ولكن في مواقف النصره والمساعدة الحقيقية التي يحتاجها الشعب الفلسطيني لن تجد دورًا لإيران والشيعه في تحقيقها - كما سيأتي بعد قليل - .

وتكرر هذا الأمر - الحضور المكثف الإيراني والشيعي - في "المؤتمر الوطني الفلسطيني"؛ الذي دعت إليه حماس، وبعيداً عن تسييس المؤتمر وخضوعه لأجندة سورية؛ عبر إلغاء المؤتمر ثم عقده بسبب المناكفة مع السعودية حول الملف اللبناني، بعيداً عن ذلك شهد المؤتمر إعطاء إيران والشيعه حجماً كبيراً، مما ذكرنا بصنيع المنظمات الفلسطينية اليسارية؛ التي كانت تضخم وتلمع الدور الروسي في دعم القضية الفلسطينية؛ رغم كل الخيانات التي قامت بها روسيا تجاه القضية الفلسطينية، ومن أهمها: أنها كانت أول دولة تعترف بإسرائيل بعد أن فرضت على العالم قيامها، وهي من قام بعد ذلك بإمداد هذا الكيان بالرجال والعتاد، وتطويع كل القيادات الفلسطينية والعربية الثورية لتضليل الجماهير وسوقها لحتفها وهي تهتف للجلاد؛ كما في صنيع جمال عبد الناصر في حروبه مع إسرائيل!!

هذا المؤتمر - الذي حضره شخصيات وهيئات من مصر ولبنان وإيران - غابت عنه جماعة الإخوان في سوريا، ويقولون لنا: هذا هو الدعم الشريف والنزبه ل حماس وفلسطين!! ورغم سيطرة حماس على قطاع غزة لا تزال تتواصل الجهود العلنية لنشر التشيع في غزة، ومن ذلك: توزيع العديد من الكتب الدعائية للفكر الشيعي، مثل: كتاب «لأكون مع الصادقين» للتيجاني، وكتاب «ليالي بيشاور»، وكتاب «ولاية الفقيه»، وكتاب «مختارات من أقوال الخميني»، كما تم توزيع نشرة معنونة بـ (عاشوراء مدرسة البطولة والفداء) في يوم عاشوراء الماضي. وحين تم اغتيال المسؤول الأمني لحزب الله تسابق - للأسف! - قادة حماس على رثائه وتأيينه، وأقاموا له حفل تكريم في غزة!!

عماد مغنية؛ الذي كان وراء العديد من الجرائم بحق الإسلام والمسلمين في السعودية والكويت ولبنان والعراق، كما أنه كان وراء دعم ورعاية إيران لجيش المهدي - التابع لمقتدى الصدر -، الجزار الذي أمعن في قتل المسلمين من أهل السنة في العراق، ولم ينبج منه حتى فلسطيني العراق!!

ولا نعرف في أي سياق نضع تصريح أحمد يوسف - مستشار رئيس الحكومة الفلسطينية إسماعيل هنية-؛ الذي قال: "ما العيب أن تكون شيعياً؟ فالشيعية هم عز هذا الزمان!!" هل نضعه في سياق الدبلوماسية والمزايدة؟ أم نأخذ على ظاهره؟! لأن ما تعلمناه أن السياسي المسلم يُورّي ولا يكذب؛ كما يفعل بقية الساسة!!

ومثل هذه التصريحات تجعل الإنسان يظن أن حماس هي الطفل المدلل لدى إيران والشيعية؛ خاصة إذا قرأت تصريح الأستاذ خالد مشعل: "إننا نتلقى أموالاً من مصدر واحد وهو: إيران!!"^(١).

رغم أن الأستاذ مشعل قال في مقابلة أخرى في نفس الفترة -تقريباً-: "الله -تبارك وتعالى- تفضل علينا ومنّ علينا بدعم شعوب الأمة الخيرة، مما أغنانا عن أن نطلب من أحد من الدنيا... الأغنياء والتجار ورجال الأعمال وأصحاب الأموال ما قصر وا في دعمنا طوال العشرين سنة الماضية"^(٢)، وهنا اختفت إيران من الدعم! هل لأن المقابلة مع مجلة سعودية سلفية؟؟ هذا لا يليق بالأستاذ خالد مشعل كسياسي مسلم أو كمجاهد في سبيل الله!

المراقب لهذه التصرفات المريبة لا يشك في أن العلاقة الإيرانية الحمساوية هي: علاقة نصره وتحالف مطلقة، ولكن الحقيقة المرة هي خلاف ذلك!!

فمع كل هذا التغاضي -وليس التواطؤ!- من حماس، ومع كل ما جنته إيران وحزب الله والتشيع من مكاسب دعائية بين المسلمين، بسبب اقترانها بحماس؛ لم تستطع حماس أن تنقذ أهلنا في العراق من براثن الميلشيات الشيعية!!

ففي مقابلة لمجلة "البيان"^(٣) مع الأستاذ خالد مشعل، سئل عن مأساة ومجزرة الميلشيات الشيعية ضد فلسطينيي العراق، اعترف مشعل أنه: "لما بدأ الظلم يصيبهم، ولما بدأ القتل من الميلشيات الظالمة؛ حاولنا من خلال علاقاتنا السياسية أن نوفر لهم الحماية، لكن للأسف لم ننجح! واستمر القتل والإيذاء.

(١) صحيفة "الحقيقة الدولية" (٢٠٠٨/٢/٥).

(٢) مجلة "البيان"، عدد (٢٤٦)، (٢٠٠٨/٢).

(٣) المصدر السابق.

ولذلك اضطررنا إلى أن نبحث مشر وعماً آخر، وهو: إيواؤهم في بلاد مختلفة".
وهنا نعتب على الأستاذ مشعل! لماذا لم تُسمِّ المجرم باسمه؟ مشاعر من تراعي؟ أهلك يُقتلون
ويشردون وتعجز عن تسمية المجرمين باسمهم: "الميلشيات الشيعية" أو "جيش المهدي"، المدعوم
من إيران وحزب الله وعماد مغنية!! ماذا تركت للسياسة العرب؟؟
هذه هي الحقيقة التي يجب أن تُعلن للناس والفلسطينيين: لم تُجدِ علاقات حماس مع إيران ولا
حزب الله ولا عماد مغنية في حماية أهلنا في العراق من الميلشيات الشيعية، وكأن المطلوب من حماس
هو: البذل والعطاء للشيعية فقط، دون أن تتمكن من أخذ شيء من هؤلاء الباطنيين!!
حتى الدولارات التي وصلت من إيران تبين أنها مزيفة!! مما زاد في توتر العلاقات بين مصر
وحماس.

ما نريد أن نوصله لحماس: إن ما تقومون به من دعاية - ولو بشكل غير مباشر - لإيران
وحزب الله والتشيع هو: خطأ جسيم! ذلك أنكم توصلون رسالة علنية ومفتوحة عبر كافة وسائل
الإعلام ولكافة المسلمين: أن هؤلاء مؤيدون ومناصرون للجهاد والمقاومة في فلسطين، ولا فرق
بين سني وشيعي!

ولكن الوقائع على الأرض والتصرفات الحقيقية من طرفكم ومن طرف إيران هي عكس
ذلك، فإيران وحزب الله وجيش المهدي وأمثاله ودعاة التشيع يارسون القتل، والتهجير، ونشر
التشيع!!

وبعض قادة حماس - في الداخل والخارج - يصرخون ويسبون ويلعنون إيران والشيعية
وحزب الله، ويكشفون لك الكثير مما تجهله من ممارسات سيئة وحاكمة تجاه أهل السنة!!
وكذلك كثير من قادة الإخوان المسلمين - وخاصة في لبنان -؛ فتراهم خلف الميكروفونات
وعدسات التصوير يُمجِّدون ويمدحون إيران وحزب الله، ولكن حين تخلو بهم تسمع الوجه
الآخر للشريط!

ونصح هؤلاء الإخوة والقادة في حماس والإخوان بألا يحملوا على رقابهم إثم تضليل الأمة
وخداعها، اتقوا الله في أنفسكم وإخوانكم! لقد عرفنا الكثير من أخصار الأمة الذين يحاجوننا
بتصريحاتهم الكاذبة - والله! -، وبعد حين سيجتمع ببعضكم فتكشفون له الحقيقة فيصدم!! ولكن
بعد أن تكون إيران والتشيع قد كسبا الأرض والفكر، فهل تتوبون من قريب؟؟؟

نريد من حماس أن تكشف لنا عن مكاسبها من وراء العلاقة -السياسية على أقل تقدير- بإيران والقوى الشيعية؟

نريد من حماس أن تفسر لنا سبب زيادة وتيرة نشر التشيع في فلسطين في هذه الفترة؛ التي تمسك بها على زمام الأمور في غزة؟

نريد من حماس أن تطالب إيران وحزب الله -علناً- بتعويضات عن خسائر وأضرار فلسطينيي العراق، بسبب حليفها جيش المهدي؛ كما طالب عبد العزيز الحكيم العراقي العراق بدفع تعويضات لإيران!!

نريد من حماس أن تحصل لنا من الشيعة على وثيقة يجرمون ويدينون فيها من يطعن في القرآن وأمّهات المؤمنين والخلفاء الثلاثة؛ من رموز الشيعة المعاصرين، وهم كثير -لا كثرهم الله!-.

فإن عجزت يا حماس عن الإجابة السديدة والسليمة! فننصح لك أن دعي عنك هذا الترويج لإيران والتشيع -ولو بشكل غير مباشر-؛ حتى لا يضيع جهادك سدى، وكنت كغيرك ممن يريدونها علمانية وأنت تصيرينها شيعية -وأعيذك من ذلك!!-.



حماس بين سندان الخوارج، ومطرقة الشيعة^(١)

تواصل الأخبار من غزة هذه الأيام عن تحركات لمجموعات متطرفة تحمل فكراً خارجياً، وقد تصدت لها حماس بقوة، بالرغم أن هناك تقارير صحفية تتحدث عن صفقة عقدت بين حماس وهذه المجموعات تصب في صالح المجموعات المتطرفة.

وفي نفس الوقت تعاني حماس من هجوم إيراني شيعي عليها في الخارج، بسبب عدم انسجامها التام مع إيران، وحرها الطائفية الفاجرة في سوريا واليمن، ومن أمثلة هذا الهجوم: ما شهدته حلقة برنامج (في العمق) على قناة "الجزيرة"؛ التي شارك فيها ياسر الزعاترة - كمقرّب من حماس -، ووليد المدلل - من غزة -، ومحمد شريعتمداري - من طهران -، كنموذج للهجوم الإيراني الشيعي على حماس.

وأيضاً يمكن الرجوع لتقدير الموقف الذي أصدره مؤخراً مركز "أمية" - التابع لجماعة الإخوان في سوريا - عن نية إيران تصفية حماس.

وقد نجحت إيران في ترسيخ تنظيم شيعي مسلح في غزة بشكل علني وقوي؛ وقد كان ذلك من خلال حركة الجهاد الإسلامي، ولكن يبدو أن إيران رأت أن تُخرج من رحمها حركة أشد تشيعاً وإخلاصاً لها، فظهرت حركة الصابرين؛ التي تتكون من الرموز الشيعية في حركة الجهاد سابقاً، وترفع شعاراً لها هو نسخة من شعار حزب الله الشيعي.

وإن كان من نصيحة نزجها لحماس فهي: إن خطر الشيعة عليكم في غزة أشد من خطر الخوارج، فالمتطرفون في غزة عندكم ليس لهم دولة تحميهم وتدعمهم؛ كدعم إيران للشيعة، وهم مفرقون مشتتون؛ بخلاف حركة الصابرين الشيعية وحركة الجهاد، وليس لهم مؤسسات إعلامية وثقافية وإغاثية؛ كحال متشيعة غزة.

كما أن تجارب المتطرفين المختلفة تدل على سداجة وغباء؛ بخلاف تجارب الشيعة التي تدل على مكر ودهاء، فها هو حزب الله يشلُّ لبنان بل ويحتلها باسم المقاومة والممانعة!
وها هم في العراق يعيثون فساداً وتطهيراً عرقياً وقتلاً طائفيّاً؛ باعتبارهم الحكومة الشرعية!

(١) موقع "الراصد"، (٢٦/٦/٢٠١٥).

وها هم في اليمن يقودون انقلاباً دموياً ضد كل اليمنيين!
فالحذر الحذر من التساهل مع الشيعة في غزة! وعاملوهم معاملة الخوارج بل أشد؛ وإلا
فأخشى أن تكون العاقبة وخيمة بهذا التغاضي عمّن أغراضه مكشوفة وأطماعه معلومة، وعندها لن
تنفع الغفلة ولن تجدي الرحمة!!



حركة الجهاد الإسلامي، والهوى الشيعي الإيراني^(١)

ظهر مؤخرًا بشكل واضح وصريح الكثير من المظاهر والنشاطات التابعة لحركة الجهاد الإسلامي في داخل فلسطين؛ والتي تحمل تشيعًا صريحًا غير مبطن!!
والغريب أن كثيرًا من الطيبين من أهل السنة وقفوا مدهوشين أمام ذلك! وبعضهم لا يزال يكذب الأخبار التي تصل عن ذلك؛ رغم أنها موثقة بالصوت والصورة، ومن مواقع حركة الجهاد الرسمية، وتصدر عن القيادات الرئيسية للحركة؛ والتي لا تزال تمارس دورها.
وهذا التعاطف مع حركة الجهاد هو ميزة وسلبية في آنٍ واحد للطيبين من أهل السنة؛ فهو من جهة يعبر عن شوقهم وحبهم للأرض المباركة وأهلها، وإخلاصهم في الدفاع عنها، ومساندة المجاهدين الأبطال؛ رغم اختلاف المنهج وتعارض الفكر، فهذه الميزة.
أما السلبية فهي: سهولة خداعهم لطيفة قلوبهم، وسلامة صدورهم، فكل من رفع راية الجهاد يصدقونه؛ ولو كان مخادعًا مكارًا، وما حال (أبي القعقاع محمد قولا غاصي) ببعيد!!
ولما كان كثير من أهل السنة لا يعرف حقيقة الهوى الإيراني والشيعي لحركة الجهاد؛ لانخداعه بصلاح ممثلها في بعض الدول، وعدم متابعتها لأدبيات وأفكار حركة الجهاد؛ لزم التنبيه على ذلك، وإقامة الدليل على عمق هذه الروابط، وأنها منهج وفكر الحركة، وليست سلوكًا سطحيًا يراد منه: استغلال إيران والشيعنة للحصول على الدعم المالي، لأن الحقيقة أن حركة الجهاد منذ نشأتها تعتنز بهواها الإيراني الشيعي، وتناضل في سبيل تمكينه في فلسطين!!

■ بداية حركة الجهاد^(٢):

تكونت حركة الجهاد في نهاية السبعينيات من القرن الماضي؛ من بعض الطلبة الفلسطينيين الدارسين في مصر، وكان الدكتور فتحى الشقاقي هو محور هؤلاء الطلبة؛ الذين كان منهم د.

(١) موقع "الراصد"، (١٤ سبتمبر ٢٠٠٧).

(٢) انظر: «الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية»، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، تحرير فيصل دراج وجمال باروت، (١٥٧/٢). وانظر - أيضًا -: «موسوعة الحركات الإسلامية»، مركز دراسات الوحدة العربية، د. أحمد الموصلي، (ص ٢٢٥).

رمضان شلح - الأمين العام للحركة اليوم-، ونافذ عزام، وعبد الله الشامي، ومحمد الهندي، واستقطبت الحركة بعض كوادر حركة فتح المتدينين في داخل السجون الإسرائيلية، ومنهم تشكل الجهاز العسكري للحركة، وبعد ذلك تم التنسيق بين الحركة و"سرايا الجهاد الإسلامي"، التابعة لفتح-القطاع الغربي.

حدثت صراعات داخلية وتجاذبات في حركة الجهاد بين ثلاث شخصيات، هي: الشيخ أسعد بيوض التميمي - خطيب المسجد الأقصى سابقاً-، والشيخ عبد العزيز عودة -المحاضر بالجامعة الإسلامية بغزة-، والدكتور فتحي الشقاقي؛ الذي استقرت له الأمور في حركة الجهاد.

وعلى كل حال؛ فهذه الشخصيات الثلاث كانت مغرمة بالنموذج الإيراني الشيعي!!

فالشيخ التميمي كان من المناصرين والمدافعين عن ثورة الخميني، وهذا مشهور ومعلن، فهذا ولده الأستاذ محمد أسعد بيوض كتب عن علاقة والده بالإيرانيين وثورتهم: "وبفضل الله أن والذي افترق مع هذه الثورة فوراً عندما اكتشف حقيقتها المذهبية القومية المتعصبة، وأنه كان على خطأ عندما ظن بها خيراً؛ فكان من أشد أنصارها...

وتم هذا الافتراق بعد جلسة شهدت نقاشاً صريحاً وواضحاً من قبل والذي مع بعض قيادات الثورة، وكيف أن ظنه بهذه الثورة قد خاب! وأن جميع المنطلقات التي انطلق منها في موقفه المؤيد لها قد ثبت فشلها، وأنها وهم، وأنه لن يموت إلا على عقيدته السلفية وحب أبي بكر وعمر، وكنت شاهداً على هذه الجلسة"^(١).

وأما افتتاحية موقع الشيخ أسعد بيوض التميمي؛ فقد جاء فيها ما يلي: "ولقد بلغت ذروة جهاد الإمام المجاهد بتأسيسه لحركة الجهاد الإسلامي (الفلسطينية)، في نهاية عقد السبعينات وبداية الثمانينات من القرن المنصرم؛ والتي تأمرت عليها إيران بأن شقتها...

وكان هذا الفعل بمثابة طعنة من الخلف بعد أن كان الشيخ يقف إلى جانب الثورة الإيرانية من أول يوم، معتبراً إياها ثورة في الفكر الشيعي، ولا يجوز الحكم عليها قبل تجربتها والتعرف عليها عن قرب...

(١) انظر مقاله: (هل الثورة الإيرانية إسلامية أم مذهبية قومية؟)، على موقعه الشخصي:

ولكن - للأسف الشديد! - كانت تجربة مُرّة! حيث اكتشف الإمام المجاهد بعد حين بأن الثورة الإيرانية ما هي إلا ثورة طائفية مذهبية، بخلفية قومية، لا زالت تحمل الحقد الدفين على أبي بكر وعمر وجميع الصحابة وأهل السنة، لذلك حصل بينه وبين إيران انفكاك لا رجعة فيه من عام (١٩٩١)^(١).

أما عبد العزيز عودة - والذي يلقب بالأب الروحي لحركة الجهاد -؛ فمعروف أنه من أوائل من أيدوا الثورة الخمينية في داخل فلسطين.

لكن ما يهمننا أكثر هو: الكلام عن فتحي الشقاقي؛ كونه أول أمين عام لحركة الجهاد، والحركة ما زالت تتبع خطاه للآن؛ عبر قيادة د. رمضان شلح.

الشقاقي (١٩٥١-١٩٩٦) ولد في رام الله، ثم انتقل إلى مخيم للاجئين في غزة، سافر للدراسة في مصر، وأصبح طبيب أطفال.

من الناحية الفكرية؛ تدرج الشقاقي من الناصرية، حيث أسس سنة (١٩٦٦) جماعة ناصرية صغيرة، وبعد هزيمة (٦٧) تحول للحركة الإسلامية، وانضم للإخوان سنة (١٩٦٨)، وتركهم سنة (١٩٧٤)؛ بعد اختلافه معهم حول سياستهم تجاه إسرائيل.

وفي مصر اتصل بجماعات الجهاد، واعتقل في القاهرة سنة (١٩٧٩)، بسبب تأليفه كتاب «الخميني: الحل البديل»، وفي (١٩٧٨) أسس حركة الجهاد، وأعلنت في (١٩٨٠)، عاد لفلسطين فتم اعتقاله سنة (١٩٨٣) لمدة (١١) شهراً، واعتقل مرة أخرى سنة (١٩٨٦) لمدة (٤) سنوات، وتم إبعاده للجنوب اللبناني سنة (١٩٨٨)، وفي عام (١٩٩٦) اغتيل الشقاقي في مالطا.

■ الشقاقي وجذور العلاقة بإيران:

خير من يحدثنا عن هذه العلاقة هو: د. رمضان شلح - صديق الشقاقي الوفي والقديم، والأمين العام لحركة الجهاد الآن -، يقول شلح^(٢): "إنه عندما اندلعت الثورة الإيرانية في (فبراير -

(١) <http://assadtamimi.com/first.htm>

(٢) «في عين العاصفة، حوار مع رمضان شلح»، غسان شربل، بيسان للنشر والتوزيع، (ص ٧٣)، وسبق نشره في صحيفة "الحياة" اللندنية، بتاريخ (١/٧/٢٠٠٣).

شباط ١٩٧٩) طلبوا من الدكتور الشقاقي أن يشرح لهم أبعاد حركة الخميني وأهدافها، لأن المقربين من الشقاقي وأنصاره لم يكونوا مُلمين بحقيقة ما جرى! في البداية قرر أن يكتب دراسة في حدود عشر صفحات؛ حتى يقرأها الجميع، لكن الفكرة تطورت إلى كتيب يطبع ويوزع في الأسواق، وأذكر أنه نزل إلى القاهرة وأحضر بعض الكتب والمراجع حول الشيعة وحركة الإمام الخميني من المكتبات ومن جمعية آل البيت، فألف ذلك الكتيب «الخميني: الحل البديل»؛ الذي كتبت مسودته بخط يدي قبل أن يرسل للمطبعة، وقد نزل الكتاب إلى الأسواق بعد وصول الخميني إلى طهران بأيام، تقريباً في (١٦ / ٢ / ١٩٧٩ م). هذه هي بداية العلاقة وأصل الحكاية؛ فهي تعود لعام (١٩٧٩)، وليست وليدة السنوات القريبة!!

كما أن الشقاقي استعان بجمعية آل البيت بمصر؛ فهل يدل هذا على أن له بها علاقات سابقة؟ هذا ما ينبغي دراسته وبحثه!! وعند دراسة هذا الكتيب؛ نجد أنه يعبر عن حالة عاطفية عالية مع قلة وعي! فقد أورد الشقاقي في كتيبه عددًا من الثورات والتجارب التي خدعت المسلمين سابقًا؛ كجمال عبد الناصر، وهواري بو مدين - في الجزائر -، وأتاتورك، وما جرى في السودان وليبيا من خطف النصر من بين أيدي المسلمين، وتبرز في عرضه لهذه التجارب والأحداث عاطفة جياشة صادقة ترغب بالعز والمجد لهذه الأمة!

وقد ذكر الشقاقي بعض المؤامرات والمكائد والخدع التي تعرض لها المسلمون لتأييد بعض هذه الثورات، ثم اكتشفوا حقيقتها؛ ولكن بعد فوات الأوان! ولكنه حين أتى عند ثورة الخميني تحول من كاتب عاطفي يدرك المؤامرات القديمة لكاتب مخدوع! يمتاز بضعف الوعي؛ وذلك أنه لم يتحصل على قواعد وأصول صحيحة يزن بها الأفكار والشخصيات، وكم تعاني أمتنا من أمثال هؤلاء الكتاب والقادة!! ففي مقدمة كتابه؛ يصف الشقاقي الخميني وثورته بقوله: "مع انتهاء عام (١٩٧٧ م) كانت الظروف الموضوعية قد نضجت للثورة محلياً؛ فساد هائل، وإسلامياً؛ وعي متزايد، وتجربة فكرية وسياسية في غاية العلمية، وفي إطار من الأطروحات الشيعة العصرية - التي اقتربت من أهل السنة - ضمن فترة من أنشط الفترات فكرياً في تاريخهم".

وهذا يدل على مدى هشاشة معرفة الشقاقي بالفكر الخميني! وأنه رجل ساذج!! خدع بعض الخطابات والشعارات الخمينية الدعائية!

وفي الفصل الثاني؛ الذي وضع له عنوان: "الإمام الخميني المفكر والمناضل"!! وكال فيه المديح للخميني؛ حتى أنه ساواه بالمرجع الخوئي، وهذا فيه تجاوز كبير تاريخياً، ورغم أن الشقاقي ينقل فقرات مطولة من كتاب الخميني «الحكومة الإسلامية» إلا أنه -لعاطفته وقلة وعيه- لم ير حقيقة فكر الخميني الذي سطره في كتابه هذا!

ويبقى هنا سؤال: من أين حصل الشقاقي على كتاب «الحكومة الإسلامية» في القاهرة مترجماً إلى العربية سنة (١٩٧٩)؟؟ هل من جمعية آل البيت؛ فيكون لها علاقة بثورة الخميني؟ أم أن ثورة الخميني ترجمت الكتاب للعربية مبكراً وطرحته في الأسواق؟؟

نجد جزءاً من الجواب في مقدمة مؤسسة "تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني" لكتاب «الحكومة الإسلامية»؛ الذي طبع سنة (١٩٩٦م)؛ حيث تقول المؤسسة: "في خريف سنة (١٩٧٠) طبعت (محاضرات الحكومة الإسلامية) من قبل أنصار الإمام في بيروت، بعد مراجعتها من قبله وإعدادها للطبع.

ومن ثم أرسلت إلى إيران بشكل سري، كما أرسلت في نفس الوقت إلى أوروبا وأمريكا وأفغانستان وباكستان؛ ليستفيد منها المسلمون الثوريون هناك". (ص ٦).

وفي هذا الفصل؛ يفصح الشقاقي عن سبب علاقة (حركة الجهاد) بالخميني؛ فيقول: "وتبقى هناك قضية هامة في فكر الإمام الخميني، وممارسة الحركة الإسلامية في إيران؛ ألا وهو: موقفها من قضية فلسطين، هذا الموقف الذي ينمُّ عن وعي استراتيجي وتكتيكي بالغ الأثر والأهمية، وهو موقف يجب أن تتأمله بقية الحركات الإسلامية لتأخذ منه الدرس والعبرة؛ لا على مستوى النظرية فقط بل على مستوى الممارسة والتطبيق، لأن المراوحة في المستوى النظري هي مراوغة تسمح لكل فكر فجع ومائع بالبقاء في ميعه، يؤدي دوره بشكل غير صحي".

وهذه اللهجة الحادة نوعاً ما سببها: خلاف الشقاقي مع حركة الإخوان المسلمين حول طبيعة التعامل مع القضية الفلسطينية؛ حيث يقول: "ومن هنا نشأت العلاقة بين الحركة الإسلامية في إيران وفلسطين، هذه العلاقة التي لا يمكن سبر كل أغوارها في مثل هذا الكتاب، وربما كان باستطاعتنا الإشارة لبعض جوانبها"، ثم يذكر بعض بيانات الخميني المنددة بإسرائيل.

ويختتم الشقاقي هذا الفصل بقوله: "كنت أود أن أشير قبل ترك هذا الفصل: أن الثورة الإسلامية في إيران ثورة إسلامية بمعناها القرآني الرحب.. إنها ليست ثورة طائفة دون طائفة، إن القواسم المشتركة بين جناحي المسلمين السنة والشيعة لتكاد - بل هي فعلاً - تشكل جسد هذه الثورة؛ بدءاً من منطلقاتها وأهدافها ووسائلها وبواعثها..

إن الخلاف المطروح بين أهل السنة والشيعة حول إمامة الأئمة الاثني عشر، وعصمة الأئمة - لا يشكل سلباً ولا إيجاباً - أي تأثير في طبيعة الثورة ومسارها.

ولكن حتى تكتمل موضوعية البحث؛ لا بد لنا من دراسة سريعة لأصول الفكر الشيعي". وهذا يؤكد عاطفية الشقاقي، وقلة وعيه بالفكر الشيعي! الذي تناول أسسه في الفصل الثالث. حين نقرأ ماذا كتب الشقاقي عن الشيعة تجده استند لكتاب كاشف الغطا «أصل الشيعة وأصولها»، وهذا كتاب شيعي دعائي، يراد منه: خداع المسلمين؛ وذلك أنه لا يورد الحقائق الصحيحة عن الشيعة، بل يستخدم لغة دبلوماسية؛ ولذلك تراه يثني على الصحابة - مثلاً - ولكن لا يتبنى الموقف الصحيح وهو: البراءة ممن يكفّرهم!!

وعندما يستعرض الشقاقي أصول الشيعة؛ فلا يدرك أبعاد "الإمامة" عند الشيعة، وأنها: ركن الدين، من أنكرها كفر، ولولا الإمامة لما بقي من مذهب الشيعة شيء!!

ويجعل الشقاقي أصول الشيعة أربعة:

١ - العصمة، أي: أن الأئمة الإثني عشر معصومون من كل خطأ وزلل، ويورد الشقاقي رد أحمد أمين على الشيعة في كتابه «ضحى الإسلام» (ج ٣، ص ٢٢٢): "لو كان لعلي كل هذه العصمة والعلم ببواطن الأمور وخفاياها؛ لتغير وجه التاريخ، ولما قبل التحكيم، ولدبر الحروب خيراً مما دبر!

فإن قيل: إنه علم وسكت وتصرف وفقاً لقدر؛ فهو خاضع للظروف، خضوع الناس تتصرف فيه حوادث الزمان كما تتصرف في الناس، والرسول ﷺ يقول: «لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء».

٢ - المهدي، وتعني لغة وديناً: الرجل الذي هداه الله فاهتدى، وأخذت عند الإمامية معنى: «الإمام المنتظر»، وهو لا يزال غائباً بين الناس، وسيظهر فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهو: محمد المهدي؛ الذي اختفى نحو (٢٦٠ هـ).

وكان الكثير من الشيعة يرى أنه لا تقوم دولة الإسلام مرة أخرى إلا بظهور المهدي، لكن موقف الإمام آية الله الخميني الذي رأى في هذا الانتظار دون التحرك لإقامة حكومة إسلامية أسوأ من نسخ الإسلام.

٣- الرجعة، وتعني: أن الله يُرجع قسماً من الأموات إلى الحياة الدنيا، ويعتقدون أن النبي ﷺ وعلياً والحسن والحسين وباقي الأئمة وكذلك بعض خصومهم من الصحابة؛ كأبي بكر وعثمان وعمر ومعاوية!! يرجعون إلى الدنيا بعد ظهور المهدي، ويعذب من اعتدى على الأئمة وغصبهم حقوقهم أو قتلهم.

ولكن الإمام آل كاشف الغطاء يقول في كتابه «أصل الشيعة وأصولها»: "وليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم، ولا إنكارها بضار، وإن كانت ضرورية عندهم، ولكن لا يناط التشيع به وجوداً أو عدماً" (ص ٩٩).

٤- التقية، هي عندهم: كتمان الحق، وسر الاعتقاد فيه: مكاتمة المخالفين، وترك مظاهرهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا، ويروى عن الإمام جعفر الصادق قوله: "من لا تقية له لا دين له"، وأجاز التقية في الدين عند الخوف على النفس، وقد تجوز في حالة الخوف على المال، وفي حالة الاستصلاح.

ويقول الإمام آية الله الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» (ص ١٤٢): "فلا ينبغي التمسك بالتقية في كل صغيرة وكبيرة، وقد شرعت للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر في مجال الأحكام.. أما إذا كان الإسلام كله في خطر؛ فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت"، وتعتبر الشيعة موقف سكوت علي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أجمعين كان تقية، وكذلك موقف الحسن من معاوية.

واضح من عرض الشقاقي السابق للفكر الشيعي أنه عرض ساذج! لم يعرف من التشيع إلا اسمه، فأصل التشيع هو: الإيذان بالإمامة؛ من أنكرها فقد كفر.

ولذلك حين غفل الشقاقي عن هذا هوّن من حقيقة الخلاف بين الشيعة والسنة، وظن أن المسألة سهلة يمكن التجاوز عنها! وخاصة حين اعتمد على كتاب كاشف الغطاء، غير المعتمد داخل الشيعة؛ لكونه للدعاية بين أوساط السنة.

ولذلك تجد تناقضًا في موقف كاشف الغطا في موضوع الرجعة عند قوله: "وليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم، ولا إنكارها بضرار، وإن كانت ضرورية عندهم، ولكن لا يناط التشيع به وجودًا أو عدمًا" (ص ٩٩).

فهو غير لازم! وإنكارها لا يضر! وضرورية عندهم! فأيهما الصحيح؟؟؟
لاحظ أن كاشف الغطا لا ينكر أن أبا بكر وعمر والصحابة أعداء للأئمة، وأنهم سيعذبون على هذا!!! ولكن جهل الشقاقي وعاطفته أعمته عن فهم ذلك!!
ويختم الشقاقي هذا الفصل بالسؤال عن حكم السني عند الشيعة؛ فيقول: "والسؤال الذي يواجهنا الآن: ما موقف الشيعة من أهل السنة.. أي: من المسلم الذي لا يأخذ بالإمامة وينكر العصمة؟

ورغم أن الإمام الكليني يقول في كتابه «الكافي»: "لا يكون العبد مؤمنًا حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم، وإمام زمانه ويرد إليه ويسلم له"، إلا أن بعضهم يفسر كلمة (لا يكون مؤمنًا) أي: لا يكون مسلمًا شيعيًا.

ويجب الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء على هذا السؤال بشكل حاسم في كتابه «أصل الشيعة وأصولها»، قائلاً: "والإسلام والإيمان مترادفان، ويطلقان على معنى أعم، يعتمد على ثلاثة أركان: التوحيد، والنبوة والمعاد، فلو أنكر الرجل واحدًا منها؛ فليس بمسلم ولا مؤمن.
وركن رابع وهو: العمل بالدعائم التي بني عليها الإسلام، وهي خمس: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والجهاد، الشهادة مرت في التوحيد.. فهذه الأركان الأربعة هي أصول الإسلام والإيمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين، ولكن الشيعة الإمامية زادوا ركنًا خامسًا وهو: الاعتقاد بالإمامة" (ص ١٢٧).

وقد اعتبر الإمام آل كاشف الغطاء أن عدم الأخذ بالمبدأ الخامس مع الإيمان والعمل بالأركان الأربعة؛ لا يخرج المسلم عن دائرة الإيمان والإسلام؛ فيقول في نفس المصدر السابق: "وإذا اقتصر على تلك الأركان الأربعة فقط؛ فهو مسلم مؤمن، بالمعنى الأعم، يترتب عليه جميع أحكام الإسلام؛ من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته، وغير ذلك؛ لا أنه بعدم الاعتقاد بالإمامية يخرج عن كونه مسلمًا - معاذ الله -.

نعم؛ يظهر أثر التدين بالإمامية في منازل القرب والكرامة يوم القيامة، أما في الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء، وبعضهم لبعض أكفاء".

وهنا تجد تناقضات غريبة من الشقاقي وتهاوُّناً عجيباً! فكاشف الغطا يؤكد أن الإمامة ركن من أركان الدين!! ومعلوم أن من لم يأت بالركن يكفر! كما أن كاشف الغطا تلاعب حين ضم أركان الإسلام إلى أركان الإيمان ليخلط القضية!!

ولذلك لم يُسمَّ كاشف الغطا أهل السنة: مؤمنين، بل مسلمين، لأن الشيعة يرون أن أصول الإسلام قسمان: قسمٌ من أتى به يترتب عليه جريان حكم المسلم؛ كالتلفظ بالشهادة كأهل السنة، وقسمٌ آخر تتوقف عليه النجاة في الآخرة، منها: الاعتقاد بالإمامة!!^(١)

والخلاصة التي يصل إليها الشقاقي: "وبعد؛ فمجمّل القول بالنسبة للشيعة الاثني عشرية الذين يشكلون سواد الشيعة اليوم: أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنه واحد أحد ليس كمثله شيء، وأن محمداً رسول الله ﷺ، جاء بالحق من عنده، وصدق المرسلين، ويؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، وبجميع ما جاء به من عنده، ويقولون بإمامة علي وولده الأحد عشر، وأتّهم أحق بالإمامة من كل أحد، وأتّهم أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ".

وقولهم بالإمامة هذا لا يوجب كفراً ولا فسقاً؛ لأن إمامة شخص بعينه ليست من أصول الإسلام؛ كما يرى أهل السنة.

وهم وإن كانوا أوجبوا إمامة الأئمة الاثني عشر؛ لكن منكر هؤلاء الأئمة عندهم ليس بكافر، ولا بخارج عن الإسلام، وتجري عليه جميع أحكامه.

كما يقولون بعصمة الأئمة الاثني عشر، وبعودة المهدي الموجود حياً بين الناس، وإن أخطأوا في ذلك أو أصابوا؛ فهذا لا يوجب كفراً، ولا خروجاً عن الإسلام.

ومن أهم ما يؤخذ عليهم: دعوى القدح في الصحابة الكرام، ولكن بعضهم يبرأون من الغلاة، ويقولون: إن احترام أصحاب نبينا من احترام نبينا، فنحن نحترمهم لاحترامه، في حين يقول بعضهم: إن أبا بكر وعمر وعثمان -رضوان الله عليهم- قد اغتصبوا السلطة من الإمام علي عليه السلام، يقول آخرون منهم: إن أبا بكر وعمر وعثمان اجتهدوا فأخطأوا".

(١) لمزيد تفصيل: راجع «أصول مذهب الشيعة»، للقفاري، (٣/١٣٠٥).

وبهذا يتضح أن عدم معرفة الشقاقي بمذهب الشيعة وانخداعه بالتقية الشيعية والشعارات الثورية! مع نفسيته الراضية لموقف الإخوان من القضية الفلسطينية (فترة السبعينات) جعلته مهياً لقبول ودعم ومناصرة الثورة الخمينية.

تطور علاقة الشقاقي - حركة الجهاد بإيران والتشيع:

هذه بعض التصريحات والمقالات التي كتبها الشقاقي في مجلة "المختار الإسلامي" وغيرها، نقلها من موقع الشقاقي الرسمي على شبكة الإنترنت، ويلزم التنويه هنا أن مجلة "المختار" هي أحد منابر حركة الجهاد.

يقول الشقاقي: "وحركة الجهاد الإسلامية ليست مجرد مجموعات عسكرية مقاتلة؛ كما تصور أو سألتنا كثيرون، ولكنها إضافة إلى ذلك - وربما قبل ذلك - رؤية متجددة في العمل الإسلامي، رؤية منهجية تحدد بوضوح ووعي فهمها للإسلام وللتاريخ الإسلامي ولحركة التاريخ، كما للعالم والواقع أيضاً.

ومنذ مجلة "المختار الإسلامي" التي صدرت في القاهرة (١٩٧٩) إلى "الطلیعة الإسلامية" إلى "الإسلام وفلسطين" إلى عشرات الكتب والنشرات والكراسات التي صدرت عن الحركة؛ قدمت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين إسهاماً فاعلاً في تطوير العمل الإسلامي المعاصر، وهي لا زالت مستمرة في هذا العطاء، بجانب الممارسة الجهادية ضد العدو المركزي للأمة"، كما صرح الشقاقي لصحيفة اللواء اللبنانية بتاريخ (١٠/٣/١٩٩٠)، بل لقد كان الشقاقي هو رئيس تحرير مجلة "المختار" في بداية نشأتها.

ولا تزال "المختار" تقوم بهذا الدور، بقيادة د. محمد مورو، ومن يطالع "المختار" الآن يجد بكل وضوح تأييد ثورة الخميني وحزب الله وحسن نصر الله، والتهوين من حقيقة الخلاف العقدي بين السنة والشيعة، وإن كان مورو قد أعلن أن تأييده لإيران قد ضعف بعد موقفها في العراق، ولكن ليس لأنه فهم وأدرك حقيقة الفكر الشيعي!

هذه جولة مع بعض مقالات الشقاقي في مجلتي "المختار" و"الطلائع" حسب تاريخ النشر؛ لنرى توطد العلاقة مع إيران والثورة، وأنها أصبحت تتبنى كامل المنظومة الفكرية الإيرانية، وسوف تكون النقولات مطولة لتوضيح الصورة كاملة، ولا نؤتمهم بالاجتزاء.

كما يجب التنبيه هنا إلى أن أغلب هذه المقالات كتبها الشقاقي وهو داخل فلسطين؛ حيث عاد إليها في أول الثمانينات، وأبعد لجنوب لبنان عام (١٩٨٨ م):

١ - في "المختار الإسلامي"، العدد (١٢)، السنة الأولى، (يونيو ١٩٨٠)، كتب الشقاقي رثاءً بعنوان: "وداعاً.. باقر الصدر": "ما أصعب الكتابة عنك... ما أصعب أن يكتب البشر الفانون من أمثالي عن الشهداء الخالدين... ما أصعب أن أكتب عنك يا سيدي!
لا أدري أأرثيك... أرثي لنفسي... أم من أرثي هؤلاء القتلة الطغاة من ثوربي هذا الزمان
وخصيانه في قصور بغداد؟

في يوم ما، دلني تعبي عليك... وجدت كتابيك العظيمين: «اقتصادنا»، «فلسفتنا» كان تعب
جيل بأكمله.. التهمت.. امتلأت ثقة.. طال ظلك.. طالت قامتي.. تعانقنا كما التلميذ في حضرة
أستاذ عظيم...

والآن وفي هذه الساعة المتأخرة من هذا الليل.. يجيء نعيك... العالم يغط في النوم... بينما أنت
تترجل عبر الأفق يا سيدي! فارساً جميلاً وكوكباً تزفه النجوم".

٢ - في العدد (١٤)، السنة الثانية، (أغسطس ١٩٨٠) كتب الشقاقي: "مما لا شك فيه أنه كلما
تقدمنا في دراسة الثورة الإسلامية في إيران فإننا نجد أنفسنا أمام حدث عظيم، وظاهرة ومعجزة في
التاريخ الحديث: أن يطرح دين مرّ على ظهوره أربعة عشر قرناً طرْحاً ثورياً وديناميكياً فذاً، ومن
خلال مضمون اجتماعي وسياسي وثقافي شامل...".

٣ - العدد (٢١)، السنة الثانية، (مارس ١٩٨١)، في ذكرى مرور عامين على انتصار الثورة
الإيرانية كتب الشقاقي مقالاً طويلاً، جاء فيه: "لكن رحلة الثورة لم تكن ببساطة هذه الكلمات...
كانت عناء فوق طاقة البشر، وملحمة خلود لا يصنعها الإرسالون محمديون حقيقيون...
يا إلهي!...

أي مجد ينفلت من بين أصابع كف الإمام... ويتظرك يا أمة الإسلام... يا كل أمة
الإسلام؟...

وحققت أول انتصار للإسلام في العصر الحديث، لقد عادت الحياة إلى هذا الجسد الذي ظنوه
وقد أصبح جثة هامدة... إنه يستفيق من جديد... ينهض رائعاً وفتياً...
ويبقى السؤال المهم: كيف تحقق الانتصار؟!

القيادة الرسالية: والتي تمثلت كأفضل ما يكون في شخصية الإمام الخميني؛ الذي جاءت مراحل حياته معبرة أصدق تعبير عن الشخصية الإسلامية؛ التي جاء الإسلام ليقدمها للبشرية سراجاً منيراً ووقدوة فذة...

فهو بداية: مسلم شديد الالتزام... ثوري ذو بصيرة نفاذة، وحس ورؤية صائبة في أحلك الظروف... شجاع لا يعرف المساومة أو التخاذل، مسكون بعذابات المسلمين وأوجاعهم، في صدره إحساس الحسين بالمسؤولية، وفي دمه رؤية الحسين الفذة لمعنى الشهادة...

في حين كان محور حركة الإخوان المسلمين - كحركة رائدة في الوطن الإسلامي - هو: تربية الفرد، وكان محور الحركة الكبرى الأخرى - الجماعة الإسلامية في باكستان - هو: مواجهة التحدي الفكري، فإن محور الحركة الإسلامية في إيران كان يدور حول فكرة الجهاد، بما يشمل هذا المعنى من تربية للفرد، ومواجهة للتحدي الفكري.

من هذا المنطلق تقدمت الحركة الإسلامية في إيران في صياغة نظريتها الثورية، والتي جاءت منبثقة من الإسلام كأصالة وتراث وتاريخ، كما جاءت ثمرة سنوات طويلة من التطور السياسي والروحي والفكري...

لا يتسع المجال للحديث عن كل جوانب وانعكاسات الثورة الإيرانية؛ وسنكتفي بإلقاء الضوء على بعض الجوانب الحركية والفكرية:

١ - حققت الحركة الإسلامية في إيران ما فشل فيه الكثيرون من الإسلاميين، وهو: إيجاد حركة سياسية فعالة، قادرة على إسقاط النظام السياسي المقابل؛ ومهما كان شرساً وقوياً.

٢ - أسقطت من أذهان الجميع - خاصة مسلمي ومستضعفي العالم - ذلك الرعب من الدول والقوى الكبرى.

٣ - كما جاء الانتصار ليسقط الكثير من التبريرات والمفاهيم حول كيفية صياغة نظرية ثورية للحركة الإسلامية، ويبرز مفاهيم جديدة مضيئة، وبذلك قدمت للحركات الإسلامية في العالم رصيلاً ضخماً من التجربة والإبداع الحركي.

٤ - أسقطت مقولة: "استحالة قيام حكومة إسلامية في هذا العصر"، وأثبتت - عملياً - أنه لا يمكن قيام حكومة حقيقية وجمهورية في منطقة الوطن الإسلامي؛ إلا إذا كانت حكومة إسلامية شكلاً ومضموناً.

كما أسقطت الكثير من المقولات الفكرية التي كانت تطفو على السطح؛ بدءاً بمقولات الماركسيين: "إن الدين أفيون الشعوب، ورجعية رجال الدين"، وبقية المسلمات والبدديات الماركسية!!! وانتهاءً بمقولة بريجنسكي عن انتهاء زمن الثورات الشعبية.

٥- طرح مفهوم وحدة المسلمين [الجامعة الإسلامية]؛ من خلال مفاهيم سياسية واضحة، بعد عقود طويلة من التغريب وانزواء هذه الفكرة إلى الظل.

السنة والشيعية... ضجة مفتعلة... ونحن بداية نطرح أمام سكان الوطن الإسلامي السؤال التالي: الذين يهاجمون الثورة الإيرانية هل يفعلون هذا لكونها إسلامية؟ أم يفعلونه لكونهم يسمونها: شيعية؟

إن كانوا من الصنف الأول أي: أعداء الإسلام؛ فقد كفونا عناء الرد عليهم في مثل هذا المقال...

أما إن كانوا من الصنف الثاني؛ فإننا -والله!- لا نجد لهم يوماً في التاريخ الإسلامي نستطيع أن نجالسهم فيه... لأنهم سيبقون دوماً خارج هذا التاريخ؛ سواء بالمفهوم الزماني، أي: إذا كان زمانهم ما قبل بعثة محمد -عليه أفضل الصلاة والسلام-، أم بالمفهوم السياسي والثقافي، ونقصد: إسلامهم -غير واعين- بعملية غسيل المخ التي يشرف عليها الغرب.

وهنا نطرح سؤالاً آخر... ألا يدري هؤلاء أن شقة الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة هي أشد من تلك التي بين السنة والشيعية؟ ومع ذلك لم نسمع عن فقيه إسلامي أفتى بعصيان أمير المؤمنين إن كان معتزلاً [المأمون -مثلاً- كان معتزلاً]، وكان الأصل هو: السمع والطاعة لمثل هذا الأمير؛ حتى لو كبل أحمد بن حنبل رحمته الله بالقيود، وجلده بالسياط، وألقاه في غياهب السجن.

ولقد ناقشت "المختار الإسلامي"، عدد (١٠) جوهر الخلاف الفقهي بين جناحي الأمة السنة والشيعية، ونود هنا أن نطرح الموضوع من زاوية أخرى...

وعندما وصل إلى باريس وسئل عن أصول الثورة؛ قدّم الإمام رؤيته الثورية الفذة: "إن السبب الذي قاد إلى انقسام المسلمين إلى سنة وشيعية يوماً ما لم يعد قائماً اليوم... كلنا مسلمون... هذه الثورة إسلامية... نحن جميعاً إخوة في الإسلام".

وعندما توجه الحجاج الشيعية إلى مكة أمرهم أن يفعلوا كما يفعل علماء السنة، قائلاً: "افعلوا كما يفعلون؛ حتى لو اعتقدتم أنه خطأ... يجب أن تتبعوهم..."

وفي التلفزيون الإيراني كانت تعقد الندوات لشرح أفكار الإمامين الشهيدين حسن البنا وسيد قطب، والحديث عن دورهما الرائد في الحركة الإسلامية... وقرأت إذاعة طهران على مستمعيها النص الكامل لكتاب سيد قطب الهام "معالم في الطريق" على حلقات...

أما قضية عنصرية الفرس أو الإيرانيين؛ فليست أكثر من مهزلة إعلامية، ومزحة سخيفة ساقطة! فالذين حوّلوا الإمبراطورية الشاهنشاهية إلى جمهورية إسلامية، وتخلصوا من كل الرموز الفارسية والساسانية، وأحلّوا محلها آيات القرآن والأحاديث الشريفة، الذين يهاجمون الأحزاب القومية والعلمانية، والذين صرخوا في وجه الإنجليز: "أيها الكلاب اخرجوا من بلادنا!"، في حين كان والد صدام حسين يعمل خادماً في السفارة البريطانية في بغداد... هؤلاء ليسوا عنصريين... هؤلاء ليسوا أحفاد رستم يا عدو سعد ودين سعد...

ولو أردنا أن نتقل بالحوار إلى مستوى آخر لقلنا لك: إن الإمام الخميني وأبو الحسن بنى صدر ليسا فقط من أصل عربي؛ ولكنهما -أيضاً- يتبعان إلى بيت النبوة العظيم. كلمة أخيرة: أيها المسلمون!... في يوم ما وقف حفيد الرسول الأعظم... الحسين بن علي ليطلق صيحته التي ذهبت في الزمان حجة خالدة [ألا هل من ناصر ينصرنا؟!... ألا هل من ناصر ينصرنا?!].

لييك يا سيد شباب أهل الجنة! لبيك يا ابن بنت رسول الله! والله لا يخذلك إلا جاهل... إلا حاقد... إلا عدو لجدك ودين جدك -عليه أفضل الصلاة والسلام-.

٤ - العدد (٢٧)، السنة الثالثة، (١٥ شعبان ١٤٠١ هـ - ١٧ أغسطس ١٩٨١ م)، عن تأثير ثورة الخميني على حركته وأفرادها: "لقد أدرك مسلمو فلسطين (الوطن-الجراح) خاصة بعد الانتصار الإيراني: أن الخلاص لن يأتي إلا من خلال فوهات البنادق التي تحملها الأيدي المتوضئة، ولهذا لم يكن غريباً تصريح المسؤول اليهودي الذي قال: "إن الدعوة إلى أصول الدين التي ألهمتها حركة آية الله الخميني في إيران أدت إلى تشكيل حركة سرية مسلحة"، وتصريح مسؤول آخر: "إن شبح الخمينية على عتبة دارنا.. إنه شبح مقلق!".

كما لم يكن غريباً استقلالية هذه المجموعة المجاهدة عن تأثير حركات سابقة، فهي تأتي من تخوم بيت المقدس، تبعد مسيرتها، وتكبر فوق هذا المحور المقدس (القدس-طهران)؛ الذي سيميز الطيب من الخبيث، ويرسم ملامح الصعود الإسلامي العظيم.

وأخيراً؛ هل يكون غريباً أن يكتب أحد أعضاء (أسرة الجهاد) فوق جدران زنارته مخاطباً الإمام الخميني: آية الله!.. لقد كانوا يسحقون عظامي هذه الليلة.. جسدي متعب.. متعب يا والدي فمتى تأتي؟!".

٥- كتب الشقاقي مقالا طويلاً في الدفاع عن إيران، ومهاجمة أهل السنة في إيران؛ وفقاً لرواية إيران، ويمكن العودة لكتاب «أحوال أهل السنة في إيران»، لعبد الله الغريب لمعرفة حقيقة القضية التي روح لأكاذيبها الشقاقي بجهله وانخداعه بالإيرانيين! مقاله هذا جاء في مجلة "الطليعة الإسلامية" - مجلة تابعة لحركة الجهاد-، العدد (٢)، (شباط/١٩٨٣):

"ولأن خطر المد الإسلامي أكبر من أن يتحملة الغرب؛ فقد بدأت في الشهور الأخيرة أساليب جديدة لاستخدام ورقة الفرقة والتجزئة تظهر إلى السطح.

ففي إيران عدة ملايين من السنة، وللسنة علماء وهم من الواعين الملتزمين بخط الثورة الإسلامية والحريصين عليه، كما أن هناك البعض من مدعي العلم والمتسلقين على بساطة بعض جماهير المسلمين وأصحاب المصالح، تماماً كما أن في الشيعة أمثال: شريعة مداري و(انجمن حجتيه)؛ التي تمثل التاريخ المتخلف، ذا الأفق الضيق والمحدود، والتي أصبحت الآن تقف على هامش الساحة بعد ازدياد الوعي الإسلامي لدى الملايين من الشعب المسلم الثوري.

ونظراً لأن قوى الهجمة المضادة للإسلام لن تهدأ في صراعها ضد الصعود الإسلامي حتى يهيمن دين الله ومنهجه على العالم بأسره؛ فإن هذه القوى استغلت التركيبة المعقدة للشعب الإيراني، وبدأت تحاول إثارة مسألة (الشيعة والسنة) بطريقة جديدة.

في العدد الصادر يوم (١٨ ديسمبر ١٩٨٢) من مجلة "المجلة"، تحقيق بقلم أمير طاهري حول الشيخ عثمان النقشبندي -أحد شيوخ الطرق الصوفية في المنطقة السنية من إيران- يهاجم النقشبندي الإمام الخميني، ويعلن أنه خرج من إيران ليبدأ في قيادة أتباعه ضد نظام الخميني من الخارج.

كما أن هناك محاولة أخرى لإقامة ضجة حول مسألة فرض الإقامة الجبرية على الشيخ أحمد مفتي زاده، ولأن قضية الشيخ مفتي زاده هي الأكثر أهمية فسنؤجل الحديث حولها إلى ما بعد مناقشة مسألة النقشبندي.

من المعروف أن الطرق الصوفية قد ازدهرت ازدهارًا كبيرًا في نهاية العصر العثماني الإسلامي، وكان لذلك أسباب ونتائج ليس هذا موضع الحديث عنها، والحق أن للصوفية تاريخًا طويلًا من الجهاد والدعوة في الوطن الإسلامي الحديث... ولكن ما حدث في الفترة الأخيرة أن بعض مشايخ الطرق الصوفية - وفي ظل الجهل والتخلف - قد أغرتهم مكتسبات المشيخة، فأصبحوا يتصرفون في وطننا وبين أمتنا وكأنهم سادة إقطاعيون، يسلبون حقوق الجماهير المستضعفة في وطننا وبين أمتنا، وكأنهم سادة إقطاعيون يسلبون حقوق الجماهير المستضعفة، ويعيشون مرفهين مترفين على عرقها وكدها، وذلك تحت شبهات من التدين والولاء للإسلام.

والشيخ عثمان النقشبندي: أحد مشايخ الطريقة الصوفية النقشبندية، المنتشرة في أجزاء من تركيا وإيران والعراق، وهو يتصرف في مناطق أتباعه تصرف السيد المطاع في أراضي الناس وأموالهم ومصائرهم، ويعتبر أن لا سلطة هناك فوق سلطته.. والأسوأ من ذلك: أن أبناءه الذين أغرتهم هوية السلطة والتسلط لا يتورعون عن القيام بأي شيء في تلك المناطق يؤكد هيمنتهم على البشر.

في عصر الشاه لم يكن للنظام أي اهتمام بما يفعله الرجل؛ فمنهجه واضح: أن لا تدخل في الشؤون السياسية ما دامت هيمنته على أتباعه مستمرة ومتواصلة، ونظام الشاه لم يكن ليهتم كثيرًا بما يفعله النقشبندي وأمثاله، فالمنطقة بعيدة عن العاصمة، وليست ذات جدوى اقتصادية كبيرة، وكل ما كان بعيدًا عن عاصمته وأفرانها وعن مصايغة وفسقها؛ لم يكن ذا أهمية، وهكذا تعايش الشاه بسلطته مع الصوفية وطرقها، بعد الثورة الإسلامية وتصاعد التوجه نحو المناطق السننية أم في المناطق الشيعية.

وأمام تعسف الإقطاع القبلي ولا إنسانيته لم تقف الحكومة الإسلامية صامته أبدًا، وواجهت الجرائم بحزم، وبما يفرضه العدل والواجب الإسلامي.

وفي العديد من المناطق الشيعية والسننية تحطمت أوكار الإقطاع، وتقدم الإسلام نحو المستضعفين؛ لتحريرهم وإنقاذهم من القهر الاجتماعي والفكري...

والحقيقة أن الموضوع لم يثر الكثير من الضجة في الإعلام العالمي؛ الذي تعود على مهاجمة الإسلام في إيران... إلا أن مسألة النقشبندي اعتبرت فرصة سانحة لفتح باب من الحرب المضادة على الجمهورية الإسلامية، فالرجل صوفي سني ومسألة (شيعة-سنة) هي الإطار المناسب لأهداف

القوى الاستعمارية الآن، ولذا فقد أسرع أمير طاهري، الصحفي السابق في (إطلاعات) الإيرانية في زمن الشاه، والذي يعمل الآن في "المجلة" و"الصندي تايمز"، والذي كان معروفاً تماماً بعلاقته الوثيقة بدوائر السافاك؛ التي كانت تسلمه المقالات الجاهزة لنشرها في الصحيفة؛ أسرع طاهري إلى مقابلة النقشبندي، وأسرت "المجلة" إلى أفراد صفحتين للمقابلة.

والحق يقال: إن المنشور في المقابلة قد كفانا مؤونة النظر والتحليل، فالرجل يقول: "إنهم أنشأوا محطة إذاعة "ماريفان" في الآونة الأخيرة، وهي لا تستخدم إلا للمهاجمة أسرتي"، وهو بالطبع لم يذكر لماذا؟ لم يذكر للقراء جرائم أبنائه وتعديهم على حقوق الناس.

ويقول -أيضاً-: "لقد ظللت دائماً على رأيي؛ في أن رجال الدين يجب ألا يتدخلوا في السياسة اليومية، واليوم وقد أصبح الخميني رجلاً سياسياً يعمل بشكل سافر؛ فإنه ليس هنالك من سبب يدعوني إلى تغيير مبادئتي..."

ولا نجد هنا من داعٍ للتعليق على ما يدعيه الرجل من فهم الإسلام يخالف أصول الإسلام الأساسية، ولكننا نسأل: إن لم تكن السياسة هي السبب؛ فما الذي يدعوه -إذن- لمعارضة الثورة، والخروج من إيران لإعلان الحرب ضدها؟ فالشيخ عثمان زاهد في السياسة، ولكنه -بدون شك- غير زاهد في الأراضي والأموال والتسلط الاجتماعي الذي كان يمارسه، وهذا هو بالتحديد ما دعاه إلى الخروج.

الغريب أن ما قصده طاهري من المقابلة كان: إثارة مسألة الشيعة والسنة، ولكن النقشبندي في حديثه لم يجد ما يتهم به الإمام إلا إنه رجل سياسة، وإنه رجل دين شيعي غير معتمد في شيعته... ونحتار نحن القراء بين المؤامرات وأجزاء المؤامرات!!

قضية النقشبندي واضحة، لا تحتاج إلى مزيد من الاهتمام، ولكن القضية الأهم هي: مسألة الشيخ الكردي السني أحمد مفتي زاده؛ الذي وضع منذ شهور تحت الإقامة الجبرية، فيما سجن بعض أتباعه، ولم يتقرر بعد هل سيقدمون لمحاكمة أم سيفرج عنهم بعد حين؟

الخبر نشرته الشقيقة الكبرى "مجلة الدعوة"، الصادرة من فيينا، في عددها الأخير، تحت عنوان مثير على صفحتين، ذاكرة أن الشيخ أحمد مفتي زاده كان دائماً من المؤيدين للثورة، وقد قاتل وأتباعه ضد المنحرفين الانقساميين في المنطقة الكردية في الشهور الأولى للثورة، وقد كان له بعض المطالب التي سعى إلى تجميع علماء السنة في إيران قبل عدة شهور، ضمن مجلس شوري في طهران؛ لبيحثوها

ويعلنونها للحكومة، وأن الاجتماع دعي إليه مندوب من وزارة الداخلية، ولكن الحكومة لم تراخ تاريخ الرجل، وسارعت إلى القبض عليه وإيداعه السجن منذ عدة شهور وحتى الآن.

هذا باختصار ما نشرته الشقيقة الدعوة، والحق يقال إننا في "الطليعة الإسلامية" قد قرنا أن نرفع صوتنا في هذا العدد ضد تصرف الحكومة الإيرانية، فالرجل ليس قاسملاً ولا عز الدين الحسيني، والجميع يعرف أنه وقف مع الثورة الإسلامية منذ الأيام الأولى... ولكننا خلال الأسابيع الماضية قمنا بتحري الأمر والتدقيق فيه من عدة مصادر ووجهات نظر؛ فوجدنا أن الأمر مختلف إلى حد ليس بسيط عما نشرته "الدعوة"، ونحن ندرك بثقة أن الصورة الكاملة الصحيحة لو كانت قد توافرت للإخوة في "الدعوة" لما كان موضوع الشيخ مفتي زاده قد أخذ الصورة التي نشر بها.

الشيخ أحمد مفتي زاده هو: ابن الشيخ مفتي زاده... وقد كان الوالد عالماً جليلاً وكبيراً من علماء السنة المسلمين في المنطقة الكردية من إيران، وبعد وفاة الوالد تسلم الابن مكانه؛ وخاصة في إدارة المعهد الديني في سانداج، وقد انتقل ولأه أتباع الوالد إلى الابن في منطقة تتسم بعلاقات الولاء القبلي، ومليئة بالمشاكل والعقد التاريخية.

ويقول الكثيرون: إن الشيخ أحمد رجل فاضل، ولكنه أبداً لم يكن في مثل حكمة وعلم والده، ولكنه وقف منذ بداية الثورة الإسلامية في إيران مع خط الإمام الخميني... ولأنه يعرف جيداً أن عز الدين الحسيني لم يكن إلا لعبة في يد الشاه؛ فقد رفض موقفه المعارض للثورة. كما أن مسؤوليته الإسلامية قد منعه من تأييد قاسملاً وجماعته؛ الذين تربطهم روابط عديدة بالدوائر الاستعمارية العالمية، والذين يحملون تصوراً غريباً لا علاقة له بالإسلام. وفي السنة الأولى للثورة وحين احتدم الصراع بين أعداء الإسلام والحكومة الإسلامية في المنطقة الكردية؛ وقف الشيخ أحمد مع الحكومة الإسلامية، وقاتل أتباعه مع الحرس الثوري ضد أعداء الثورة.

في ذلك الوقت - أو قبله بقليل - أرسل الشيخ أحمد مبعوثاً إلى العالم والمفكر المسلم الكبير أبي الأعلى المودودي، يسأله الرأي؛ فأجابه المودودي قائلاً: "يا شيخ أحمد! هذا وقت الواجبات؛ فأدوا واجبكم تجاه ثورة الإسلام، وبعد أن يستقر حكم الإسلام طالبوا بالحقوق"... ولكن الشيخ أحمد لم يلتزم طويلاً بنصيحة المودودي، وسرعان ما أعلن قائمة بالمطالب للحكومة معطياً إياها مهلة (١٥) يوماً للإجابة...

وكان من هذه المطالب: إنشاء جامعة في سانداج تحت إشرافه، وعدة مشاريع ثقافية وعمرانية تحتاج إلى سنوات للإعداد لها؛ فما بالك بإنشائها؟!

وكان المرحوم آية الله بهشتي على علاقة دائمة بالشيخ أحمد، وقال يومها: "الشيخ أحمد جيد، لكنه عجول"، المهتم تمت تهدئة الوضع بعد إنذار الـ (١٥) يوماً، ودارت أحداث متعددة في كردستان طلب على إثرها الشيخ مفتي زاده من الحكومة أن توفر له مكاناً خارج سانداج، لأنه لم يعد باستطاعته مواجهة الضغط الذي تمثله الجماعات المنحرفة؛ والتي كانت تدفع إلى البسطاء كميات هائلة من الأموال التي حصلت عليها من العراق وغير العراق؛ لتحريضها على العصيان، ولم ترغب الحكومة الإسلامية في أن تكون علاقتها بالشعب علاقة الرشوة؛ فرفضت أن تستخدم الوسيلة ذاتها.

وبناءً على طلب الشيخ أحمد وفرت الحكومة له منزلاً في كرمناشاه، بعيداً عن منطقة الصراع، وصرفت رواتب لأتباعه المتفرغين، وكان له كامل الحرية في الاتصال بجماعته بكردستان، أو أن يحضر وإليه في أي وقت، واستمر الأمر على هذا الوضع، في حين واصلت الحكومة المركزية محاولاتها لتعزيز الأمن والاستقرار في كردستان، ومطاردة العملاء والخارجين فيما كانت قوافل "جهاد البناء" مستمرة في الوصول إلى القرى بغير سلاح؛ إلا الجرات وأدوات البناء لمساعدة المنطقة المحرومة على النهوض.

وكل يوم يسقط من شباب "جهاد البناء" العديد من شهداء معركة النهضة الحضارية الإسلامية في كردستان.

ولكن الأمور لم تستمر على ما هي عليه مع الشيخ مفتي زاده... ففجأة عاود الشيخ أحمد همماته وحديثه عن مطالب جديدة، وبدأ أن هناك اتصالات في الخفاء للترتيب لشيء ما! وإذا بالشيخ يعلن أنه دعا بعض العلماء السنة من سانداج وبلوشستان وتركمانستان (من عشرين إلى ثلاثين) إضافة إلى حوالي ما بين (٢٠٠-٣٠٠) من أتباعه إلى اجتماع في منزله بكرمانشاه - وليس في طهران؛ كما نشر من قبل -.

والحقيقة أن الشيخ مفتي زاده لم يأخذ تصريحاً من الحكومة لعقد الاجتماع، بل إن قائد الحرس ومحافظ كرمناشاه نصحاه بألا يفعل مثل ذلك، ولكنه رفض طلبها وأصر على عمله.

وفي الاجتماع تلا بياناً شديد اللهجة، مطالباً بمجلس شورى جديد في البلاد، يتقاسمه الشيعة والسنة بالتساوي، وتعديلات في الدستور، وتغيير الأذان في كل أنحاء البلاد؛ برفع (أشهد أن علياً ولي الله) من الأذان، ومهدداً في بيانه باستخدام السلاح ضد الحكومة إن لم تنفذ المطالب فوراً. بعدها اضطر المحافظ والحرس إلى التدخل لفض الاجتماع، وقد اعتقل الموجودون، وأفرج عن معظمهم بعدها بقليل حين اتضح أنه لم يكن لهم أي دور في المسألة، واعترف بعض أعوان الشيخ أحمد بتلقيهم أموالاً من دولة عربية، وأن المسألة كانت أكبر حتى مما تصوره الشيخ أحمد... والمؤكد أن أحداً لم يسئ إليه بأي شكل من الأشكال، والمسألة أنهيت بهدوء، والموضوع بأكمله الآن أمام رأيين:

الأول: أن يفرج عن الجميع؛ بعد أن أصبح واضحاً لهم ولغيرهم كم كان عملهم بعيداً عن روح الإسلام.

والثاني: أن يقدموا للمحاكمة وأمام قاضي سني؛ كما ينص الدستور بتطبيق فقه المذاهب الإسلامية أيّاً كانت حيث تتواجد أكثرية من أتباع المذهب.

هذا هو شريط الأحداث الذي جرى في مسألة الشيخ مفتي زاده، أما خلفية الأحداث فهذا ما سنبحثه الآن:

منذ حوالي سنة أو يزيد بدأت حملة متوازية من نشر الكتب المسطرة من موقف شيعي وسني؛ على ما يبدو عليها، يطعن فيها الشيعة بالسنة، ويطعن السنة بالشيعة، وقد طبعت كتب مشبوهة وسيئة السمعة في مصر والخليج وباكستان والأرض المحتلة وإيران نفسها، وبدا واضحاً أن الأمر ليس صدفة؛ فقد بيعت الكتب بأسعار لا يمكن أن توازي قيمتها بل وأحياناً وزعت مجاناً؛ كما حدث في موسمي الحج الأخيرين، وكان لا بد أن يتساءل المخلصون: لمصلحة من هذا؟

وقد تزامنت مشكلة الشيخ مفتي زاده مع هذه الأحداث، ومطالبه التي أعلنها يعرف هو شخصياً قبل أي شخص آخر أنها غير منطقية وغير معقولة؛ فمسألة الأذان يعرف الجميع أن هذا الجزء منه ليس واجباً لدى علماء الشيعة، ولا يعتبر إلا جزءاً من الأذان، تعود الناس عليه لمئات السنين، بما يجعل مسسه بشكل مبكر وسريع أمراً غير معقول وغير منطقي، وقد يثير الكثير من عواطف الناس.

فإن كانت المسألة مسألة التقريب؛ فالملاحظ أن هناك العديد من الخطوات التي أعلنها الإمام الخميني من أجل وحدة الأمة؛ من إقامة صلاة الجمعة، إلى التغيير الجوهرى الذي طال مجالس العزاء، وأوقف بشكل نهائي مسائل التفرقة التي كان يشجع عليها حكام الجور، ودعوته المتواصلة إلى تكافل الأمة، وبث روح الوحدة بين جماهير المسلمين الشيعة في إيران؛ حتى أصبحت الصلاة خلف إمام شيعي أو سني مسألة عادية بين المسلمين في إيران وخارجها، وأيضاً إعطاء العديد من المناسبات الدينية الشيعية مدلولات وحدوية إسلامية مثل: (أسبوع الوحدة)، و(يوم المستضعفين)... الخ.

كما أن مسألة التقريب ليست بالمسألة الهينة التي يمكن أن تؤخذ فيها خطوات مفاجئة، وتحل بيانات التهديد من هذا الطرف أو ذاك، فما زرعة التخلف والاستعمار على مدى قرون طويلة يحتاج منا صبراً وأناةً وبحثاً؛ حتى يمكن حله.

أما مطلب حل مجلس الشورى وتقسيمه بالتساوي بين الشيعة والسنة في إيران؛ فهو أصلاً مطلب غير منطقي وغير واقعي، وهو كذلك لا ينم إلا عن روح طائفية أو عن طقس مؤامرة. وقضية تعديل الدستور؛ قضية ليست بالجديدة، وهي مهمة مجلس الخبراء الذي لم يتم انتخابه إلا قبل شهر واحد فقط، والجميع يأملون في أن يسعى المجلس في أقرب فرصة إلى حل هذه المشكلة؛ التي أعلن منذ مدة طويلة أن الإمام الخميني أوصى بحلها. ولكن كل ما مضى لا يفي لتوضيح الصورة تماماً، ولنتمكن من ذلك فلنبحث عن الوجه الآخر للمشكلة: هل كان الشيخ مفتي زاده هو وحده طرف الأحداث الأخيرة؟ أم أن هناك هجمات أخرى؟

لقد اعترف بعض أتباع الشيخ بأنهم تلقوا أموالاً من الخارج، وأن ما تم كان حسب تخطيط مسبق من بعض الجهات التي كانت تدعي الإسلام، ويهمها أن ترى مشاكل المسلمين تتفاقم، ومحاولات وحدتهم تسقط، والمفاجأة في الموضوع: أن شبكة من المعتمدين الشيعة يقدر عددهم بحوالي (٢٠-١٥) فرداً أُلقي القبض عليهم -أيضاً- بنفس التهمة؛ تهمة: تلقي أموال من الخارج، ونشر الدعايات والكتب السيئة التي تدعو للتفرقة بين المسلمين الشيعة والسنة، ولكن أحداً لم يُشير إلى هذه المسألة؛ لأن إثارتها خارج إيران قصد بها: عزل الثورة الإسلامية عن جماهير الملايين من المسلمين السنة في المنطقة العربية بالذات.

وحتى يزداد الأمر وضوحًا؛ فالذين تم اعتقالهم من الشيعة ينتمي بعضهم إلى اتجاه (نجمن حجتيه) المتخلف، ذي الأفق المحدود! والذي وجهت له الثورة الإسلامية ضربات موجعة بنشر الفكر الثوري الإسلامي، وبطرح ولاية الفقيه، فأعادته إلى حجمه الطبيعي كقوة هامشية في المجتمع الإسلامي داخل إيران.

وقد وزع هؤلاء البيانات والكتب التي تتهم الحكومة القائمة في إيران بالابتعاد عن مذهب آل البيت (!)، وأنها دولة غير شرعية (!)، وتحارب المذهب الشيعي (!)، بل والأكثر من ذلك اعتبارهم آية الله العظمى المنتظري سنياً وليس شيعياً (!)، كما أشاعوا أفكاراً للتفريق بين السنة والشيعة... وسنذكر هنا اسماً واحداً من هؤلاء؛ لعله يكفي لتوضيح حجم المؤامرة، وهو: محمد رضا مامقاني، المعتقل الآن مع الآخرين؛ الذين سيقدّمون جميعاً لمحكمة الإسلام، حسب أوامر الإمام المعلنة؛ بأن لا فرق بين أحد أمام القانون الإسلامي.

نرجو أن نكون بذلك قد أوضحنا جانباً من صورة المسلمين في كل مكان، فالمؤامرة تتحرك بهدوء، وهي مستمرة ما دام الحق في تصاعده والإسلام في نهضته؛ ذلك أن كل القوى من أعداء دين الله ومنهجه، كل القوى التي يرعبها أن يتحرك المستضعفون من المسلمين ويستلموا زمام أمرهم، ويدحروا إلى الأبد قوى التسلط الغربية وأدواتها.. هؤلاء جميعاً مستمرون في محاولتهم لتسيط الصعود الإسلامي، وإيقاف قيام الجماهير المسلمة.

إن أهدافهم واضحة؛ فقد كانت: تجزئة الوطن الإسلامي إلى عشرات الوحدات الصغيرة، وتجزئة الأمة إلى مذاهب وفرق وطوائف متناحرة، كانت هذه التجزئة إحدى أهم أدواتهم في السيطرة الاستعمارية، والهيمنة والنهب على مر القرون، واليوم بؤادر وحدة الأمة - أرضاً وشعباً - تلوح في الأفق لن يكون أمامهم إلا المواصلة من جديد؛ لإبقاء التجزئة والتناحر والشقاق.

فلتع جماهير الأمة حجم المؤامرة، وليع أبناء الحركة الإسلامية أدوارهم، ولتقف جميعاً في مواجهة الغرب ومؤامراته، فهذا لن يكون إلا عصر الجماهير المسلمة... عصر انتصارها... عصر صعودها... وعصر هيمنة منهج دينها الحق.

٦ - في عام (١٩٨٥) ألف الشقاقي كتابه «السنة والشيعة.. ضجة مفتعلة ومؤسفة»، حشد فيه المواقف المؤيدة والداعمة للثورة الإيرانية والعقيدة الشيعية من بعض أهل السنة غير المطلعين على حقيقة الثورة والفكر الشيعي.

٧- وفي مقابلة مع صحيفة "اللواء" اللبنانية بتاريخ (٣/١٠/١٩٩٠)، أجاب الشقاقي بما يلي:

● ما هي علاقتكم بكل من إيران وسوريا وحزب الله؟

■ لقد قدمت الثورة الإيرانية نموذجاً للإسلام المقاوم والثوري، أكد قدرة الإسلام على الفعل السياسي المؤثر، وقيادة الجماهير، كما أعطى الإمام الخميني حياة الإيرانيين وبقية المسلمين معنى جديداً في عالم تسيطر عليه قيم المادة والإفساد.

وكان لهذا أثره علينا؛ كما على أغلب المسلمين في العالم، ولكن حركتنا التي تنظر إلى الثورة الإسلامية كحليف وصديق للمسلمين في مواجهة الشرك والكفر والاستكبار؛ هي حركة مستقلة تماماً، تقيم الموقف الإيراني ضمن:

١- الموقف والالتزام الإيراني بالإسلام كنظام حياة وممارسة، والموقف من الوحدة الإسلامية في إطار يتجاوز البعد القومي والمذهبي الطائفي.

٢- الموقف من القضية الفلسطينية.

الموقف الإيراني من هاتين المسألتين هو الذي يحدد موقفنا وعلاقتنا بإيران، أما حزب الله فقد تركت نشاطاته العسكرية ضد العدو الصهيوني انطباعاً إيجابياً داخل فلسطين المحتلة، بل كانت عمليات حزب الله الاستشهادية حلم كل شاب فلسطيني، ونحن نعتز بصداقة حزب الله وجهاده، كما نعتز بصداقة أي حركة إسلامية مجاهدة.

أما النظام العربي فلا علاقة رسمية تربطنا بأي طرف من أطرافه.

● هل صحيح أنكم اهتمتم بالتشيع؟

■ كانت هذه ضجة ومحاولة مؤسفة لصرف الشعب عن جهادنا وإنكارنا حول خصوصية ومركزية فلسطين وضرورة الجهاد الآن، لقد كانت مؤامرة! فموقفنا من التشيع لم يتجاوز موقف ورأي أئمة وعلماء وقادة المسلمين من أهل السنة قيد أنملة.

٨- وفي مقابلة مع جريدة "العهد"، بيروت، (فبراير ١٩٩٢)، بمناسبة يوم القدس والجهاد:

● في الوقت الذي تلهب فيه القدس المحتلة بالشهداء والجرحى، كيف تفسرون نداء الإمام

الخميني الراحل وإعلانه آخر جمعة من شهر رمضان يوماً للقدس العالمي؟

■ علاقة الإمام الخميني بالقدس وفلسطين ليست حديثة؛ فقد كانت قضية فلسطين وبيت المقدس مواكبة لمراحل جهاد ونهضة الإمام بعد مطلع الستينات...

● كيف يمكن أن نلبي هذا النداء؟

■ كلُّ يلبي النداء من موقعه، المجاهدون في فلسطين يشددون من ضرباتهم ضد العدو الصهيوني بالطلقة والحجر، بالتظاهرات والإضراب...

● كونكم الأقرب إلى واقع الانتفاضة، كيف تجدون تفاعل الانتفاضة مع نداء الإمام الخميني

الراجل؟

■ الحقيقة أنه منذ أن أطلق الإمام الجمعة الأخيرة من رمضان يوماً للقدس والوطن المحتل في هذا اليوم يعيش يوماً مشهوداً من المواجهة والصدام والتظاهر، وعندما حاول البعض وقف الانتفاضة لأربع وعشرين ساعة في يوم القدس من العام الماضي؛ خرجت الجماهير وحولت ذلك اليوم إلى نقمة على المحتل.

وكان يوم القدس في العام الماضي من أعظم أيام الانتفاضة، كما أشير أن مدينة القدس تتميز في هذا اليوم بسبب وجود المسجد الأقصى وحضور الآلاف، والآلاف من كل أنحاء فلسطين، كي تعقد الحلقات والاحتفالات ويتظاهر المسلمون.

● ما رأيكم بالحصار المفروض على المقاومة الإسلامية في جبل عامل؟

■ المقاومة الإسلامية في لبنان موضع فخر وعزة لجميع المسلمين في العالم، وحصارها لا يمكن أن يكون في مصلحة المسلمين أو العرب أو لبنان، وعلى كل لبناني ومسلم غيور أن يكون جندياً في هذا الصف المجاهد ضد عدو الأمة المركزي.

إننا نتمنى أن ينتهي هذا الحصار، وأن تتوحد جميع الجهود والطاقات ضد "إسرائيل"؛ التي تريد شرّاً بلبنان.

٩- في محاضرة للشقاقي بعنوان: "الثورة الإسلامية في إيران والثورة الفلسطينية؛ جدل مقدس"، ألقى يوم (٢٢/٢/١٩٩٣) بدمشق، قال الشقاقي: "الثورة الإسلامية في إيران أحد أبرز معالم وأحداث القرن العشرين... الثورة الإسلامية في إيران غيرت وجه المنطقة، وأثرت عميقاً في العالم وتركيبته ومستقبله، وأطلقت الصحوّة الإسلامية التي لا زالت حديث الدنيا... لقد أعاد انتصار الثورة الإسلامية للمسلم - في كل مكان من العالم - ثقته بعقيدته ودينه..."

لقد جعل الإمام الخميني رحمته الله حياة المسلمين معنى، وأعطاهم الأمل بأن التغيير ليس ممكناً وحسب بل وحتمي أيضاً، وهكذا انطلق مشروع الثورة الإسلامية على صدى نداءات وشعارات الإمام؛ ليغطي مساحات واسعة من العالم؛ وخاصة الوطن الإسلامي.

ولأسباب يمكن فهمها كان صدى الثورة الإسلامية في فلسطين من أوضح وأقوى الأصداء... وهكذا سنرى انعكاس الثورة الإسلامية على الواقع الفلسطيني يشمل مستويين مختلفين:

الأول: هو واقع الثورة الفلسطينية في الخارج، وتوجهات قيادتها وارتباطاتها وعلاقتها المحلية والإقليمية والدولية...

أما المستوى الثاني: فهو الداخل الفلسطيني الشعبي شاملاً الأرض المحتلة منذ العام (١٩٤٨).

... فالصحوة الإسلامية التي أطلقتها الثورة الإسلامية كانت تنبت في فلسطين ثورة جديدة تتنامى شيئاً فشيئاً، تطوي القلب على الإسلام، وتنطلق من المساجد والحارات الشعبية، وعلى مدى الثمانينات كان صعود حركة الجهاد الإسلامي والجهاد المسلح في فلسطين... كل هذه الأسباب اجتمعت وتوقفت أمام عنصر التفجير الأساسي؛ الذي سيطلق الشرارة ويحافظ على ديمومتها لأكثر من خمس سنوات: الإسلام المجاهد إلى تلك الروح التي أطلقتها الثورة الإسلامية؛ لتنتب في فلسطين بعد هذه السنوات.

واليوم لازال خط الثورة الإسلامية في إيران حياً متيقظاً؛ رغم كل هذا الحصار، ورغم كل المؤامرات، ولا زالت الانتفاضة المباركة حية قوية مستمرة، والعالم أجمع يشهد على جدل العلاقة القائمة بين طهران والقدس، والمستكبرون يحاولون فصم عرى هذه العلاقة، ومعهم أدواتهم في المنطقة وإعلامهم وأجهزتهم المختلفة.

ونجاح هذه المؤامرة - على أي مستوى من المستويات - سيضرب في الصميم رسالة الثورة الإسلامية ودور الجمهورية الإسلامية، فالقدس هي دُرّة أي مشروع إسلامي ثوري اليوم، ولا رسالة لأي ثورة إسلامية أو حركة إسلامية أو قوة إسلامية بدونها.

... إن التأثير الكبير للثورة الإسلامية في إيران على الصحوة الإسلامية في فلسطين، وانطلاق الانتفاضة المباركة واستمرارها بزخم إسلامي وبشعارات إسلامية؛ يعطينا فرصة تاريخية لا يجب أن نفقدها."

١٠- كلمة الشقاقي في احتفال المستشارية الإيرانية بدمشق، في ذكرى يوم القدس بتاريخ (١٩٩٢/٣/٢٦): "كم كان ملهًا وموفقًا الإمام الخميني -رضوان الله عليه- وهو يجعل من جمعة رمضان الأخيرة يومًا للقدس، بعد شهر من الصيام والقيام والتطهر من أدران الدنيا وأوساخها، وفيما المسلمون في ذروة العبادة عليهم أن يتذكروا القدس، وأن يجعلوها في مركز اهتمامهم".

١١- وفي لقاء مع وكالة الأنباء الإيرانية "إرنا"، (١٩٩٤/٣/١م)، حول تأثيرات الإمام الخميني على المنطقة وفلسطين:

● بنظركم.. ما هو تأثير انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتطلعات ورؤية الإمام الخميني -قده- في القضية الفلسطينية على مسار الأحداث الأخيرة في منطقة الشرق الأوسط؟

■ انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني هو الذي أطلق الصحوحة الإسلامية في المنطقة، وهو الذي أعطى دفعة قوية لصعود الإسلام في فلسطين خاصة...

● إعلان يوم القدس العالمي واحد من الابتكارات المهمة للإمام الخميني -قده- في المجلس السياسي، هل أن تأمين إقامة مراسيم يوم القدس جاءت بالقدر المرجو والمتوقع؟

■ الاستكبار العالمي حارب هذا الإنجاز الخميني العظيم، ويحاول محاصرته عبر الأنظمة التابعة التي ترى في يوم القدس رُعبًا يطاردها؛ ولذا تمنع الشعوب المسلمة من إقامة المراسم المناسبة لهذا اليوم العظيم.

ولكن منذ اليوم الأول لإطلاق الإمام ليوم القدس كانت القدس -والمسجد الأقصى خاصة- من أول المستجيبين لنداء الإمام؛ حيث يتوافد المؤمنون من كل أنحاء فلسطين للاحتفال بهذا اليوم العظيم.. إنه يوم لإحياء الإسلام والرسالة حقًا.

● إلى أي حد استلهمت الانتفاضة أهدافها وأساليبها من ثورة الإمام، وإلى أي مدى تقترب الانتفاضة من مواقف الإمام في القضية الفلسطينية؟

■ باختصار شديد؛ الانتفاضة ثمرة من ثمرات الصحوحة الإسلامية التي أطلقها الإمام الخميني -رضوان الله عليه- في المنطقة عامة وفي فلسطين خاصة؛ ولذا فهي على المستوى الشعبي انتفاضة إسلامية، تتحرك بأفق إسلامي وشعارات إسلامية مثل تلك التي تعلمها شعبنا من ثورة الإمام المبدعة العملاقة، وهي على المستوى الشعبي تتجه نحو الأهداف الإسلامية في دحر

الاحتلال، والتحرير بعيداً عن المراوغة والحلول الوسط، والتفريط بالثوابت، تلك الأساليب التي حاربها الإمام في ثورته، ونحاربها اليوم في انتفاضتنا. باختصار؛ لقد جاء البعد الإسلامي في الانتفاضة تجسيداً لموقف الإمام الإسلامي والثوري من القضية الفلسطينية".

والآن بعد هذه الجولة المطولة في فكر الشقاقي؛ يتبين لنا عمق ارتباطه بالثورة الإيرانية والفكر الشيعي، مما يفسر بوضوح الممارسات على أرض الواقع؛ من تشيع بعض كوادر الحركة بداية، ومن ثم على شكل نشاطات لنشر التشيع في داخل فلسطين، ولكن الهوى الشيعي الإيراني جعل الشقاقي وأعدائه ينسون ذلك، ويدوون في تنفيذ المخطط الإيراني لتصدير التشيع وكسب التنظيمات السننية لتنفيذ المخططات الإيرانية!

بعض ممارسات حركة الجهاد - بوحى من ثورة الخميني - في حياة الشقاقي:

█ تبنت حركة الجهاد في مناهجها الداخلية لتثقيف أفراد الحركة العديد من الكتب الفكرية للثورة الخمينية الشيعية، والتي كانت تدرس لكافة أفراد الحركة، بل حتى للأسرى في سجون الاحتلال.

█ حرصت الحركة على تنفيذ فكرة الخميني بالاحتفال بيوم القدس في آخر جمعة من رمضان. بعد إبعاد الشقاقي من فلسطين تم إعادة تشكيل التنظيم؛ كون القيادة أصبحت في الخارج، وعلى ضوء ذلك تم تعزيز علاقات الحركة بالثورة الإيرانية وحزب الله وحركة التوحيد الموالية لإيران - الشيخ سعيد شعبان في طرابلس، وتجمع العلماء المسلمين في لبنان -.

█ قام أحمد مهنا - أحد كوادر حركة الجهاد - بالانشقاق، وتكوين "حزب الله/ فلسطين" سنة (١٩٩٠)، وقد تعثر هذا التنظيم ولم يستمر.

█ نفذت الحركة العديد من عملياتها تحت أسماء مختلفة، منها: "شهداء كربلاء"!! وذلك قبل عام (١٩٩٣م)؛ حيث أصبحت عمليات الحركة تتم تحت اسم: "قسم"^(١).

(١) «الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية»، فيصل دراج وجمال باروت، (٢/٢٢٦).

◼ رغم كل هذه العلاقة والهوى مع إيران إلا أن الشقافي يصرح لجريدة "آخر خبر"، (١٠/٦/١٩٩٤): "أن الدعم الإيراني للقضية الفلسطينية هو دون موقفها السياسي، وأن المأمول أكثر مما هو متحقق!!"^(١)

العلاقة مع إيران والتشيع بعد الشقافي:

يحسن بنا أن نلخص رؤية الخبير بالشؤون الإيرانية صباح الموسوي حول طبيعة العلاقة بين الشقافي والإيرانيين في ختام حياته، يقول الباحث الموسوي في بحثه (من باع فتحي الشقافي للموساد؟): "... فعلى الرغم من مضي عقد كامل على تلك الجريمة إلا أن هناك العديد من التساؤلات المتعلقة بها بقيت من غير جواب... وهناك من غُيبَ جسدياً أو سياسياً؛ حتى لا يكشف ما عنده من معلومات قد تجيب على تلك التساؤلات التي طرحت عقب مقتل الشقافي. ومن بين هؤلاء المغيبين أشخاص كانوا على صلة قريبة بالشقافي، وبعضهم كانوا مسؤولين كبار في حركة الجهاد الإسلامي، ولكنهم اختفوا أو أفصوا من مواقعهم، ولم يتكلموا إلى اليوم؛ على الرغم من استطاعتهم الإجابة على الكثير من التساؤلات التي طرحت؛ ولكنهم لم يفعلوا... مع بداية الثورة الإيرانية وسطوع نجم الخميني وضع الشقافي كتابه المعروف «الخميني.. الحل الإسلامي والبديل»، الأمر الذي لفت نظر الإيرانيين الذين كانوا يتصيدون الفرص ليستغلوا المؤمنين من أصحاب النوايا الحسنة والعواطف الصادقة؛ ليتخذوا منهم وسيلة لتحقيق أهدافهم التوسعية، فكان الشقافي -بعواطفه النبيلة، وإيانه الصادق، وقضيته العادلة- خير من يمكن استغلاله -حسب رأيهم-، ولهذا وجدوا في امتعاضه من الجمود الحركي لدى الإخوان المسلمين تجاه القضية الفلسطينية، وتأثره بالثورة الخمينية، وحماسه الشديد لتكوين حركة إسلامية مسلحة في فلسطين؛ فرصة لكي يعرضوا عليه المساعدة لدعمه، وهي الفرصة الذهبية التي ما كان للشقافي أن يرفضها...

من عام (١٩٨١) وحتى عام (١٩٨٨) تاريخ إبعاده إلى مرج الزهور في جنوب لبنان؛ كان الشقافي يتابع بدقة السياسة الإيرانية، ويرى الاختلاف ما بين الشعارات التي كانت تعلن إبان

(١) «الأعمال الكاملة» للشقافي، (٢/٩٨٤).

انتصار الثورة؛ والتي تفاعل معها مثله مثل سائر الملايين من العرب والمسلمين، وبين ما آلت إليه تلك الثورة، وكيف انحرفت من مسيرة إسلامية إلى طائفية معادية للعرب. وحين أخذ يتردد على طهران، ويلتقي المسؤولين الإيرانيين، ويحتك بهم عن كثب؛ بدأت تظهر له الصورة الحقيقية، لهذا سعى إلى تكوين علاقات جديدة مع دول عربية تغنيه عن اعتماده الكلي على الدعم الإيراني، فبدأ بإجراء اتصالاته مع ليبيا والسودان؛ فضلاً عن سوريا؛ التي اتخذ منها مقراً رئيسياً له ولقيادة الحركة، وقد لقي الدعم من ليبيا ومن السودان؛ التي فتحت أبواب جامعاتها ومعسكراتها لأنصار حركة الجهاد، وهو ما جعل الشقائي أكثر تحرراً من الضغوط الإيرانية.

وحسب ما نقله لنا أحد قادة الحركة السابقين؛ فإن ما كانت تقدمه ليبيا في عام يساوي ما تعطيه إيران بخمسة أعوام، وكان هذا يغيظ الإيرانيين كثيراً؛ حتى بدأت الهوة تزداد اتساعاً بينهم وبين الشقائي؛ الذي كان يواجه مطالب الإيرانيين في كثير من الأحيان بالرفض القاطع. ومن أبرز الأمور التي وسعت من رقعة الخلافات بين الطرفين: رفض الشقائي إلغاء منصب مرشد الحركة الذي كان يشغله "الشيخ عبد العزيز عودة"؛ حيث كان الإيرانيون يصرون على أن تحذو حركة الجهاد الإسلامي حذو حزب الله باتخاذ قائد الثورة الإيرانية علي خامنئي مرشداً عاماً لها، ولكن الشقائي رفض ذلك، وكثيراً ما كان ينتقد الأسلوب المتعالي للإيرانيين وتحقيرهم العرب أمامه بين حين وآخر، وصار الإيرانيون يتهمونه بالانحياز لميوله القومية أكثر من الانحياز لميوله الإسلامية.

وفي آخر سفرة له إلى طهران في شهر (رمضان من عام ١٤١٥ هـ)، أي: قبل استشهاد به ثمانية أشهر؛ حصل الطلاق غير المعلن بين الشقائي والإيرانيين، ففي تلك السفرة التي رافقه فيها مسؤول العلاقات الخارجية للحركة آنذاك أبو أحمد (عصام الناطور) تم حجز الشقائي ورفيقه في بيت شمال طهران، ولم يسمح له بالخروج منه إلى المدينة، كما قُطع عنه الهاتف.

ولكن بعد فترة شهر بأكمله تمكن الشقائي - وبعد مفاوضات مضمينة - من إقناع الإيرانيين بإطلاق سراحه ورفيقه، بعد أن أقنعهم بأنه سوف يقطع علاقاته بليبيا، ويلغي منصب المرشد العام للحركة، ويلبي الشروط الأخرى؛ التي كان الإيرانيون يصرون عليها ومن ضمنها: أن يكونوا هم من يختار زمان ومكان العمليات العسكرية التي تنفذها الحركة ضد قوات الاحتلال، بالإضافة إلى

ضرورة تصعيد خطاب الحركة المعادي للرئيس ياسر عرفات والسلطة الوطنية الفلسطينية، وهو ما كان يرفضه الشقاقي دائماً، وكان يصر على توجيه الانتقاد بدل الهجوم والتشهير؛ على غرار ما كانت تفعله بعض التنظيمات الفلسطينية التي كانت تحظى بدعم إيران آنذاك من أمثال: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة، بقيادة أحمد جبريل، وحركة فتح الانتفاضة، بقيادة أبو موسى وأبو خالد العملة، وغيرها.

كان الإيرانيون ومنذ أن أخذت خلافاتهم تتصاعد مع الشقاقي قد بدأوا بتهيئة البديل له، وقد وقع اختيارهم على الدكتور رمضان عبد الله شلح - الأمين العام الحالي للحركة -؛ الذي يعد من الأشخاص الأوائل الذين التحقوا بحركة الجهاد عندما كان طالباً بكلية الاقتصاد في مصر، وحين انتقل من الأراضي المحتلة إلى أمريكا صار يتردد على إيران، وتمكن من بناء علاقات جيدة مع أطراف متنفذة في القرار الإيراني، وذلك بعد أن أظهر لها ميوله للمذهب الشيعي، وتهجمه المستمر على الخط العربي والرئيس الراحل ياسر عرفات.

كانت زيارات رمضان شلح النادرة إلى دمشق لا تطول أكثر من أيام محدودة، غير أن هذه المرة دامت قرابة الخمسة أشهر، قبل أن يعلن عن استشهاد الشقاقي.

وفي اليوم الذي كان من المقرر أن يصل فيه الشقاقي إلى دمشق قادماً من مالطا عن طريق قبرص؛ خرج رمضان شلح برفقة المسؤول الإعلامي في الحركة آنذاك لاستقباله، وحينما هبطت الطائرة في مطار دمشق ولم ينزل منها الشقاقي، قال المسؤول الإعلامي المرافق لشلح: "يبدو أن الأخ أبو إبراهيم لن يأتي اليوم"، كانت هذه الكلمات كافية لكي يعدم الرجل في لبنان بأمر من الدكتور رمضان شلح؛ لأسباب بقيت مجهولة إلى الآن!

بعد مقتل الشقاقي تم إلغاء منصب المرشد العام للحركة، وعزل الشيخ عبد العزيز عودة من منصبه، وأصبح المرشد الإيراني علي خامنئي هو المرشد وهو المرجع لحركة الجهاد، كما تم عزل عصام الناطور -مسؤول العلاقات الخارجية، والمطلع على كثير من أسرار الخلافات بين الشقاقي والإيرانيين-، كما تم أبعاد عدد من المسؤولين العسكريين من أمثال: أبو جهاد في لبنان.

كما تم إلغاء كتاب «معالم في الطريق» لسيد قطب من المنهاج الفكري للحركة، وأصبحت كتب القادة الإيرانيين هي المعتمدة؛ خصوصاً بين الأعضاء في الخارج، وهناك الكثير من الأمور الأخرى التي لا تسعها هذه المساحة".

وهذه الأسئلة التي طرحها الباحث الموسوي على حركة الجهاد توضيحها!! لأننا نرى تطبيق لوازمها في سلوك الحركة في هذه المرحلة، أما قضية أن الشقاقي قد تبينت له أمور نفرت من إيران فهذه تحتاج إلى أدلة أوضح، لأننا لا نملك مؤشرات تدل على ذلك.

■ قادة حركة الجهاد اليوم والتشيع:

قادة حركة الجهاد الحاليون لهم مواقف واضحة من تبني ودعم حركة التشيع؛ على المستوى العقدي والمستوى السياسي، وهذه بعض المواقف:

١- يقول أحد زعماء المتشيعين في مصر وهو: د. أحمد النفيس في كتابه «رحلتي مع الشيعة والتشيع في مصر» (ص ٢٨) عن مرحلة سجنه بعد اغتيال السادات:

في مثل هذا الجو الذي يخيم عليه الجهل لم يكن من الممكن الدخول في أي حوار يتعلق بخط أهل البيت، أو حتى بالثورة الإيرانية؛ حيث يعتمد الجميع العقيدة الوهابية الطحاوية التي تخص أتباع أهل البيت بالتكفير؛ باستثناء وجه واحد عايشته في زنانتني قرابة العشرة أشهر إنه: "نافذ عزام"، المتحدث الرسمي الآن باسم الجهاد الإسلامي لتحرير فلسطين في قطاع غزة، ذلك المجاهد الذي رسخ في قلبي حب القائد العظيم (روح الله الخميني).

لقد كان ذلك المجاهد جزءاً من مجموعة الشهيد بعد ذلك فتحي الشقاقي؛ التي رافقتنا في تلك الرحلة حتى قرب نهايتها.

ولا زلت أذكر كلماته عن ذلك الأمل الذي تمثله الثورة الإسلامية في إيران بالنسبة للشعب الفلسطيني المظلوم، ولقد كان الرجل من الصادقين في توقعاته"، ولا يزال عزام من المروجين علناً لنموذج الثورة الإيرانية.

٢- سبق أن مر بنا أن الأمين العام لحركة الجهاد د. شلح هو الذي نسخ مسودة كتاب «الخميني والبديل».

٣- يقول د. شلح عن علاقته بحسن نصر الله - أمين عام حزب الله اللبناني -: "السيد حسن نصر الله أخ صديق وحليف إستراتيجي... أول مرة انتبعت له كانت في نهاية عام (١٩٨٩)، كنت في زيارة لبيروت وكان د. فتحي عائداً من احتفال لحزب الله خطب فيه السيد حسن، فكان الدكتور فتحي يتحدث عنه بانبهار شديد.. فعندما راجعت الدكتور وأبدت استغرابي من فرط

إعجابه به! قال لي عن السيد حسن وبحضور إخوة: إذا قدر له أن يعيش فسيكون خميني العرب" (١).

في مقابلة مؤخرًا مع شلح لصحيفة "الحقيقة"، بتاريخ (٢٢/٨/٢٠٠٧) تبدو العلاقة قوية جدًا مع إيران؛ لدرجة أنه لم يستطع الدفاع عن دماء الفلسطينيين في العراق ولو بكلمة!!

● الحقيقة الدولية: ما حقيقة قيام إيران بتقديم دعم لحركة الجهاد الإسلامي؟
 ■ دعم إيران للشعب الفلسطيني ليس سرًّا؛ فلقد أعلنت إيران دومًا عن استعدادها لدعم الشعب الفلسطيني، وعندما زار إسماعيل هنية إيران أعلنت إيران عن تقديمها ربع مليار دولار لدعم الشعب الفلسطيني.

ولكن القضية التي لا يجب إغفالها أنه في الوقت الذي تعلن إيران عن تقديم دعم للشعب الفلسطيني يتقاعس العرب عن تقديم هذا الدعم، فكان لا بد لإيران من ملء هذا الفراغ (٢).

● الحقيقة الدولية: وما هي علاقتكم بحزب الله؟ وهل يوجد تنسيق بينكم على الأرض؟
 ■ رغم عدم وجود تنسيق بيننا وبين حزب الله على الأرض لأن لكل منا ظروفه التي تختلف عن الآخر؛ إلا أن علاقتنا بحزب الله جيدة، انطلاقًا من قاعدة (التحالف ضد المشروع الصهيوني الأمريكي)؛ الذي يريد الهيمنة على المنطقة.

● الحقيقة الدولية: ولكن ألا يوجد لديكم تحفظات على دعم إيران للنظام الحاكم في العراق الموالي للولايات المتحدة؟

■ نحن لا نتفق مع الإخوة في إيران، فبينما نشمخ دعمها للمقاومة في كل من فلسطين ولبنان؛ فإن لدينا تحفظات على دعمها للمهادنين للاحتلال في العراق؛ لأن ذلك ليس في مصلحة إيران نفسها، وقلنا هذا للإخوة الإيرانيين، وسوف تثبت الأيام هذا.

٣- الشيخ عبد الله الشامي وعمر شلح يعلنان عن تبعيتهما لمرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي في احتفالات الحركة (١).

(١) «في عين العاصفة»، حوار مع د. شلح، (ص ٨٠).

(٢) أقول: هذا غير صحيح! فالدعم العربي والإسلامي الشعبي والرسمي للشعب الفلسطيني يفوق دعم إيران، وكذلك الدعم الشعبي لحماس يفوق دعم إيران، لكن دعم إيران لحركة الجهاد يفوق الدعم العربي والشعبي لها.

٤- هشام سالم، مسئول جمعية "غدير" الشيعية الاسم والمحتوى.
٥- محمد البيومي يتبنى الفكر الرافضي في مدينة رفح جنوب قطاع غزة، وهو حالياً متواجد في إيران.

٦- محمد الطوخي، ممثل الحركة في إيران تشيع.
٧- بحسب مجلة "الوطن العربي"، (٢٤/٣/٢٠٠٠م)، من بين الذين تشيعوا من عناصر الحركة في المخيمات في لبنان: شريد توهان - من مخيم الرشيدية في لبنان-، ومحمد قدورة - من صور-، ومسؤول الحركة في جنوب لبنان محمد المجذوب.

■ نشاطات حركة الجهاد الحالية في نشر التشيع في داخل فلسطين:

هذه بعض جهود حركة الجهاد في نشر التشيع بشكل مكثف داخل فلسطين؛ رغم أن الشقاقي قال في كتابه «الشيعية والسنة.. ضجة مفتعلة ومؤسفة» (ص ٦٤): "ليس في فلسطين شيعي واحد"، ولكن بفضل جهوده وجهود حركته انتشر الضلال والشرك والبدعة في فلسطين، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

١- أقدمت صحيفة "الاستقلال"، بتاريخ (١١/١/٢٠٠٧م) على نشر مقال خطير؛ فيه لمز وتعرّض بالصحابي الجليل أبي سفيان، قد تكرر هذا من صحيفة "الاستقلال" -التابعة لحركة الجهاد الإسلامي- بنشر مقالات تطعن بالصحابة؛ ناهيك عن مقالات التمجيد والتبجيل لحسن نصر الله وحكومة إيران!

٢- إذاعة "صوت القدس" التابعة للجهاد تبث بشكل واضح أفكاراً تشجع على التشيع.
٣- إرسال جرحى فلسطين للعلاج في إيران! ويتم هناك الضغط عليهم للتشيع.
٤- تأسيس مجموعة من الجمعيات التي تبشر التبشير الشيعي، ولهذه الجمعيات أنشطة بين طلبة الجامعات، وتقوم بترتيب دورات في داخل البيوت للترويج للفكر الشيعي، مثل:
أ- جمعية الإحسان الخيرية، مقرها الرئيس في مدينة غزة، ولها فروع في كافة أنحاء القطاع.
ب- جمعية غدير، ومسئولها هشام سالم، ومقرها في بيت لاهيا في شمال قطاع غزة.
ج- جمعية رياض الصالحين، مقرها في مدينة غزة.

(١) على هذا الرابط تجد ذلك بالصوت والصورة: <http://www.haqeeqa.com/viewvideo.aspx?id=٦>

هـ- جمعية أرض الرباط، مقرها -أيضاً- في مدينة غزة، ومسئولها عبد الله الشامي.
 و- جمعية آل البيت، وتم الإعلان عن تأسيسها حديثاً، كما وأعلنوا من خلالها عن بداية تأسيس جامعة تحمل اسم: "جامعة آل البيت"، وهم حالياً بصدد بنائها.
 ز- في محافظة بيت لحم؛ تم إنشاء اتحاد الشباب الإسلامي، وبعض المؤسسات التي تنشر التشيع.

٥- طباعة "الصحيفة السجادية"، وتوزيعها في قطاع غزة، وأطلقوا عليها: "الطبعة الفلسطينية".

٦- تنظيم العديد من المهرجانات، تارة باسم القدس، وتارة باسم الشهداء، ولكن هي في الحقيقة إحياء لذكرى الخميني وبداية الثورة الإيرانية، وغيرها من المناسبات الرافضية.

٧- إقامة مؤتمر في مدينة غزة بدعوى توحيد المسلمين، وكان الهدف الرئيس هو: الترويج أن لا فرق بين السنة والشيعة، وأن الفروق مع هذه الفرقة الضالة إنما هي فروق سطحية!

٨- حشد بعض الوعاظ السذج ودفع أموال لهم؛ لتسخيرهم لنشر فكرهم الرافضي في المساجد.

٩- توزيع كميات من الكتب التي تتعلق بالمذهب الرافضي، وكذلك الكتب التي تتحدث عن الثورة الإيرانية وغيرها، ومن بين هذه الكتب: «لأكون مع الصادقين» للتيجاني، و«ليالي بيشاور»، و«ولاية الفقيه»، و«مختارات من أقوال الخميني»، وغيرها.

١٠- ترتيب منح دراسية للسفر إلى إيران للعديد من الطلبة، ناهيك عن سفر أعضائهم إلى إيران بشكل دوري مستمر.

١١- أعلن عن تشكيل تنظيم جديد في فلسطين المحتلة يحمل اسم: "المجلس الشيعي الأعلى في فلسطين".

وقال بيان المجلس الذي صدر في رام الله، وحمل توقيع "محمد غوانمة" -رئيس التنظيم الشيعي الجديد-: "إننا وباسم الإسلام العظيم ومن قلب فلسطين نعلن عن تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في فلسطين".

وجاء في البيان: "إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية ركيزة المشروع الإسلامي العالمي على طريق إقامة خلافة إسلامية راشدة، وعاصمتها القدس الشريف".

ولكن سرعان ما تراجعوا عن هذا المجلس بسبب الضجة التي سببها، علمًا أن محمد غوانمة - رئيس المجلس المزعوم - أكد في لقاء صحفي أنه تبني المذهب الشيعي عام (١٩٧٩) مع انتصار الثورة الإيرانية، وبقي متكتمًا على هذا الانتماء حتى عام (١٩٩٥)، وأنه عمل لمدة أربع سنوات مرافقًا للشقاقي.

ويؤكد أن خطته الحالية هي: بناء مسجد شيعي في رام الله، ويعترف بوجود علاقات قوية بين المشيعين في فلسطين وبين إيران وشيعة لبنان^(١).

١٢ - محمد شحادة، أحد قادة حركة الجهاد، وأحد مبعدي مرجع الزهور؛ حيث تأثر هناك بعناصر الحرس الثوري الإيراني وحزب الله؛ فتشيع وأعلن تشيعه، وقد تعهد في مقابلة مع مجلة "المنبر" الشيعية المتطرفة بنشر المذهب الشيعي في فلسطين.

وقد أصبحت مدينة بيت لحم - حيث يسكن محمد شحادة - مركزًا للشيعة في فلسطين^(٢)، وله فيها أتباع يعلنون تشيعهم، ويعتدون على من يعترض عليهم، ولذلك رشح شحادة نفسه للانتخابات التشريعية الفلسطينية الأخيرة سنة (٢٠٠٦) في محافظة بيت لحم؛ رغم مقاطعة حركة الجهاد الإسلامي للانتخابات.

وقد اعتبر شحادة أنه تعرض لمضايقات من الحركة بعد اعتناقه التشيع؛ إذ يقول: "أخوض الانتخابات مستقلًا، بعد أن رأيت من كنت معهم لا يستطيعون تحمل وجودي باعتباري شيعيًا، وبعد أن تشاورت مع من يدعمني ويؤازرن من شباب الجهاد الإسلامي والفصائل الأخرى"^(٣).

وعن انتقاله إلى التشيع والمرحلة التي سبقت ذلك؛ يقول: "كنتُ أحد مقاتلي حركة فتح الفلسطينية منذ كان عمري (١٦) عامًا، وقد اعتقلت إثر ذلك في العام (١٩٨٠)، وحكم عليّ بالسجن خمسة وعشرين عامًا، ثم أفرج عني في عملية تبادل الأسرى العام (١٩٨٥)، بعدها تكررت عمليات اعتقال لعدة أعوام بلا محاكمة، بتهمة الانتماء إلى حركة الجهاد الإسلامي؛ التي

(١) صحيفة "دنيا الوطن"، غزة، (٤/٣/٢٠٠٦).

(٢) كتاب «المتحولون»، لهشام قطيط، (١/٧٠٧).

(٣) صحيفة "الغد"، (٢٦/١/٢٠٠٦).

نشطت فيها بعد خروجي من فتح، ومن ثم أبعدتني قوات الاحتلال إلى مرج الزهور في جنوب لبنان لمدة عام، خلال الانتفاضة المجيدة العام (١٩٩٢).

في تلك الفترة أحسست بمعنى أن تكون مظلوماً، وقد تعمق هذا الشعور عندي والرغبة بالانتصار على الظلمة بعد الثورة الإسلامية في إيران المسلمة؛ حيث دفعني ذلك إلى القراءة المستفيضة عن الثورة الإسلامية ومرتكزاتها الفكرية التي تنطلق من التشيع لآل البيت النبوي... بقيت القراءات تدور في إطارها النظري إلى أن تم إبعادي إلى مرج الزهور - كما أسلفت -؛ حيث عايشت الممارسة الحقة للفكر الإسلامي من قبل مجاهدي الحرس الثوري الإيراني وحزب الله؛ الذين كانوا يزوروننا في المخيم^(١).

ولعل هذا من أهم النتائج التي حصلت عليها إسرائيل من قضية الإبعاد، وهو: نقل التشيع إلى داخل فلسطين، مع تسهيل عملية التعارف بين قادة الداخل وقادة حزب الله بطريقة لا تثير الشكوك!!!

■ الخاتمة: بعد هذه الرحلة الطويلة، تتضح لنا الحقائق التالية:

- ١ - أن علاقة حركة الجهاد مع إيران والتشيع علاقة قديمة منذ بداية الثورة، واستمرت لليوم.
 - ٢ - العلاقة بُنيت على فهم قاصر للعقيدة والفكر الشيعي، ولا يزال هذا القصور في الفهم مستمراً.
 - ٣ - تطورت العلاقة من إعجابٍ بالجانب الثوري للثورة الخمينية إلى تبني العقيدة الشيعية والفكر الخميني لدى الحركة.
 - ٤ - تحولت حركة الجهاد إلى أداة من أدوات المشروع الإيراني الشيعي في المنطقة.
 - ٥ - من مهام حركة الجهاد اليوم: نشر ورعاية التشيع في فلسطين.
- فهل يربأ الشرفاء من حركة الجهاد عن القيام بهذا الدور القدر؟ وهل يصحح بعض الأفاضل المخدوعين بمعسول كلام الجهاد وممثلهم في الجزيرة للحقيقة؟ نرجو ذلك، والله المستعان على السراء والضراء!...

(١) صحيفة "الغد"، (٢٦/١/٢٠٠٦).

"الجهاد الإسلامي" ..**هل تصبح "حوثية فلسطين"؟^(١)**

يقف المواطن العربي والمسلم اليوم مذهولاً بعد احتلال جماعة الحوثيين (أنصار الله) لكثير من محافظات اليمن؛ لا العاصمة صنعاء فحسب، وذلك بعد سبع أو ثماني حروب عسكرية مع الدولة، وعدة معارك مع القبائل والتيارات اليمنية المخالفة لتلك الجماعة.

وسبب الدهول هو: السلاسة التي تمَّ بها هذا الاحتلال الحوثي لليمن، وبقاء الجميع يتفرج؛ سواء مؤسسات الدولة اليمنية؛ من رئاسة وحكومة وجيش وقوى معارضة، أو دول الجوار والعالم، أو جامعة الدول العربية والأمم المتحدة!

وسبب آخر لذهول المواطن العربي والمسلم، هو: الموقف الرسمي العربي والإقليمي والعالمي من الجماعات الإسلامية السُّنية المنافسة؛ سواء بالعمل السياسي؛ كجماعة الإخوان المسلمين في مصر وتونس، أو بالعمل العسكري؛ كجبهة النصرة في سورية أو القاعدة في اليمن أو الثوار في ليبيا، إضافة إلى تنظيم داعش!

هذا الموقف الذي يتشكل من حرب إعلامية صريحة، وقمع وبطش أمني غير مسبوق؛ كما حرب عسكرية معلنة، بينا الجماعات الشيعية السياسية والعسكرية - التي تأتي بنفس الممارسات في الدول العربية والعالمية - معترف بها، ويغض الطرف عن طائفيتها وإجرامها، ومقبول التواصل معها عربياً وعالمياً وعلى كل الأصعدة؛ سواء كانت جماعات معارضة أو مشاركة في الحكم أو مستولية عليه!

ومن تابع مسار نشأة وتطور "الحوثيين" منذ العام (١٩٩٢)؛ يجد تشابهاً كبيراً في ذلك مع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ويمكن أن نعدد من أوجه الشبه: أن "الجهاد الإسلامي" وجماعة الحوثيين يعلنان تحالفهما مع النظام الإيراني، والقبول بالفكر الشيعي الإمامي؛ بما يمثل افتراقاً عن جذور "الجهاد" السنية، وجذور الحوثيين الزيدية.

(١) صحيفة "الغد"، (٢٠١٤/١١/٧).

وإذا كانت علاقة الحوثيين بإيران والتشيع واضحة للكثيرين؛ فإن علاقة "الجهاد" بإيران والتشيع تحتاج إلى تذكير القارئ بعدد من الحقائق، منها: أن مؤسس حركة الجهاد الإسلامي -د. فتحي الشقاقي- كان من أوائل الفلسطينيين والإسلاميين الذين أعلنوا انبهارهم بمشروع الخميني والسير على خطاه! ولذلك قام بتأليف «الشيعة والسنة.. ضجة مفتعلة»، وكتاب «الخميني والحل الإسلامي البديل»، منذ صعود نجم الخميني في نهاية السبعينيات، وقد شاركه هذا المسار الرئيس الحالي للحركة د. رمضان شلح؛ الذي نسخ مسودات هذه الكتب وقدمها للطباعة.

ولم يقف الأمر لدى الشقاقي وشلح والحركة عند حد التقاطع السياسي؛ المعروف بمصطلح: "التشيع السياسي"، وتمجيد الخميني وخليفته خامنئي، واعتبارهما القدوة والنموذج للقيادة الإسلامية المطلوبة؛ بل وجدنا قطاعات في الحركة وقيادات ومؤسسات تابعة لها تعلن تشيعها العقدي، مثل: هشام سالم، وعبد الله الشامي، وعمر شلح، وأحمد حجازي، وهم من قيادات الحركة في غزة، إضافة إلى بعض ما ينشر من ترويج للتشيع في صحيفة "الاستقلال"، وإذاعة "القدس" التابعتين للحركة.

وبخلاف حركة حماس التي تمردت على الرؤية الإيرانية المعادية للثورة السورية، فأثرت قيادة الحركة مغادرة دمشق، وعدم تأييد إجرام بشار الأسد ضد الشعب السوري؛ فإن حركة "الجهاد" بقيت في العباءة الإيرانية والسورية، وأعلنت عداها للثورة السورية، وأصبحت قيادات الحركة ضيوفاً على مؤتمرات "الصحوة الإسلامية" في طهران، والفضائيات السابحة في المدار الإيراني.

ومؤخراً؛ وعقب العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، وبقاء إيران وحزب الله متفرجين على ضرب القطاع، في نوع من التشفي بحماس؛ حتى صرح عدد من قادة "حماس"، مثل: موسى أبو مرزوق ضد موقف إيران وحزب الله وزعيمه حسن نصر الله؛ بأن غزة لا تحتاج نصره ودعماً بالهاتف!

برغم كل هذا؛ نجد "الجهاد" تقوم بدعاية ضخمة لإيران في الفضائيات الإيرانية، وفي داخل غزة؛ من خلال لوحات إعلانية كبيرة، تشكر فيها إيران على دعم غزة! في تكرار لما فعلته قبل عدة سنوات من تلميع لإيران! وكأن المهمة هي: إعادة تبييض صفحة إيران في الأوساط الفلسطينية والعربية والإسلامية؟!

وإزاء هذه الحقائق السريعة؛ يبرز وجه شبه آخر بين "الجهاد" و"الحوثيين"، ويتمثل في أن الأنظمة العربية لا تقاطعها ولا تعاديهما بحدّة مقاطعة "الإخوان" و"حماس"؛ برغم أن المبرر لهذه المقاطعة والعداء هو: كونهما يتبعان المحور الإيراني.

كذلك؛ فإن "الجهاد" و"الحوثيين" يشعلان حروباً وفق رغبات ومخططات إيران، ومع هذا لا يتم تجريمهما؛ كما حصل مع "حماس"، لا من قبل السلطة السياسية، ولا من قبل النظام العربي، كما لا يُستهدفان من إسرائيل وأميركا؛ على غرار استهداف "حماس" في فلسطين من قبل إسرائيل، والقاعدة في اليمن من قبل أميركا.

أيضاً؛ فإن أنصار "الحوثيين" و"الجهاد" يعتدون بالضرب والاعتقال والقتال العسكري على مخالفيهم؛ وخاصة من يحدرون من تبعيتهم لإيران وتشيعهم، ولا تتم معاقبتهم أو كف عدوانهم وضمان أن لا يتجدد.

كما أن الفريقين توجهها مؤخراً للمشاركة في الفعاليات السياسية والطلابية أكثر، لكن وهم يضعون السلاح على الطاولة؛ فيما أن تقبل مطالبهم، وإما أن يقبلوا الطاولة! فالحوثيون وقّعوا على ميثاق السلم، ولكنهم ما يزالون يقتحمون المحافظات اليمنية، بحجة حرب "القاعدة"، و"الجهاد" تدعو للحوار الوطني؛ لكنها ترفض دخول اللعبة السياسية بالكامل.

كما أن "الحوثيين" و"الجهاد" يستغلان الصراع بين النظام الحاكم والإقليمي ومنافسيه - وخصوصاً الإخوان -؛ لتقوية نفوذهم وانتشارهم.

الخلاصة هي: أن "الجهاد الإسلامي" و"الحوثيين" مجموعتان محليتان خرجتا عن السياق العام لمجتمعاتهما، وانساقتا خلف السياسة الإيرانية والفكر والعقيدة الشيعية، وأصبحتا كياناً منفصلاً عن التيار العام، يراعي المصالح الإيرانية على حساب المصالح الوطنية.

وبسبب الولاء الفكري والسياسي بداية، ثم التبعية المالية؛ أصبحت الحركتان أداتين للسياسة الإيرانية في المنطقة.

وبفضل التوجيه، والدعم المالي، والاحتضان الإيراني، وإرسال الخبراء والمستشارين؛ تم تقوية كيان المجموعتين، وتوسيع دائرة نفوذهما؛ خاصة عن طريق تكثيف حضورهما الإعلامي عبر فضائية "فلسطين اليوم"، التابعة للجهاد، وفضائية "المسيرة"، التابعة للحوثيين.

ومن خلال براعة إيران في حماية ورعاية وكلائها في المنطقة؛ تجاوز "الجهاد" و"الحوثيون" كثيراً من المطبات والمضائق التي وقعا فيها، كما أن براعة إيران في الاستفادة من تناقضات الخصوم؛ مكنت الحوثيين و"الجهاد" من الاستمرار في التقدم في ظل الخلاف الإخواني-الحماسي مع السلطة في اليمن وفلسطين والمنطقة العربية.

اليوم وصل الحوثيون لقمة الهرم، بعد التحالف مع الرئيس السابق علي عبد الله صالح؛ الذي تفاهم مع اللاعبين الإقليميين العرب على التفاوضي عن تقدم الحوثيين للقضاء على حزب الإصلاح، لكن الحوثيين وإيران غدروا بعلي صالح!

وفي غزة؛ نجد النظام المصري يتعاطى مع "الجهاد" بأريحية، نكاية بحركة حماس وجماعة الإخوان المسلمين، ونجد "الجهاد" تتمدد في الفراغ القائم بين السلطة والحكومة المقالة، وكلا الطرفين يخطب وُدَّ الحركة.

لكن "الجهاد" تعمل -ومن خلفها إيران- على بناء وضعها الخاص؛ عبر إحياء الكتلة الطلابية التابعة لها في الجامعات، تمهيداً لخوض انتخابات الطلبة، وحرصها على البقاء على مسافة من "حماس"؛ لتستفيد من العداء العربي الرسمي تجاهها.

بعد هذا كله؛ هل ستطول المدة التي نرى فيها حركة الجهاد تسيطر على غزة، وتترف فيها أعلام إيران وصور قادتها، كما شاهدنا في صنعاء؟



هل انضمت حركة الجهاد الإسلامي لجوقة الفصائل الفلسطينية المستأجرة؟^(١)

عرفت مسيرة المقاومة الفلسطينية عبر تاريخها استئجار العديد من الفصائل الفلسطينية أو أجنحة فيها من قبل الأنظمة العربية؛ كقوات الصاعقة التابعة لسوريا؛ والجبهة العربية التابعة للعراق، ولعل تنظيم "أبو نضال" كان أبرز مثال على ذلك، بل تميز بكونه قابلاً للتأجير لمهمة أو مرحلة محددة وقصيرة! حتى لقب التنظيم وزعيمه بأبناها: "بندقية للإيجار!"

ولكن مع تضخم المسار التفاوضي؛ وسيطرته على غالب الفصائل الفلسطينية بشكل مباشر أو غير مباشر من جهة، وغياب العديد من فرسان تلك العلاقة الفلسطينية والعربية بالموت من جهة أخرى؛ جعل تلك العلاقة المستأجرة تتوارى قليلاً عن المشهد السياسي الفلسطيني.

لكن الثورة السورية ضد النظام الطائفي البعثي المجرم لبشار وأبيه؛ كشفت عن استمرار هذه الظاهرة السيئة، فقد كشف عدوان هذا النظام على مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين في دمشق عن استمرار تنظيم أحمد جبريل في العمالة للنظام السوري، وأنه يقدم العمالة والخيانة للنظام السوري على حماية شعبه؛ وذلك من خلال مهاجمة الثوار الفلسطينيين والسوريين في المخيم؛ بل وحصاره وقطع الماء والطعام والعلاج عن سكانه من الأبرياء!

لكن أخطر ما كشفت عنه الثورة السورية هو: استئجار المحور الإيراني (إيران، حزب الله، العراق، سوريا، الحوثيين) اليوم لحركة الجهاد الإسلامي بالكامل، وأن الحركة اليوم لم تُعد بوصلتها فلسطين والأقصى، بل توجيهاً طهران وخامني.

فمعلوم أن علاقة حركة الجهاد بإيران علاقة قديمة جداً؛ وتعود لنهاية عقد السبعينيات من القرن الماضي، ويكفي هنا تصريح الأمين العام للحركة حالياً د. رمضان شلح لموقع "الإسلام اليوم"؛ حيث يقول: "لا بد أن نتحدث بصراحة، ونضع النقاط على الحروف؛ لنبين مصدر هذه التهمة لنا تاريخياً في الساحة الفلسطينية.

(١) صحيفة "الغد"، (١٢/١٢/٢٠١٤).

يؤسفني أن أقول - مضطراً - : إن أول من اتهمنا في علاقتنا بإيران والشيعية هم: الإخوة في حركة الإخوان المسلمين بقطاع غزة، وأقول: الإخوان؛ لأن الاتهام كان مبكراً قبل إنشاء حماس، وكانوا يعملون يومها تحت اسم: "المجمع الإسلامي"، لكنهم عندما رأوا في هذه المجموعة من الشباب التي شكلت حركة الجهاد لاحقاً خروجاً عن النهج الذي يسيرون عليه؛ أعلنوا حرباً.. لا أريد أن أنكأ الجرح باجترار تفاصيلها؛ لا سيما أننا تجاوزناها منذ زمن - والحمد لله -، لكن الصداق المتعلق باتهامنا بعلاقتنا بإيران والشيعية يجب أن ينتهي، وأن نقدم حجتنا فيه للناس؛ وقبل ذلك بين يدي الله عز وجل.

نعم؛ نحن أيدينا الثورة الإسلامية في إيران، شأننا في ذلك شأن ملايين المسلمين، وكل ما قلناه يومها: إن هذه الثورة - التي أسقطت نظاماً من أقوى حلفاء الكيان الصهيوني في المنطقة والعالم - يمكن أن تشكل سنداً لنا في جهادنا من أجل تحرير وطننا المغتصب..

ما قلناه قبل حوالي ربع قرن هو ما يطبقه الإخوة في حماس اليوم في علاقتهم بإيران والشيعية!! إذن؛ شلح يعترف أن ما يقوم به الإخوان/حماس الآن من علاقات واتصال بإيران سبقتهم به حركة الجهاد منذ (٢٥) عاماً!

لكن هل بقيت القضية علاقة واتصالات مع إيران؟ أم تطورت لتصبح عمالةً واستتجاراً؛ كما سبق وأن فعلت ذلك العديد من الفصائل الفلسطينية؟

هذا هو السؤال المهم اليوم، والذي سنبحث عن إجابته من خلال النقاط التالية:

■ حرص د. فتحي الشقاقي - مؤسس الحركة - على استقلالية قرار الحركة في البدايات، وكان يدرك حاجة إيران للعب دور في القضية الفلسطينية، ونجده يصرح أن الحركة لم تتلق دعماً من إيران حتى عام (١٩٨٨م)؛ سوى بعض المساعدات الإنسانية، وأن هذه المساعدات كانت دون المأمول حتى!

فهل لا يزال قرار حركة الجهاد مستقلاً؟

وهل لا تزال الحركة مستغنية عن التمويل الإيراني؟؟

■ وتكشف شهادة د. محمد مورو - والذي يعد من المصريين القلائل الذين شهدوا نشأة حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية في مصر - عن وعي الشقاقي بعدم التورط في الصراعات العربية، بل نصح د. مورو الشقاقي بعدم التقاطع والاتصال بالحركة الإسلامية في مصر، وأن تبقى حركة

الجهاد في قضيتها المركزية وهي: فلسطين، وهو المآخذ الرئيسي لهم على جماعة الإخوان بسبب تخلف القضية الفلسطينية عن أجندتهم.

فهل لا تزال حركة الجهاد الإسلامي تحصر نشاطها وعملها في القضية المركزية للأمة وهي: فلسطين؟

أم تورطت في تنفيذ أجنادات وصراعات محلية هنا وهناك؛ بعيداً عن قضية فلسطين وتحرير الأقصى؟؟

■ منذ انطلاق الثورة السورية عام (٢٠١١) تباينت مواقف حركتي حماس والجهاد منها؛ ففي البداية وقفتا على الحياد، ثم انحازت حماس للثورة بعدم تأييد النظام الأسد علناً، ثم الانسحاب من دمشق، ومقاطعة مؤتمرات طهران، بينما بقيت "الجهاد" في دمشق وطهران، وصرحت بتأييد النظام السوري المجرم، وسكتت عن جرائمه بحق شعبه السوري وبحق شعبها الفلسطيني في سوريا، وبقيت تواصل تلميع النظام الإيراني الوالغ في دماء السوريين والفلسطينيين بالخطابات الرنانة من على منابر مؤتمرات طهران الدعائية.

فهل تأييد النظام المجرم ضد شعبه يتسق مع موقف الشقاقي بالتركيز على قضية فلسطين والبعد عن نصره الحركة الإسلامية في أي صراع لها مع السلطات؟؟

■ وعقب العدوان الإسرائيلي على غزة عام (٢٠١٢) ظهرت للسطح خلافات عميقة بين حماس والجهاد في غزة، بسبب ارتهاق القرار العسكري لحركة الجهاد لأوامر طهران؛ بما يتصادم مع رؤية كتائب القسام لإدارة المعركة.

وتجلى هذا الخلاف في الاستجابة لطلب حسن نصر الله من حماس والجهاد بشكر إيران علناً على دعمها لغزة، فبادرت حركة الجهاد لتعليق يافطات الشكر الضخمة لإيران في شوارع غزة، بينما تجاهلت حماس الطلب، لكنها لم تعترض على تعليق الجهاد ليافطات الشكر!

فهل أصبح دعم فلسطين نوعاً من التكرم والتفضل يحتاج إلى شكر؟! وهل هذا يتفق مع إدراك الشقاقي لحاجة إيران لقضية فلسطين، وليس العكس؟

■ هذا التباين في تطور العلاقة بين حماس والجهاد مع إيران نتج عنه مقاطعة إيران لحماس وزعيمها خالد مشعل، بل والهجوم والظعن والشتم لحماس ومشعل، بل هناك من يقول: إن طهران لا تزال ترفض زيارة مشعل لها.

ومما يعزز هذا الأمر: أن وفد حماس الذي يزور طهران اليوم (٢٠١٤/١٢/٨) هو بقيادة محمد نصر!

بينما تتواصل زيارات شلح وقادة الجهاد لطهران بكل حفاوة وتكريم، وتتدفق عليهم الأموال والمساعدات؛ حتى صرحت قيادات الحركة أنه لولا الدعم الإيراني لم تنتصر غزة في حرب (٢٠١٤)، وعلقوا مرة أخرى يافطات الشكر لطهران في شوارع غزة، لكنها هذه المرة تعرضت للتخريب!!

بينما حماس وكتائب الأقصى صرحتا أنها خاضتا الحرب بعيداً عن الدعم الإيراني، بل انتقد د. موسى أبو مرزوق الدعم الهاتفي لغزة بعد (٢٠) يوماً من حزب الله!!

■ وتأتي مشاركة شلح مؤخراً في مؤتمر طهران لدعم الإرهاب؛ لترجح وتؤكد الشكوك حول تأجير الحركة نفسها للأجندة الإيرانية، فطهران راعية الإرهاب في المنطقة منذ قيام الجمهورية الخمينية عام (١٩٧٩)؛ والتي تمارس الإرهاب اليوم في إيران ضد الكثير من مواطنيها؛ على اختلاف عرقياتهم وتياراتهم السياسية ومذاهبهم، وفي العراق ضد السنة، وفي البحرين ضد النظام والسنة، وفي لبنان ضد مختلف الطوائف، وفي سوريا ضد الشعب الثائر، وفي اليمن بدعم الحوثيين. فيقوم شلح بالتغاضي عن كل هذا الإرهاب! بل وبالتغاضي عن كل الإرهاب الإيراني ضد الفلسطينيين في لبنان والعراق وسوريا!! ويتبنى أجندة إيران في حرب داعش؛ داعش التي رعتها إيران ووكلائها، وهم المستفيدون الأوائل منها.

فهل هذا يخدم مركزية القضية الفلسطينية، يا شلح؟!

■ وأخيراً؛ تأتي زيارة ممثل "الجهاد الإسلامي" في صنعاء لمدينة صعدة - مقر الحوثيين - فيزور قبر زعيمهم حسين الحوثي، ويقدم درع الحركة لشقيقه القائد، وهؤلاء الحوثيون لم يعرف لهم دور إيجابي واحد على مستوى محافظة صعدة؛ فضلاً عن اليمن، فكيف بفلسطين؟!

وهذه الزيارة لا مهمة لها إلا تبييض صورة الحوثيين الإرهابية؛ الذين احتلوا العاصمة وعدداً من المحافظات، ونشروا الخوف والذعر، وسلبوا مقرات الدولة وأسلحة الجيش، فيصدر الأمر لـ "الجهاد" بتلميع صورة الحوثيين عند البسطاء؛ من خلال توظيف اسم فلسطين!

وفي تبرير حركة الجهاد لهذه الزيارة؛ قالوا: إنها جاءت ضمن زيارة كافة الأحزاب اليمنية، وهو كذب مفضوح!!!

إن هذه النقاط بمجموعها لتدل وتؤكد على أن حركة الجهاد الإسلامي تجاوزت مرحلة العلاقات والاتصال بإيران، لمرحلة أحس وأدنى! وهي: مرحلة تأجير نفسها لصالح الأجندة الإيرانية الطائفية الإرهابية.

ويبقى في الختام تنبيه حركة حماس خصوصاً، وجماعة الإخوان عمومًا؛ على بؤس هذا الخيار الإيراني في العلاقات والتعاون، وأن نهايته: العمالة والخيانة لقضية فلسطين وتحرير الأقصى! وهذا التحذير بمناسبة محاولة حماس أو تيار فيها إعادة العلاقة أو الارتباط بإيران، وبمناسبة تفاهم حزب الإصلاح اليمني مع الحوثيين، وبمناسبة استمرار انخراط الحزب الإسلامي العراقي في فلك الحكومة الطائفية.

فحذارِ حذارِ من مصير حركة الجهاد الإسلامي!!



مقارنة بين صفقتي الأسرى (حزب الله - حماس)
مقارنة بين صفقة الأسرى التي قام بها "حزب الله" سنة (٢٠٠٤)،
وبين صفقة "حماس" سنة (٢٠١١)^(١)

قامت حركة حماس بعقد صفقة تبادل للأسرى مع إسرائيل، خرج في الدفعة الأولى من الصفقة (٤٥٠) أسيراً، و(٢٧) أسيرة، وسيتم لاحقاً الإفراج عن (٥٥٠) أسيراً، مقابل تسليم الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط؛ الذي أسر لمدة خمس سنوات.

وفيما يلي مقارنة سريعة لفئات الأسرى الذين أطلقت حماس سراحهم بفئات الأسرى الذين خرجوا في صفقة حزب الله سنة (٢٠٠٤).

والهدف والغاية من ذلك هو: التأكيد على أن صفقة حزب الله كانت صفقة فاشلة، بل تكاد توصف بالخيانة؛ رغم كل التطليل والتزوير الذي حظيت به في وقتها!!

ومما يؤكد فشل أو خيانة صفقة حزب الله: أن الجميع يتفق على أن وضع حزب الله في عام (٢٠٠٤) كان أفضل من وضع حماس في (٢٠١١)، وهو ما أثر على مخرجات الصفقة.

ولكن برغم كل هذا؛ فإن المقارنة بين الصفقتين ستكشف عن مقدار الخداع الذي انطلى على الكثيرين في الترحيب وتأيد حزب الله عموماً، والصفقة تحديداً:

(١) موقع "مجلة البيان"، (٢٩/١١/١٤٣٢هـ).

صفقة حزب الله	صفقة حماس	الموضوع
٤٣٥	٤٧٧ (سيتم إطلاق سراح ٥٥٠ أسيرًا بعد شهرين)	العدد الإجمالي للأسرى
-	٢٧	عدد الأسيرات
-	١٦	عدد أسرى القدس
-	٥	عدد أسرى مناطق ال (٤٨)
-	١	عدد أسرى الجولان
-	٢٧٥	عدد أسرى المحكومين بالمؤبد
١ (تنتهي محكوميته بعد أشهر)	١٩٨	عدد الأسرى المحكومين فوق ١٠ سنوات
٤٢٤	١٠	عدد الأسرى المحكومين أقل من ١٠ سنوات

في صفقة حزب الله كان:

(١, ٧٤%) من الأسرى المفرج عنهم تنتهي مدتهم في نفس سنة الإفراج (٢٠٠٤)!

(٩, ١٨%) منهم تنتهي عام (٢٠٠٥)!

(٧%) منهم تنتهي عام (٢٠٠٦)!

لقد كانت الأحكام الصادرة بحق أسرى صفقة حزب الله كما يلي:

المدة	عدد الأسرى
أشهر (إداري)	٦٠
أقل من سنة	٥٧
ستتان	١٥٧
٣ سنوات	٧٨

٤ سنوات	٣٨
٥ سنوات	٢١
٦ سنوات	٤
٧ سنوات	٩
١١ سنة (تنتهي بعد أشهر)	١

بيننا الأسرى الرجال المفرج عنهم في صفقة حماس كانت أقل مدة سجن متبقية هي (٦) سنوات لأسيرين فقط!! والباقي إما محكوم بـ (٩٩) سنة وهم الغالبية، أو بين (٢٠-٤٠) سنة. هذه هي الحقيقة نضعها بين يدي كل منصف وباحث عن الحق؛ ليدرك الفارق بين الجهاد السنني - وإن شابهته شوائب-، وبين الجهاد الشيعي؛ الذي يحرص على المكاسب الطائفية مع الهالة الإعلامية الكاذبة!

فهل يعي ذلك المخدوعون؟!



هذا الكتاب

يقدم صورة شبه متكاملة لقضية فلسطين عبر محاور متعددة تشمل:

- فضل فلسطين والقدس والمسجد الأقصى.
- القدس في قبضة الفاطميين.
- استرداد القدس على يد صلاح الدين من الصليبيين.
- محنة القدس بعد صلاح الدين.
- عدوان المشروع الصهيوني والتصدي له.
- العدوان المتكرر على غزة.
- كيف نساهم في نصره فلسطين والقدس؟
- تلاعب ملالي إيران والشيعة بالقضية الفلسطينية.

أمل أن يكون هذا الكتاب خطوة على طريق نشر الوعي الصحيح بالقضية الفلسطينية.

